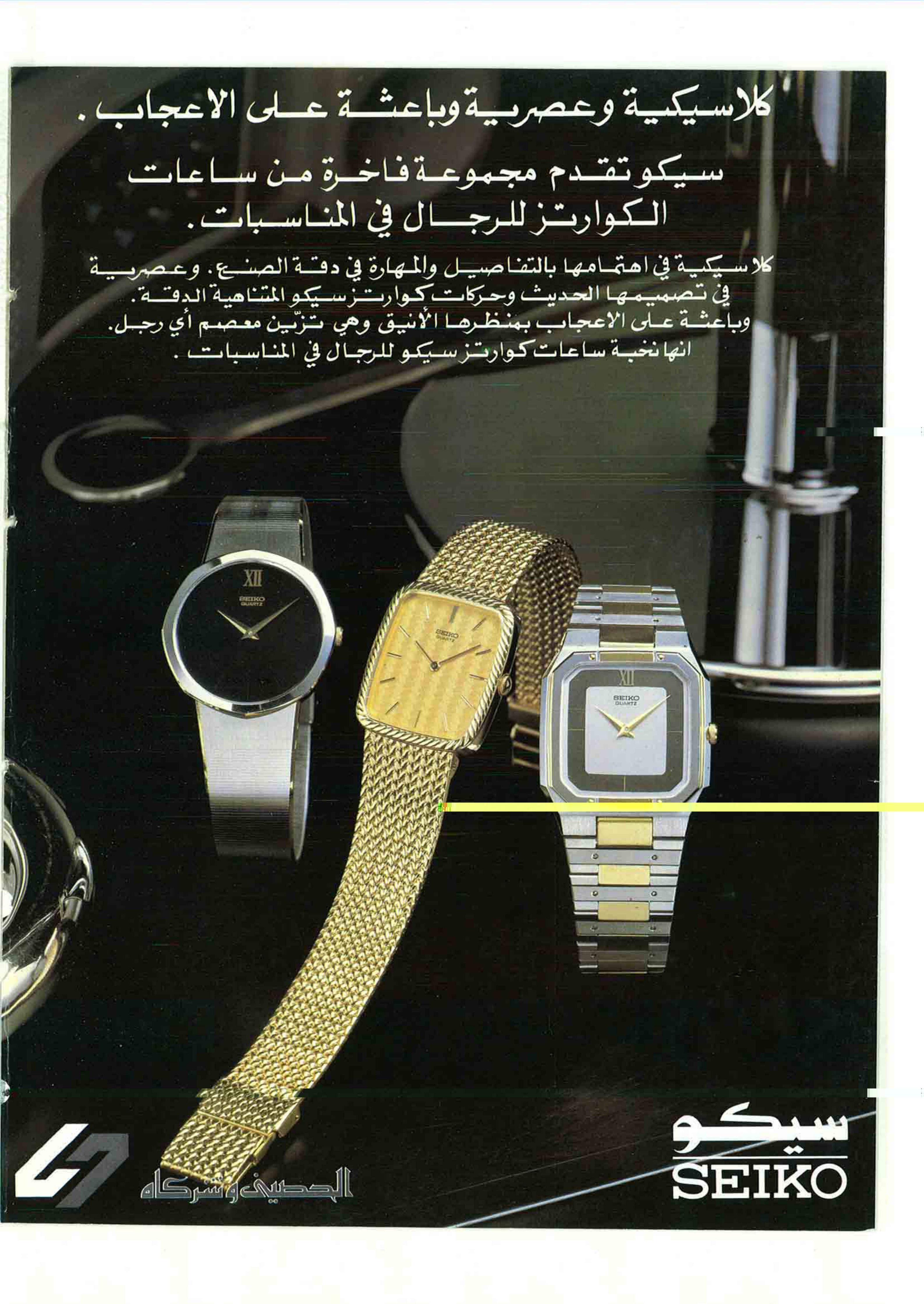


مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 76 - SEVENTH YEAR - JULY/AUGUST 1983.

العدد (٧٦) ـ شوال ١٤٠٣هـ ـ السنة السابعة ـ تموز (يوليو) / آب (أغسطس) ١٩٨٣م


كلاسيكية وعصرية وباعثة على الاعجاب.
سيكو تقدم مجموعة فاخرة من ساعات الكوارتز للرجال في المناسبات.
كلاسيكية في اهتمامها بالتفاصيل والمهارة في دقة الصنع. وعصرية في تصميمها الحديث وحركات كوارتز سيكو المتناهية الدقة. وباعثة على الاعجاب بمنظرها الأنيق وهي تزيّن معصم أي رجل. انها نخبة ساعات كوارتز سيكو للرجال في المناسبات.
SEIKO
QUARTZ
الحصيني وشركاه
سيكو
SEIKO



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 76 - SEVENTH YEAR - JULY/AUGUST 1983. — العدد (٧٦) ـ شوال ١٤٠٣هـ ـ السنة السابعة ـ تموز (يوليو) / آب (أغسطس) ١٩٨٣م

رئيس التحرير

علـــوي طه الصـــافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To: — المراسلات :

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
Riyadh-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027-TELEX 202600 DRFATH Sj

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص . ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

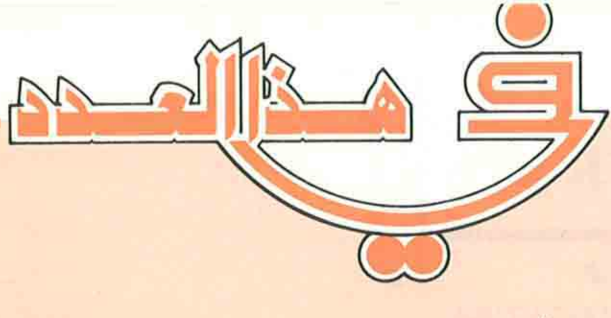
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠٠ مليم	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفـــراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠







د . محسن علي فارس الحازمي

★ من مواليد العشة ـ صبياء ـ المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٢ هـ .

★ دكتوراه فلسفة ، جامعة كامبردج ـ بريطانيا .

★ عمل معيداً ، ثم مدرساً ، ثم أستاذاً مساعداً ، فمديراً لمركز الأبحاث بكلية الطب .



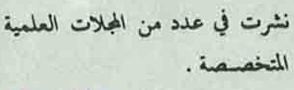
★ يعمل حالياً وكيلاً لكلية الطب للشؤون الأكاديمية ـ جامعة الملك سعود بالرياض ، وأستاذاً مشاركاً لتدريس الكيمياء الحيوية الطبية .

★ شارك في العديد من المؤتمرات العربية والعالمية .

★ رئيس منتخب قسم الكيمياء الحيوية ، كلية الطب .

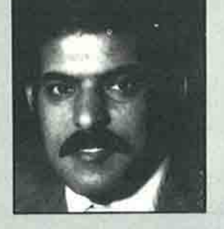
★ عضو عدة جمعيات علمية بالمملكة وبريطانيا وأميريكا .

★ له دراسات وأبحاث علمية



نشرت في عدد من المجلات العلمية المتخصصة .





د . محمد شحادة عليان

★ من مواليد بيت نبالا ـ اللد ، عام ١٩٤٣ م .

★ دكتوراه في الأدب والنقد .

★ عمل مدرساً للغة الإنجليزية في المدارس الإعدادية والثانوية في الأردن والكويت ، كما عمل محاضراً غير متفرغ بجامعة اليرموك في الأردن .

★ له مجموعة من الأعمال والبحوث ، ومجموعة قصصية (تحت الطبع) .

★ عضو رابطة الكتّاب الأردنيين .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في قسم اللغة العربية ـ كلية التربية ـ جامعة أم القرى في الطائف .

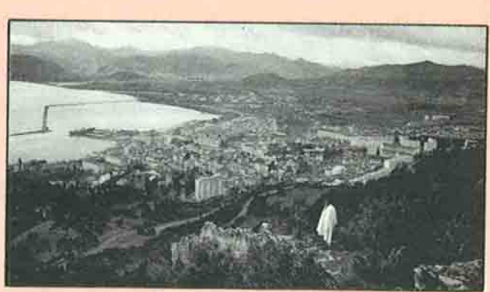


د . سليم الأسيوطي

★ من مواليد مصر ، عام ١٩١٥ م .

★ ليسانس لغة إنجليزية ،

●● « بجاية » مدينة جزائرية تسمى : « لؤلؤة المغرب » ، تميزت عن غيرها من المدن الجزائرية الأخرى بطابع خاص .. يجمع الهدوء ، والفن ، والتاريخ ، والأسطورة ، شهدت ـ عبر تاريخها الإسلامي ـ ازدهاراً في العمران ، وقوة في الحصون ، وسحراً في الجمال ! طالع ص (٢٠) .

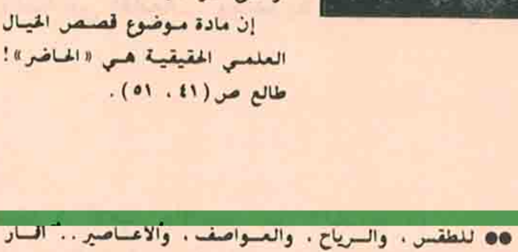




●● « قصص الخيال العلمي » تسمية خاطئة !

هذا النوع الأدبي من الكتابة ليس عادة عن الغد .. إنه عن تأثيرات الغد على المجتمع بوجه عام ، أو على أفراد بالذات .

إن مادة موضوع قصص الخيال العلمي الحقيقية هي « الحاضر » ! طالع ص (٤١ ، ٥١) .



●● « الأذن » عضو السمع ، جهاز دقيق للغاية ، مهمته الرئيسية التقاط أمواج الصوت من العالم الخارجي ، وإيصالها إلى مراكز السمع .

و « السمع » .. يحدث من الصوت الذي يتكون من موجات من الضغط والانكسار في الهواء . طالع ص (٩١) .



●● الطريق للوصول إلى « فن تشكيلي سعودي معاصر » شاق ، ويحتاج إلى عامل الزمن ، الذي لا غنى عنه ، إلى جانب الجهد الخاص [illegible]واصل ، من قبل كل الأطراف المساهمة في ترسيخ الفن ، لتحقيق المعاصرة الأصيلة . طالع ص (١٠٤) .

●● للطقس ، والرياح ، والعواصف ، والأعاصير .. أقمار ترصدها جميعاً ، وهي على ارتفاعات شاهقة . إنها أقمار صناعية ، لا تكتفي بالرصد فحسب .. بل إنها تتنبأ بقدوم الأعاصير ، والعواصف ، وباختلاف درجات الحرارة ، واتجاهات الرياح . كيف يكون ذلك ؟ طالع ص (١١٤) .

دبلوم معهد التربية العالي ، ماجستير معهد التحرير والترجمة والصحافة ، دبلوم معهد الدراسات العليا للمعلمين ، دكتوراه .

★ يجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

★ عمل مدرساً للغة الإنجليزية ، فمفتشاً عاماً للغة الإنجليزية .

★ يعمل حالياً أستاذاً محاضراً في اللغة الإنجليزية وآدابها بجامعتي حلوان والقاهرة .

★ له مؤلفات في التربية ، وطرق تدريس اللغة الإنجليزية ، والصحافة ، والنقد الأدبي والمسرحي .



عدنان عضيمة

★ من مواليد اللاذقية ـ سورية ، عام ١٩٤٥ م .

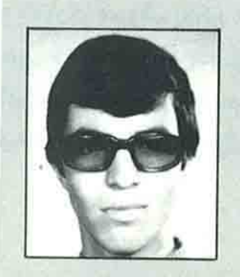
★ بكالوريوس العلوم الكيميائية والجيولوجية .

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية .

★ عمل مديراً للشؤون والإنتاج بشركة الأسفلت والزيوت باللاذقية .

★ يعمل حالياً أستاذاً للعلوم الفيزيائية والكيميائية بثانويات الجزائر .

★ له مجموعة من المقالات والأبحاث العلمية .



زياد كامل

★ من مواليد دمشق ـ سورية ، عام ١٩٥٣ م .

★ إجازة جامعية في اللغة العربية .

★ دبلوم في الدراسات الفنية الصناعية الكهربائية اللاسلكية .

★ عمل موظفاً بصندوق التعاون والإسعاف ، فمدرساً للغة العربية .

★ له عدد من البحوث والقصص والدراسات نشرتها الصحف والمجلات .



عناقيد

الجامعة .. والمجتمع

العلاقة بين الجامعة والمجتمع ليست مجرد صلة واتصال فحسب ، وإنما التحام وتناغم يشكلان صورة مستقبل الجماعة .

ودور الجامعة الناجحة في المجتمع دور له خطره وخطورته ، وأثره وفعاليته .. وحاجة المجتمع إلى الجامعة تتجاوز المطالب الظرفية .. والظروف الاستثنائية .. فالجامعة ليست مجرد فصول وقاعات ومحاضرات ومجموعة من الطلاب الذين يلتزمون بالمواد التي تقررها الجامعة ، ويحرصون على حفظها للحصول على علامات النجاح ، وبالتالي الفوز بوثيقة التخرج .

العلاقة أكبر وأعمق .. فالجامعة بدون جماعة لا أهمية لها .. وجماعة في غياب الجامعة معناه التخلف ، والتقوقع والرؤية القاصرة .

المجتمع المتحضر هو مجتمع التنمية .. ومجتمع بدون جامعة هو مجتمع يقف في صفوف المتفرجين في الوقت الذي تسير أمامه مواكب المجتمعات المتحضرة .

إذن .. فإن قاعدة التنمية .. صناعية كانت أم زراعية هي الجامعة .. ومجتمع بلا تنمية هو مجتمع متقاعس وجاهل لا يرى الطريق ، ولكنه يحس القهر .

والجامعة .. ما هي ؟

هل هي تلك الفصول الأسمنتية ؟

أم المقررات .. أم المعامل والمختبرات ؟

إذا كانت هذه الأمور بعض الجامعة ، فإن الجامعة في الأصل والأساس هي « المدرس » .

حين نعنى بالمباني .. والمقررات .. والمعامل .. والمختبرات في الوقت الذي ننسى « المدرس » أو نهمله فإننا لا نؤسس جامعة ، وإنما ننشئ مؤسسة تجارية !!

من هذا المفهوم تنشر « الفيصل » موضوعاً عن المدرس الجامعي يتناول مسؤوليته تجاه جامعته ومجتمعه لتأكيد الدور الكبير الذي ينهض به في مجتمعه ، وتأثيره في البنية الاجتماعية .. وهذا الموضوع يمثل وجهاً من وجوه قضية « المدرس الجامعي » .. ويبقى الوجه الآخر للقضية المتمثل في مسؤولية الجامعة والمجتمع تجاه مدرس الجامعة قابلاً للنقاش .

وإيماناً من « الفيصل » بأهمية الجامعة والمدرس الجامعي فإنها سوف تنشر عدداً من الدراسات التي نأمل أن تجسد أبعاد العلاقة بين عناصر حضارة الجامعة .. لأن الجامعة حضارة ، عناصرها المدرس ، والطالب ممثلاً للمجتمع .. وسوف يطالع القارئ في العدد القادم موضوعاً عن شهادة الدكتوراه .. والتدريس الجامعي .

إنها محاولة لإعادة تقعيد وتأصيل دور الجامعة الحضاري بعناصرها المؤثرة في المجتمع ، والمتأثرة بالمجتمع .

قصص الخيال العلمي

إذا كان العلم هو حصاد العقل والتجربة .. فإن الأدب أيضاً نتاج العقل والتجربة .

فإذا سلمنا بهذه المقولة فلن نتردد في الربط بين العلم والأدب .. وفي الأصل كان العلم خيالا (أدبا) رفدته (التجربة) فتحول إلى مجموعة من المعطيات العلمية .

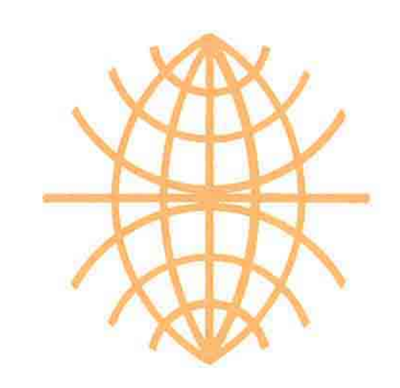
وظاهرة « قصص الخيال العلمي » صورة من صور هذا الارتباط بين العلم والأدب .. وشكلاً من الأشكال الأدبية لاستشراف مستقبل العلم .. كأن الأدب هو الرحم الذي احتضن العلم نطفة وجنيناً ، واحتواه يفاعة ورجولة .

في هذا العدد تنشر « الفيصل » دراسة موسعة عن فن « قصص الخيال العلمي » كيف بدأ .. ماهيته .. أوائل كُتَّابه .. أبرز أعماله .

ولكي تكتمل الصورة أمام القارئ فسوف يطالع القارئ أيضاً في هذا العدد لقاء مع (فيليب كرفال) احد كتَّاب قصص الخيال العلمي حيث يتحدث من خلاله عن تجربته في هذا الفن .

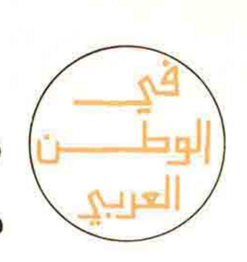
وقد سبق لـ « الفيصل » أن نشرت نماذج من قصص الخيال العلمي هذا الفن الذي أخذ طريقه في صفوف الأدباء العرب فاحتفوا به ، وساهم بعضهم فيه بمجموعات من الأعمال في عدد من الأقطار العربية ، هذه الأعمال التي تمثل نواة لفن قصص الخيال العلمي العربي .

رئيس التحرير

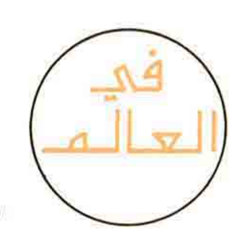


* * من خلال هذا « الملف » سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في « الوطن العربي » فحسب ، بل في « العالم » الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- معارض لكتب ورسوم الأطفال .
- معرض لآثار ما قبل التاريخ في الأردن .
- إقامة عدة ندوات علمية وتربوية .
- رابطة جديدة باسم « رابطة نقّاد الأدب في العراق » .
- صدور مجلة مصرية جديدة .
- صدور عدة موسوعات في مصر .



- ندوة عن « الحضارة الإسلامية » في ألمانيا الغربية .
- أخبار عن الجوائز العالمية .
- إقامة معرض عن « الحضارة المصرية » في بريطانيا .
- أسبوع ثقافي عراقي في إسبانيا .
- معرض عن حضارة الأناضول في تركيا .



قضية النشر في الصحافة

في زاوية «نافذة» المنشورة في هذا العدد يطالع القارئ رأياً للأستاذ إبراهيم السهان يدعو فيه إلى نشر موضوعات الكتّاب في أكثر من مجلة أو صحيفة مرتكزاً على الحجج التالية :

١ ـ أن المقال الذي ينشر في مطبوعة واحدة لا يطلع عليه سوى عدد محدود من الناس .

٢ ـ أن الأديب أو الكاتب بهذا الأسلوب تفرض عليه ما أطلق عليه صديقنا السهان بـ «الإقامة الجبرية» في مكان واحد !!

٣ ـ أن مكافأة الكاتب المادية لا توازي جهده عندما يقتصر النشر على مرة واحدة ، ولهذا فهو يدعو إلى تكرار نشر الموضوع الواحد في أكثر من مجلة أو صحيفة للحصول على مكافآت أكثر .

٤ ـ ضرب مثلاً في دعوته إلى تكرار أو تعدد النشر بالأغنية حيث تذاع من وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفاز عشرات المرات ، أو مئات المرات على حد قول صديقنا السهان إلى جانب «الكاسيت» ، و«الفيديوكاسيت» ومثلها التمثيليات الإذاعية والتليفزيونية التي تذاع وتعرض في وقت واحد في أكثر من إذاعة ومحطة تلفاز .

٥ ـ يرى الكاتب أن نشر الموضوع في أكثر من مطبوعة يعد أحد وسائل نشر الثقافة وتعميمها .

٦ ـ لا يرى غضاضة في إعادة نشر المادة الجيّدة على ألا يسير ذلك في الاتجاه التجاري .

٧ ـ ضرب مثلاً لتأييد وجهة نظره بالمقال السياسي الصحفي الذي ينشر للكاتب الواحد في أكثر من صحيفة ومجلة باتفاق بين الأطراف المعنية .. يقصد الكاتب وأصحاب الصحف .

هذه هي المرتكزات التي اتكأ عليها صديقنا السهان لتدعيم وجهة نظره في إعادة نشر موضوعات الكتّاب .. وهو بوجهة نظره يعترض بصورة غير مباشرة على أسلوب بعض المجلات التي تشترط خصوصية النشر ، وعدم نشره من قبل .

ولإيضاح الحقيقة نقول : إن «الفيصل» من المجلات التي تشترط أن يكون الموضوع خاصاً بها ، ولم يسبق نشره في كتاب أو مجلة أو صحيفة .. وهي حين تشترط هذا ، إنما تنشد تعميق قواعد وأعراف النشر الدولية السائدة في أوروبا وأمريكا لإيجاد الاستقرار ، والمحافظة على حقوق النشر ، واحترام القارئ ، وحث الكتّاب على العطاء الجديد المستمر لإثراء الحركة الثقافية ، ولتنمية روح التنافس الشريفة بين الكتّاب والمجلات لتقديم الجديد الجيّد للقارئ .

والحجج التي أوردها الصديق السهان إذا كانت على المستوى النظري تتقمص المثالية ، كالرغبة في نشر الثقافة ، فإنها على المستوى التطبيقي تحوّل وسائل النشر إلى نسخ مكررة ومتشابهة ، لا تخدم الحركة الفكرية ، ولا نود أن نقول إنها تقود إلى تحويل العملية الثقافية إلى تجارة .

وقول الصديق السهان إن المقال المنشور في مطبوعة واحدة لا يطلع عليه سوى عدد محدود من الناس . إذا صح بالنسبة للمجلات الإقليمية المحدودة الانتشار ، فإنه غير صحيح بالنسبة للمجلات العربية المنتشرة في توزيعها في كل أسواق الوطن العربي .

والكاتب الجيّد لا تُفرض عليه ما أسماه الصديق السهان بـ «الإقامة الجبرية» في مكان واحد إذا اختار مجلة واسعة الانتشار يستطيع من خلالها إيصال فكره إلى قرائه .. كما أن استقرار الكاتب الجيّد في مجلة واحدة يساعد القارئ على متابعته بشراء هذه المجلة أو الاشتراك فيها بصورة دائمة فيوفر الوقت ويقلل من مصروفاته .

والكاتب الجيّد في رأينا لا تحتل المكافأة المادية لديه المكانة الأولى بقدر ما يهم بإيصال فكره إلى أكبر عدد



السعودية :



وفاة الشيخ الحركان

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ محمد علي الحركان أمين عام رابطة العالم الإسلامي عن عمر يناهز السبعين عاماً . وكان رحمه الله قد تخرج من الكتّاب والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة حيث حفظ القرآن الكريم وهو لا يزال صغيراً ، ثم واصل تعليمه الديني في المسجد النبوي الشريف فبرع في الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية **فاختير قاضياً** وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، **واستلم قضاء جدة ورئاسة محكمتها** لمدة ثمانية عشر عاماً ، وبعدها تقلد **منصب أول وزير لوزارة العدل** في المملكة وذلك في عهد المغفور له **جلالة الملك فيصل ، ثم اختير أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي** حتى توفاه الأجل المحتوم .

وكان رحمه الله قد بذل جهوداً كبيرة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم ، فكان همه الوحيد هو نشرها في كل أنحاء القارات فأبلى في هذا السبيل بلاءً حسناً ساعده في ذلك قوة إيمانه وعقيدته ، وبوفاته فقد العالم الإسلامي عالماً جليلاً أفنى حياته في خدمة الإسلام والمسلمين . رحم الله الفقيد وألهم ذويه والمسلمين الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون .

معرض لرسوم الأطفال

أقامت الدار السعودية للفنون (صالة العرض العالمية) معرضاً لرسوم الأطفال ضم أعمالاً لأكثر من خمسين فناناً وذلك بمقر الصالة بالرياض . ومما يذكر أن هذا المعرض قد أقيم خلال شهر شعبان بهدف تنمية المواهب وإتاحة الفرصة لتقويم إبداع المشتركين .

مطبوعات دار العمير

عن دار العمير للثقافة والنشر بجدة صدرت

ممكن من القراء ، وفي إمكانه اختيار المجلة التي تحقق له المكافأة المادية التي ترضيه ، والانتشار المطلوب لفكره وهو ما ينشده أي كاتب جيّد . . ونحن نعرف أن عمالقة الفكر والأدب كانوا يفضلون في حرص شديد على نشر موضوعاتهم في مجلة « الرسالة » للزيات ، بدون مقابل مادي لانتشارها في كل أقطار الوطن العربي . . ولم يُعرف طه حسين ، والعقّاد ، وزكي مبارك ، وغيرهم إلا من خلال كتاباتهم في « الرسالة » .

والفكر ليس كالأغنية أو التمثيلية اللتين ضرب بهما المثل لأنهما يختلفان في ماهيتهما وظروفهما عن الفكر الذي يحرص القارئ على الاحتفاظ به في مكتبته للرجوع إليه من حين إلى آخر ، للاستفادة به في الدراسة والبحث كمرجع لا يستغنى عنه . . والأغنية والتمثيلية هما في الأساس للمتعة والتسلية حتى لو تضمَّنا توجيهاً أو إصلاحاً .

والأغنية والتمثيلية يستطيع الفرد سماعهما في أي مكان سواء كان حافلة ، أو مقهى . أما المجلة فتتطلب وقتاً للقراءة ، وتركيزاً للاستيعاب ، وبالتالي يمكن حفظها كثروة أو رصيد في المكتبات المنزلية والعامة .

وأخيراً ، فإن الأغنية والتمثيلية لا تتطلبان شرائح معيّنة من الناس يشترط فيهم القدرة على القراءة والاستيعاب . . أي أن الأغنية والتمثيلية تقدمان لكل شرائح المجتمع ، متعلمين وأميين . . وقبل كل هذا ، فإن وسائل الأغنية والتمثيلية ، وهما الإذاعة والتلفاز ، يعدان وسائل إقليمية محدودة الانتشار ، إلى جانب هيمنة الدولة على سياستهما .

ومع ذلك ، فإن الإذاعات التي تحترم نفسها ، وأصحاب الأغنيات لهم شروطهم وقواعدهم ولديهم ما يسمى بالإنتاج الخاص وما يسمى بالإنتاج العام ، ولكل منهما تكاليفه وأجوره المختلفة ، وإذا كانت أنظمة الإذاعات العربية والتلفازية يحكمها الفوضى ، فإن الأمر يختلف كل الاختلاف في البلدان الأخرى .

وإذا كان الصديق السمان يرى أن نشر الموضوع الواحد في أكثر من مطبوعة يعد أحد وسائل نشر الثقافة وتعميمها ، فإن تعدد وسائل النشر وتنوعها وتفردها بالجديد هي وسائل نشر الثقافة ، أما التكرار والإعادة ، والتشابه فهي نوع من « التكديس » والمراوحة ، والجمود ، وقتل روح التنافس بين المجلات ، وبالتالي تتحول المجلات إلى نشرات دعائية ، أو مجرد يافطات إعلانية .

وإذا ترك الحبل على الغارب ، فإن سوق الثقافة تتحول إلى سوق تجارية ، ويتحول الكتّاب إلى تجار همهم الأول والأخير الكسب والربح .

وللقارئ أن يتصور شعوره وهو يطالع مجلة « العربي » و « الفيصل » و « الدوحة » و « الهلال » و « الأقلام » مثلاً ، مجرد نسخ متشابهة في موضوعاتها وكتّابها بحيث لا جديد فيها سوى العناوين ، وأسماء رؤساء التحرير ، والجوانب الفنية .

ولا ينكر أحد أن الصحافة اليوم أصبحت نوعاً من « الصناعة » ، لتدخل عناصر عديدة من عناصر الإنتاج الصناعي في إنتاج الصحافة . . وهذه حقيقة لا يعرفها إلا أصحاب الصناعة .

وما دام الأمر كذلك فإن تنويع الإنتاج الصناعي مطلب هام لتحريك ونجاح أي صناعة من الصناعات . . كما أن روح التنافس في الصناعة ليس مجرد مطلب هام فحسب ، بل هدف من أهداف الصناعة الوطنية الناجحة للحد من الاستيراد الذي يمثل آفة المجتمعات النامية على وجه الخصوص .

أما فيما يتعلق بالمقال السياسي الصحفي الذي ينشر للكاتب الواحد في أكثر من صحيفة ومجلة باتفاق الأطراف ، فهذا في رأينا استثناء وليس قاعدة . . وهو استثناء تفرضه مصالح استثنائية وظروف خاصة لا يمكن تعميمها .

لعلنا بهذا الحديث قد رددنا على وجهة نظر الصديق السمان . . وإن كنا نشعر أن هذه القضية تحتاج منا إلى الإسهاب والشرح والتفصيل . . ولهذا فإن هناك محاولة جادة الآن بين المجلات الثقافية تتبناها « الفيصل » ، و « العربي » لإيجاد قواعد نشر أخلاقية تلتزم بها ، وميثاق عام تحاول من خلاله تنظيم عملية النشر ، لتوطيد العلاقة بين المجلة والكاتب من ناحية ، وبينها وبين القارئ الذي يمثل الهدف وجوهر العلاقة من ناحية أخرى . . والله الموفق .

« التحرير »

ثلاث قصص طويلة ، ومجموعة قصص قصيرة تحت سلسلة « عالم القصة » . . وهي :

١ ـ « وجوه من الريف » تأليف حجاب يحيى الحازمي (مجموعة قصص قصيرة) .

٢ ـ « الصندوق المدفون » تأليف طاهر عوض سلام (قصة طويلة) .

٣ ـ « القشور » تأليف عمر طاهر زيلع (قصة طويلة) .

٤ ـ « قبو الأفاعي » تأليف طاهر عوض سلام (قصة طويلة) .



★ عزيز ضياء ★ ★ سعد البواردي ★

كتب جديدة

● **« تنظيم النسل . . وموقف الشريعة الإسلامية منه »** ، تأليف **الدكتور عبد الله عبد المحسن الطريقي** ، صدر في **الرياض** .

● **« حتى لا نفقد الذاكرة »** ، تأليف **سعد البواردي** ، صدر في **جدة** .

● **« أحاديث وقضايا إنسانية »** ، تأليف **الدكتور عبد الرحمن حسن البقنيسة** ، صدر في **جدة** .

● **« نغم وألم »** ، **ديوان شعر** للشاعر **الشريف منصور بن سلطان** ، صدر عن **النادي الأدبي الثقافي بجدة** .

● **« فلتشرق من جديد »** ، **قصة** كتبها **طاهر عوض سلام** ، صدرت عن **نادي أبها الأدبي** .

● **« وحي وقلب وألحان »** ، **ديوان شعر** للشاعر **عبد السلام هاشم حافظ** ، صدر عن **نادي أبها الأدبي** .

● **« باقة البنفسج »** ، **ديوان** للشاعر **الدكتور عبد الهادي حرب** ، صدر عن **نادي أبها الأدبي** .

● **« قصص من طاغور »** ، **الجزء الأول** للكاتب الهندي **طاغور** ، ترجمة **عزيز ضياء** ، صدرت عن **تهامة** ضمن سلسلة **« الكتاب العربي السعودي »** .

● **« طيور الأبابيل »** ، **مجموعة شعرية** للشاعر **إبراهيم فلالي** ، صدرت في **طبعتها الثانية** عن **تهامة ـ جدة** .

● **« النثر الأدبي الحديث في سورية ١٨٥٠ ـ ١٩٤٦ م »** ، تأليف **د . نشأت ظبيان** ، صدر عن **دار العلوم بالرياض** .

● **« المرأة في الإسلام »** ، تأليف **كمال أحمد عون** ، صدر في **طبعته الثانية** عن **دار العلوم بالرياض** .







★ د. باسلامة ★ ★ د. أحمد المهندس ★ ★ د. محمود إسماعيل صيني ★

● «المعرض الثاني لمطبوعات الرئاسة»، قائمة ببليوجرافية صدرت عن الشؤون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب.

● «الإطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي»، تأليف الدكتور عبد الله الأشعل، صدر في الرياض.

كما صدرت الكتب التالية عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض.

★ «علم اللغة المبرمج»، إعداد الدكتور كمال إبراهيم بدري.

★ «مستخلصات وبحوث»، إعداد الدكتور محمد عبد الغني والدكتور أحمد المهندس.

★ «العربية للحياة: منهج متكامل في تعليم العربية لغير الناطقين بها»، تأليف ناصف مصطفى عبد العزيز ومحيي الدين صالح، إشراف الدكتور محمود إسماعيل صيني.

● «الإمكانات النووية للعرب وإسرائيل .. ودورها في الصراع العربي ـ الإسرائيلي»، تأليف الدكتور صدقة يحيى مستعجل، صدر عن تهامة ضمن مطبوعاتها.

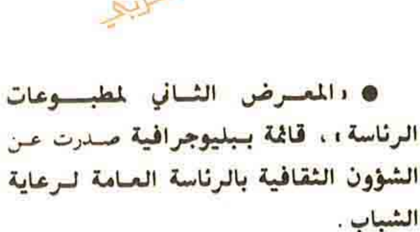
● «خلافة أبي بكر الصديق»، بقلم حسين عبد الله باسلامة، صدر عن تهامة ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي.

كما صدرت الكتب التالية عن تهامة ضمن سلسلة «الناشئة» وهي كتب خاصة بالأطفال:

★ «الطاقية العجيبة»، بقلم فريدة فارسي.

★ «سلمان وسليمان»، بقلم فريدة فارسي.

★ «السندباد والبحر»، بقلم يعقوب محمد إسحاق.

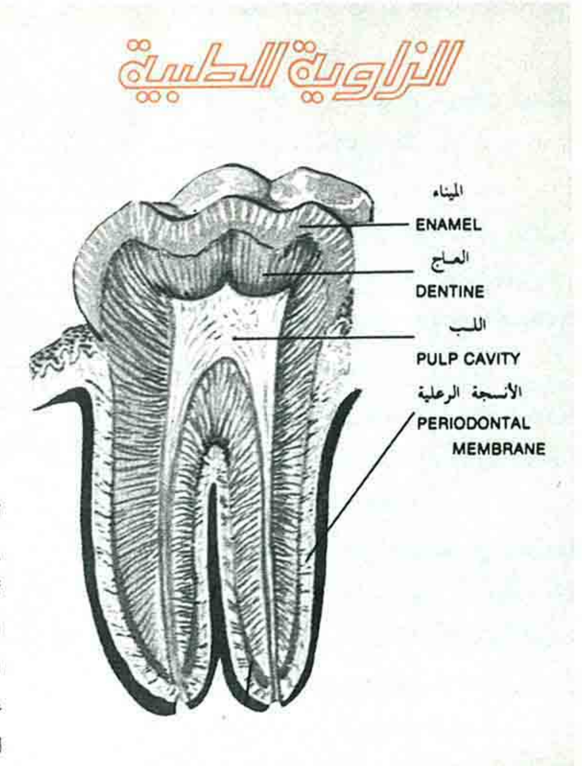


مصـــر

مجلة جديدة

صدرت في مصر أول مجلة علمية باسم «العلميون» عن نقابة المهن العلمية، ويرأس تحريرها سبه قنصوه، ومن أهدافها تناول العلميين في «٦٤» صفحة باللغتين العربية والإنجليزية، وأخبار النقابة بجميع فروعها، ومقالات متخصصة لعلماء مصر. ومما يذكر أن عددها الأول قد صدر في شهر يوليو (تموز) من عام ١٩٨٣م.

الزاوية الطبية



حساسية الأسنان

الكثير من الكبار ومتوسطي السن يعتري أسنانهم بين آونة وأخرى ألم مفاجئ، قد يستغرق دقيقة من الزمن أو أقل منها، وهو يحدث غالباً عند تناول شيء صلب، أو قطعة من السكر، أو شرب سائل ما بارداً كان أم حاراً.

والسبب الرئيسي له هو تعرض **مادة العاج**، وهي إحدى أنسجة الأسنان، التي تمتاز بكونها مادة حية سريعة التأثر لما يمتد عبرها في النهايات العصبية للمادة اللبية عبر استطالات خلايا المولدة للسن Odontoblast Cell، إلى المحيط الخارجي الفمي بعد إزاحة غطاءه الأساسي «**الميناء** ENAMEL» أو «**السمنت** CEMENTUM»، بفعل عمليات التعرية المتعددة والمختلفة للسن وتسوّسه، أو تكسّر أجزاء منه، فتزداد حساسية الأسنان وتجلب لصاحبها الألم، الذي يتراوح بين ألم بسيط إلى ألم حاد شديد، وأحياناً قد تجلب النهايات اللثة وحركتها وتعريتها لطبقة «السمنت» آلاماً جديدة مضافة.

إن عمليات التعرية السنية قد تكون بطرق ثلاث:

●● ففي الأولى يتآكل سطح الأسنان ATTRITION بفعل قوى الاحتكاك، وتحدث غالباً عند دعس السن فوق السن الأخرى، أو فوق أية مادة صلبة وجدت داخل الفم، كالحجارة والحصى الصغيرة، أو نتيجة لوجود حافز نفسي وتأثيراته المختلفة، التي تجعل أسنان الإنسان تصطك وهو نائم بفعل لا إرادي، أو عند استعمال الأسنان بكثرة للقضم والهضم وبقوى كبيرة .. وفي هذه الحالة تكون أشكال الأسنان متميزة، فهي ذات أسطح ملساء ولون أبيض مائلاً للاصفرار، وهو لون مادة «العاج DENTIN».

كتب جديدة

● «أفكار ومواقف»، تأليف الدكتور **زكي نجيب محمود**، صدر في طبعة جديدة بالقاهرة.

● «أسلوب أوديب في المسرح المعاصر»، دراسة أعدها **مصطفى عبد الله**، صدرت في **القاهرة**.

● «ليلة الكولونيل الأخيرة»، مسرحية تقع في فصلين للدكتور **عبد العزيز حمودة**، صدرت في **القاهرة**.

● «الأزهر جامعاً.. وجامعة»، تأليف **الدكتور عبد العزيز محمد الشناوي**، صدر **الجزء الأول في القاهرة**.

● «وأشرقت الشمس على هيروشيما»، بقلم **طارق فودة**، صدر في **القاهرة**.

● «السينما التسجيلية في مصر في الفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠م»، صدر عن **مديرية ثقافة الإسماعيلية**.

● «الحب والصداقة في التراث العربي والدراسات المعاصرة»، تأليف **يوسف الشاروني**، صدر في **طبعته الثالثة بالقاهرة**.

● «راهب الليل»، ديوان شعر للشاعر **طاهر أبو فاشا**، صدر في **القاهرة**.



★ د. زكي نجيب محمود ★ ★ يوسف الشاروني ★

● «ناجي... حياته وأجمل أشعاره»، بقلم **وديع فلسطين**، صدر عن **مؤسسة المعارف للطباعة والنشر**.

● «٢٢ يوليو ـ أطول يوم في تاريخ مصر»، تأليف **جمال حماد**، صدر ضمن سلسلة **«كتاب الهلال» بالقاهرة**.

الأردن:

معرض لآثار ما قبل التاريخ

أقامت **«جامعة اليرموك»** بالتعاون مع **«هيئة الآثار العامة الأردنية والمركز الأميركي للأبحاث الشرقية»** معرضاً لآثار ما قبل التاريخ في الأردن تحت عنوان **«نصف مليون سنة من العمر»**، وقد اشتمل المعرض على قطع أثرية نادرة تمثل المراحل التاريخية للأردن، وتعكس العلاقات التجارية له مع البلدان الأخرى.

معرض لكتب الأطفال

أقيم في (عمان) المعرض الثامن لكتب الأطفال وذلك تحت إشراف وتنظيم **«أصدقاء الأطفال، الأردني»**، اشتمل المعرض على أعداد كبيرة من الكتب المتنوعة وقصص الأطفال، وكان الهدف من هذا المعرض السعي لتنمية مواهب الناشئة، وحثهم على الاطلاع، وتعريفهم بكتّاب بلدهم.

كتب جديدة

● «المنار في علوم القرآن»، تأليف **الدكتور مهند علي الحسن**، صدر في **عمان**.

● «آفاق اللسان»، تأليف **إبراهيم المعشري**، صدر في **عمان**.

● «قاموس العادات واللهجات الأردنية»، تأليف **روكس زائد العزيزي**، صدر **الجزء الرابع** عن **دائرة الثقافة والفنون الأردنية**.

●● **أما الطريقة الثانية** فهي «حك» الأسنان ABRASION نتيجة الاستعمال المستمر والكثير لمواد التنظيف، كالمعاجين ومساحيق التنظيف المتنوعة المحتوية على مواد مُعرِّية للأسنان، ومن أبرزها مادة الفحم، أو مادة «SMOKERS» المنتشرة بكثرة للأسف، فنرى المنطقة المعرضة له وقد امتلأت بالتعاريج والفجوات، وعلى جميع أسطح الأسنان وبالأخص الجانبية منها. ومن الطريف أن الذين يستعملون أيديهم اليسرى في تنظيف أسنانهم، نجد أن «الحك» يكون على الجانب الأيمن للأسنان، بينما أولئك الذين يستعملون اليد اليمنى فيكون على الجانب الأيسر للأسنان.

●● وقد تحدث التعرية السنية بطريقة أخرى مختلفة كل الاختلاف عن سابقتيها، حيث يكون السبب فيها ما يصيب الإنسان من أمراض جهازية وليست أمراضاً في الفم والأسنان؛ كالمصابين بمرض **«القرحة المعدية GASTRIC ULCER»** الذي يتميز بزيادة أفراز **حامض الهيدروكلوريك**، والذي سيفرز قسماً منها إلى الخارج عن طريق اللعاب إلى داخل الفم، مما يؤدي إلى العمل على تحليل مادة «الميناء» البيضاء؛ الدرع الوقائي للأسنان وظهور «العاج» الذي تحته.

وأحياناً قد يعمل عصير الفواكه المركز وبالأخص عصير الليمون عمل حامض الهيدروكلوريك في تحليل «الميناء»، إذا ما كان استعماله مستمراً وبكثرة. أما الذين يعملون في المعامل والمختبرات الكيميائية، ويتعرضون إلى الحوامض وأبخرتها؛ كحامض النتريك والهيدروكلوريك والكبريتيك المركزة بدرجات متصاعدة، فتكون نسبة التعرية في أسنانهم عالية، وبالأخص في أسنانهم القاطعة الأمامية «INCISORS».

إن علاج هذه الظاهرة المرضية يتم بمراجعة طبيب الأسنان لغرض تقرير الحالة وتشخيصها وتقدير خطورتها وتقدمها؛ فإذا ما كانت الحالة بسيطة، نتيجة تعرض أجزاء صغيرة من العاج للمحيط الخارجي، فتستعمل بعض العوامل المضادة لحساسية الأسنان DESENSITIZING AGENT كمركبات الفورمالديهايد FORMALDHYDE والفينول PHENOL ونترات الفضة SILVER NITRATE والتي تعمل جميعها على قتل نهايات واستطالات الخلايا الحية في مادة العاج وتثبيتها FIX-ATION.

كما تستعمل الأدوية الحاوية على **عنصر «الفلور FLOURIDE»** الذي سيعمل على تكوين مركبات قوية وصلبة مع مادة الميناء تغطي ما تعرى منها.

وفي حالة اتساع المناطق المتعرية وكبرها، فينصح عند ذلك بعمل حشوات خاصة أو تيجان تغطي أسطح السن جميعها، وتمنعها من التأثر الخارجي، كما أنها تضيف إلى قوة السن نفسها قوة جديدة.

د. عامر خالد حسن
بغداد ـ العراق





● «**الأصول العلمية والعملية في تدقيق الحسابات**»، تأليف **عبد الكريم الرحبي**.

● «**مدخل الفنون التشكيلية**»، تأليف **شوقي البعبع**، صدر في **عمان**.

تونس :

ندوة عن التعليم الأساسي

عقدت في تونس ندوة عن «**التعليم الأساسي في الوطن العربي**»، وذلك تحت إشراف وتنظيم **المنظمة العربية للثقافة والعلوم**، حضرها العديد من المتخصصين، ودرست فيها عدة نقاط أهمها :

★ الوثائق المتعلقة بالاتجاهات نحو التعليم الأساسي في البلدان العربية مقارنة بمفاهيم التعليم الأساسي عربياً ودولياً من حيث التقويم واستخلاص المفهوم الملائم للأقطار العربية.

★ دراسة نماذج للتعليم الأساسي من خلال التجربة في بعض البلدان العربية.

★ دراسة وثائق مراحل التعليم الأساسي للصغار والكبار، ومشروع خطة لمحو الأمية، وتعميم التعليم الأساسي.

ندوة عن الطاقة الشمسية

أقيمت في تونس ندوة دولية حول «الطاقة الشمسية وتنمية الريف»، وذلك تحت إشراف وتنظيم **المنظمة العربية للطاقة الشمسية وجمعية المغرب العربي** بمشاركة عدد من الخبراء العرب والأجانب، استمرت الندوة ثلاثة أيام من شهر شعبان، استمع فيها الحاضرون إلى عدد من المحاضرات والبحوث التي تعالج استغلال الطاقة الشمسية، وطرق استخدامها، وانعكاساتها على تنمية المناطق الريفية.

كتب جديدة

صدرت **الكتب التالية** عن **دار صلامبو للنشر بتونس** :

★ «**تلك المرأة ... الوردة**»، **مجموعة قصصية** للقاص الفلسطيني **يحيى يخلف**.

★ «**تفاح المجانين**»، **رواية**، تأليف **يحيى يخلف**.

★ «**آه يا بيروت ... زمن الحصار**»، مذكرات تأليف القاص الفلسطيني **رشاد أبو شاور**.

★ «**الجازية الهلالية**»، تأليف **محمد المرزوقي**، صدر عن **الدار التونسية للنشر والتوزيع**.

● «**عائشة**»، **رواية** تأليف السيد **بشير بن سلامة**، صدرت في **تونس**.

● «**نور وشفاء**»، تأليف **الدكتور الشاذلي التركي**، صدر في **تونس**.

العراق :

رابطة للنقاد

تشكلت في (بغداد) رابطة باسم «رابطة نقاد الأدب في العراق»، حيث ستتولى تعزيز الروابط بين النقاد العراقيين والنقاد العرب والأجانب بالتعاون مع المنظمات العربية والأجنبية ذات الأهداف المماثلة، كما يأتي تأسيس هذه الرابطة تأكيداً على أهمية النقد الأدبي ودور النقاد في تأكيد القيم الإيجابية في فكر الأمة وتراثها الحضاري.

ندوة علمية

عقدت في (بغداد) ندوة علمية عن **تطور أنماط البناء وصناعة الطابق الطيني في الوطن العربي**، وقد استمرت ثلاثة أيام. هذا وقد اشترك في الندوة خبراء وباحثون من عدة دول عربية ناقشوا خلالها عدة بحوث تناولت الاحتياجات العصرية للمواطن العربي، وتكنولوجيا الطابق الطيني، وصناعة الطابق الخفيف من المواد المحلية وتطبيقاتها العملية.

كتب جديدة

● «**الموشحات العراقية منذ نشأتها إلى نهاية القرن التاسع عشر**»، تأليف **الدكتور رضا مكرم القريشي**، صدر عن **وزارة الثقافة والإعلام العراقية**.

● «**مدائن الظلال**»، تأليف **محمد رضا آل صادق**، صدر عن **وزارة الثقافة والإعلام العراقية**، **وهو عبارة عن مجموعة شعرية**.

● «**الأدب ومعارك العرب المصيرية**»، تأليف **الدكتور عادل جاسم البياتي**، صدر ضمن سلسلة «**الموسوعة الصغيرة**» التي تصدر في **بغداد**.

● «**هذا هو السياب**»، تأليف **مدني صالح**، صدر عن **وزارة الثقافة والإعلام**.

● «**الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين**»، تأليف **الدكتور عبد الجبار جعفر القزاز**، صدر عن **دار الرشيد ببغداد**.

● «**مقدمة في علم الآثار**»، تأليف **الدكتور تقي الدين الدباغ**، صدر عن **دار الجاحظ ببغداد**.

الجزائر :

كتب جديدة

● «**زمن الهجير**»، **مجموعة قصصية** للقاص **العيد بن عروس**، صدرت عن **الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر**.

● «**نجمة الساحل**»، **رواية**، تأليف **عبد العزيز بوشفيرات**، صدرت عن **الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر**.

● «**تاريخ الجزائر الثقافي**»، ج٢، من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، تأليف، **الدكتور أبو القاسم سعد الله**، **صدر عن الشركة الوطنية للنشر**.

● «حياة كفاح»، ج ٣، تأليف **أحمد توفيق المدني**، صدر عن **الشركة الوطنية للنشر والتوزيع**.

● «**الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر**»، صدر عن **منشورات آمال** التي تصدرها **وزارة الثقافة**.

المغرب :

كتب جديدة

● «**المعطف والريح**»، **مجموعة قصصية** للقاص **أحمد مفتاح البقالي**، صدرت عن **دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط**.

● «**المغرب.. تاريخه، حضارته، حقيقته**»، تأليف **علي طعمة**، صدر عن **مؤسسة الهيثم للصحافة والطباعة والنشر ببيروت**.

● «**حباب**»، **ديوان شعر** للشاعر **محمد بن العابد الفاسي الفهري**، صدر في **الرباط**.

● «**حالات معتادة جداً**»، تأليف **محمد صوف**، صدرت في **الرباط**.

● «**درجة الصفر للكتابة**»، تأليف **رولان بارت**، ترجمة **محمد برادة**، صدر بالمشاركة عن **الشركة المغربية للناشرين المتحدين بالرباط والطليعة ببيروت**.

● «**من قضايا المسرح المغربي**»، تأليف **عبد الرحمن زيدان**، صدر وطبع **بمطبعة مكناس**.

البحرين :

معرض تشكيلي

أقيم في (المنامة) المعرض العاشر **لجمعية البحرين للفن المعاصر**، ضم المعرض (١٣٠) لوحة، واشترك فيه أكثر من ثلاثين فناناً وفنانة، هذا وقد جاءت تلك الأعمال معبرة عن مختلف الاتجاهات الفنية وممثلة للبيئة البحرينية

نافذة

فكرة للمناقشة..

تصر الصحف والمجلات على عدم نشر أي مادة سبق نشرها، وتشترط على الكاتب عندما يبعث بمادته إليها أن تكون جديدة وإلا فتمتنع عن قبولها.. ومازلت أذكر الأذى الذي لحق بسمعة أديب أعاد نشر مقال له في إحدى المجلات العربية.. وهذا التقليد الذي درجت عليه الصحف والمجلات لا يخلو من وجاهة الرأي. فالصحيفة أو المجلة تحب أن تقدم للقارئ الإنتاج الفكري البكر الجديد. وهو أمر يحدد، معظم الأحيان، مستوى المطبوعة، كما يشير إلى مدى احترامها القارئ، وحرصها على الاحتفاظ بشخصيتها التي تتميز بها عن غيرها من المطبوعات.

وبالرغم من عراقة هذا التقليد وأثره في محافظة المطبوعة على مكانتها من ناحية، وتقيدي التام بهذا التقليد الذي اكتسب، مع الأيام، قوة القانون من ناحية أخرى، أود هنا أن أتساءل: وماذا لو أعيد نشر المقال الجيّد في أكثر من صحيفة أو مجلة؟ وأعترف أن هذا التساؤل مبعثه دعوة تلقيتها من مجلة تطلب تزويدها بشيء من إنتاجي، ولا مانع إن كان قد نشر سابقاً فأحببت أن أطرح هذا الموضوع على بساط البحث في عالم الثقافة.

فالمقال الذي ينشر في مطبوعة واحدة يبقى أسير صفحات تلك المطبوعة ولا يطلع عليه سوى عدد محدود من الناس. وهذا يعني أن المقال عاش مرة واحدة ثم طوي في زوايا النسيان. وترجمة هذا، بلغة المال والاقتصاد، أن المجتمع لم يستفد من تلك العملة سوى دورة واحدة بعد أن حظر تداولها بين الناس عن طريق إعادة النشر.

أما الأديب أو الكاتب الذي جهد في كتابة مقاله فقد فرض على اسمه (الإقامة الجبرية) في مكان واحد وهو المطبوعة التي نشر فيها المقال، وأما من الناحية المادية فلا أعتقد أن مكافأته توازي جهده عندما يقتصر النشر على مرة واحدة.

وإذا ما قارنا المقال بالأغنية أو المسلسل الإذاعي أو التليفزيوني أدركنا مدى الظلم الواقع على المقال.. فالأغنية نفسها تذاع من جميع دور الإذاعة والتليفزيون مئات المرات، كما توزع على أشرطة (الكاسيت) و(الفيديوكاسيت)، وأما التمثيليات الإذاعية والتليفزيونية فإنها تذاع وتعرض بعض الأحيان في آن (واحد) من أكثر من إذاعة أو تليفزيون دون اعتراض من أحد.. مع الفارق بين قيمة الأغنية والمقال وأثرهما في عالم الفكر والثقافة.

إن نشر المقال نفسه في أكثر من مطبوعة هو أحد وسائل نشر الثقافة وتعميمها على قطاعات واسعة من المجتمع. وهو، في الوقت ذاته، تعريف بصاحب المقال.. على أن هذا لا يخلو من بعض الثغرات التي يجب عدم إغفالها عن طريق تنظيم هذه العملية، وذلك من خلال ترتيب أو نظام يصدر عن الهيئات الثقافية المعنية، كأن يسمح للكاتب بإعادة نشر مقاله بعد مدة محددة من الزمن، وفي مجلة أو صحيفة تصدر في بلد غير البلد الذي نشر فيه المقال أول مرة.

إن نشر المقال في مطبوعة واحدة هو خسارة للثقافة والقارئ على حد سواء.. ولا أرى غضاضة في إعادة نشر المادة الجيّدة على ألا يسير ذلك في الاتجاه التجاري.

ولئن كانت هذه الفكرة جديدة على الإنتاج الثقافي: أدباً كان أو علماً، فإنها ليست جديدة على المقال السياسي الصحفي الذي اعتدنا أن نقرأه في أكثر من صحيفة أو مجلة باتفاق بين الأطراف المعنيّة.. أو، بمعنى مختصر آخر، لماذا لا نتداول (عملة) الثقافة؟.

● المجلة: مع احترامنا الكبير لوجهة نظر الكاتب إلا أننا نرى عدم وجاهة الحجج التي ارتكز عليها لتبرير فكرة تكرار نشر الموضوعات.. ونأمل أن يطالع القارئ ردنا مفصلاً في مكان آخر من هذا العدد، وبالتحديد في زاوية (كلمة).

إبراهيم السمان
وزارة الإعلام
عمان ـ الأردن



وقد استخدم الفنانون في رسمها الألوان المائية والزيتية والسيراميك والنحت على الخشب والجبس ، وقد استمر المعرض أسبوعاً .

كتب جديدة

● «السفرة الخليجية» ، تأليف **إفنان الزياني** ، صدر في المنامة .

الإمارات العربية

معرض للكتاب

أقيم في مدينة (**الشارقة**) بدولة الإمارات العربية المتحدة **معرض للكتاب العلمي والإسلامي** باللغة العربية وعدة لغات أجنبية ، ضم المعرض أحدث الكتب الإسلامية في الفقه ، والتفسير ، كما يضم أحدث الكتب في مجالات العلوم المختلفة .

كتب جديدة

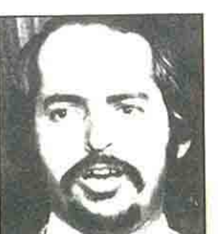
● «**كاريكاتير ٨١**» ، **مجموعة رسوم** للرسام **جلال الرفاعي** ، وضعت في كتاب .

● «**خواطر وذكريات**» ، **ديوان شعر للدكتور مانع سعيد العتيبة** ، صدر في **دبي** .

الكويت

كتب جديدة

● «**مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية**» ، تأليف **عبد العزيز العربي بن عبد الجليل** ، صدر عن **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت** .





★ د . مانع سعيد العتيبة ★ ★ إسماعيل فهد إسماعيل ★

● «**النواطير**» ، عنوان الجزء الثاني من رواية «**النيل الجاري**» ، تأليف **الروائي الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل** ، صدر في **الكويت** .

● «**وصف البحر والنهر في الشعر العربي** من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني» ، تأليف **الدكتور حسين عطوان** ، صدر في **الكويت** .

● «**البركان ــ مواقف وأشعار**» ، **ديوان لأشعار شيوخ القبائل وكبار القوم** ، جمعه الشاعر **شاهر محسن فراج الأصقه المطيري** ، صدر في **الكويت** .

● «**الأطروحات الإسلامية ــ دليل** ببليوجرافي ١٤٠٢هـ» ، إعداد **محيي الدين عطية** ، صدر عن **دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع بالكويت** .

● «**صلاة الجماعة**» ، تأليف **عبد الله السبت** ، صدر عن **الدار السلفية بالكويت ضمن سلسلة «قضايا فقهية»** .

عمان

كتب جديدة

● «**عُمان وتاريخها البحري**» ، صدر عن **وزارة التراث القومي والثقافة بالسلطنة** .

فلسطين

كتب جديدة

● «**الإسلام وفلسطين**» ، تأليف **رفيق**

محاضرات

● «البترول ومشكلات العصر العلمية والطبية والصناعية» ، محاضرة ألقاها الدكتور فاروق زيدان بالكلية المتوسطة بالرس .

● «مناهج البحث عند المسلمين» ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد عبد الرحمن عبد الله بالكلية المتوسطة بالرس .

● «والآن . . . ماذا نريد من الأدب ؟» ، محاضرة ألقاها الدكتور حسن ظاظا بالنادي الأدبي بجدة .

● «لمحة عن بعض المبادئ الأساسية العلمية لطب الأذن» ، محاضرة ألقاها الدكتور حسين حامد دخيل بالنادي الأدبي بجدة .

● «القرآن والعلوم الحديثة» ، محاضرة ألقاها الدكتور موريس بوكاي بنادي أبوظبي السياحي .

● «مكانة شوقي في حركة التجديد الشعري» ، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الحكيم حسان بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

● «مناهج البحث في التربية الإسلامية» ، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الغني عبود بقاعة المحاضرات بكلية العلوم الاجتماعية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

● «من مظاهر التجديد في الشعر السعودي المعاصر» ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد مصطفى سلام في النادي الأدبي بالطائف .

● «المخططات الاستعمارية لتهويد فلسطين» ، محاضرة ألقاها رفيق النتشة بكلية التربية بأبها .

شاكر النتشه ، صدر عن منشورات فلسطين المحتلة .

● « رجال من فلسطين ما بين بداية القرن حتى ١٩٤٨ م » ، تأليف عجاج نويهض ، صدر عن منشورات فلسطين المحتلة .

سورية :

كتب جديدة

● « أغان إلى زهرة اللوتس » ، ديوان شعر للشاعر سليمان عواد ، صدر ضمن منشورات اتحاد الكتّاب العرب بدمشق .

● « من سرق القمر » ، ديوان شعر للشاعر مصطفى أحمد النجار ، صدر عن مطبعة المعري بحلب .

● « المتسكع » ، مجموعة قصصية تأليف عبد الرزاق جعفر ، صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق .

● « الثقافة الغربية في الجزائر بين التأثير والتأثر » ، تأليف الدكتور عبد الملك مرتاض ، صدر عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق .

● « أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم » ، صدر عن معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب .

● « الجبر والمقابلة » ، تأليف عمر الخيام ، تحقيق الدكتور رشدي راشد بالتعاون مع أحمد جبار ، صدر عن معهد التراث العلمي بجامعة حلب .

● « الساعات المائية العربية » ، تأليف الدكتور دونالد هيل ، صدر باللغة الإنجليزية عن معهد التراث العلمي بحلب .

لبنان :

كتب جديدة

● « الشياطين الحمر والمسيرة الخضراء » ، روايتان تأليف الكاتب والقصصي السعودي غالب حمزة أبو الفرج ، صدرتا عن دار الآفاق ببيروت .

● « نوافذنا ... نوافذهم » ، مجموعة شعرية للشاعر هاشم شفيق ، صدرت عن مؤسسة فكر للأبحاث والنشر ببيروت .

● « الصراع العربي الإسرائيلي بين الرادع التقليدي والرادع النووي » ، تأليف أمين حامد هويدي ، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت .

● « أحمد أمين ـ حياته وأدبه » ، تأليف عامر العقاد ، صدر عن دار الجليل ببيروت .

● « دراسات إسلامية » ، تأليف الدكتور حسن حنفي ، صدر عن دار التنوير ببيروت .

● « في صالون العقاد ... كانت لنا أيام » ، تأليف أنيس منصور ، صدر عن دار الشروق ببيروت .



رسائل جامعية

●● « البيئة وأثرها في الأحكام الشرعية » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالمعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها الشيخ صالح بن غانم السدلان .

●● « المرسل : اختلاف الأصوليين في حجته وأثره في اختلاف الفقهاء » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد صالح سعيد باقلاقل .

●● « أحكام الغصب في الشريعة الإسلامية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد إبراهيم يوسف محمد إبراهيم .

●● « تفسير سورة الكهف » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد شير علي شاه .

●● « المسائل النحوية في الآيات القرآنية بين الزمخشري وابن هشام » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية بالرياض التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، تقدم بها السيد جبران أحمد صالح .

●● « كتاب الفصل في شرح المفصل » ، تحقيق ودراسة ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الأزهر ، تقدم بها السيد عبد الباقي عبد السلام الخزرجي .

●● « معلمات المرحلة الابتدائية في منطقة الرياض التعليمية ـ بعض مشكلاتهن وتأثيرها في اتجاهاتهن نحو مهنة التعليم » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الملك سعود بالرياض ، تقدمت بها السيدة فوزية بكر البكر .

●● « ابن جزي الكلبي ومنهجه في التفسير » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد علي محمد الزبيري .

●● « الاشتراك في الجريمة » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد إبراهيم بن عبد الرحمن الجهيمان .

●● « الوصف المناسب لشرع الحكم » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها الشيخ أحمد محمود عبد الوهاب .




★ سارتر ★


★ فولتير ★ ★ توماس كارليل ★

فرنسا

ترشيح «شار» لجائزة نوبل

الشاعر الفرنسي «رينيه شار» الذي اشتهر بقولته «**القبول هو النهاية، وإن الرفض اندلاع مستمر**» رشح أخيراً لجائزة نوبل وذلك من قبل الأكاديميات الفرنسية التي أقامت أخيراً متحفاً خاصاً لأعماله. الجدير بالذكر أن أعمال (شار) قد ترجمت إلى كثير من لغات العالم وأحدثت صدى لدى أنصار الشعر الحديث والإبداع المتجدد، هذا وقد قامت «**دار غاليمار**» الفرنسية بطبع مجموعته الكاملة.

مؤلفات عن الحرب الثانية

صدرت في العاصمة الفرنسية عدة كتب تتناول نبذة ووثائق ومستندات عن الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م، ومن بين ما تناولته هذه الكتب فكرة أن الحرب هي جريمة ضد الإنسانية، ومن ثم المناداة بالسلام.

أحدث الكتب

● «**عندما تموت الصراصير**»، رواية للأديب الجزائري **مصطفى هاسيان**، صدرت في **باريس**.

● «**الفيلسوف الفرنسي ـ فولتير**»، تأليف **أندريه بوفيه**، صدر في **الأسواق الفرنسية**.

● «**تاريخ المسرح الإسباني في القرن السادس عشر**»، صدر عن **دار النشر الفرنسية «غاليمار»**.

● «**دفاتر الحرب الغريبة**»، **مجموعة مقالات** كتبها **جان بول سارتر**، صدرت في كتاب عن **دار «غاليمار» للنشر**.

● «**دفاتر مناقب**»، **مجموعة ملاحظات وأفكار** كتبها **جان بول سارتر**، وضعت في كتاب وصدر عن **دار «غاليمار» للنشر بباريس**.

● «**الفن المعماري المصري في عهد المماليك**»، تأليف **جان كلود جرسان وبرنارد موري ومنى دالي**، صدر في **باريس**.

● «**أغاني مهيار الدمشقي**»، ديوان شعر للشاعر **أدونيس**، صدرت ترجمته الفرنسية عن دار «سندباد» **بباريس**.

بريطانيا

الاحتفال بكارليل

بمناسبة مرور مائة عام على وفاة **المؤرخ والأديب الأسكتلندي «توماس كارليل»**، فقد أقيم معرض خاص في **الغاليري الوطنية بلندن** حيث ضم رسوماته التي أعدها **لميليز وفورد مادوكس**. ومما يذكر أن كارليل هو الذي **أنشأ مكتبة لندن عام ١٨٤٠م**، التي أصبحت لها اليوم شهرة عالمية.

معرض مصري

أقيم «بمتحف الفن البريطاني» معرض مصري كبير وذلك تحت عنوان «**من وحي مصر**» حيث عرضت فيه نماذج وعيّنات تعكس آثار الحضارة المصرية، كما تعكس جوانب الحضارة الإسلامية في مصر بفنها وعمارتها المميزة، كما عرضت فيه أيضاً بعض الآثار التي عثر عليها المستكشفون الأوائل، ولوحات الفنانين الذين زاروا مصر وصدرت أعمالهم، وفي أثناء هذا المعرض نظمت ندوة حول «أثر الفن والعمارة المصرية على فناني القرن العشرين». ومما يذكر أن المعرض قد استمر حتى ١٧ من شهر يوليو (تموز) من عام ١٩٨٣م.

تركيا

معرض عن «حضارة الأناضول»

أقيم في «إستامبول» معرض عن حضارة الأناضول حيث عرض فيه أكثر من ١١٨٠٠ نموذج من نوادر الثقافة الأناضولية من عهد ما قبل التاريخ حتى اليوم الحاضر، هذا وقد أقيم هذا المعرض بهدف إتاحة الفرصة للعلماء ورجال الآثار للاطلاع على التاريخ الثقافي للأناضول عبر العصور. ومما يذكر أن معروضات هذا المعرض قد اختيرت من (٥٩) متحفاً في جميع أنحاء تركيا ومن بين المعروضات ما اكتشف حديثاً ولم يعرض من قبل، **ويمثل المعرض فترتين تاريخيتين مميزتين**:

★ تمتد الأولى من عصر ما قبل التاريخ مروراً **بالعصرين اليوناني والروماني** وحتى **نهاية العصر البيزنطي**.

★ الثانية تشمل عهد **السلاجقة** في القرن الثاني عشر **والإمبراطورية العثمانية**.

هذا وقد أقيم هذا المعرض خلال شهر شعبان ١٤٠٣هـ، الموافق شهر مايو (أيار) سنة ١٩٨٣م.

أسبانيا

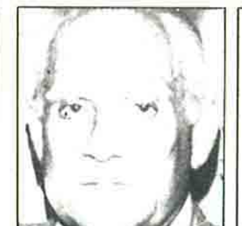
أسبوع ثقافي عراقي

أقيم في (قرطبة) أسبوع ثقافي عراقي وذلك تحت إشراف وتنظيم المركز الثقافي العراقي في مدريد بالتعاون مع جامعة قرطبة والمركز العربي القرطبي حيث ألقيت فيه المحاضرات:

★ «**العراق اليوم**» ألقاها السفير العراقي بإسبانيا.

★ محاضرات لعدد من المستشرقين الإسبان.





★ عبد الوهاب البياتي ★ ★ ألبرتو مورافيا ★

كما أقيم فيه معرض للكتاب بعدة لغات . ومما يذكر أن المعرض قد أقيم خلال شهر مايو (أيار) سنة ١٩٨٣م .

أحدث الكتب

● «قصائد حب أمام بوابات العالم السبع» ، مجموعة شعرية للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي ، صدرت مترجمة إلى الإسبانية بمدريد .

ألمانيا :

ندوة عن الحضارة الإسلامية

عقدت في ميونيخ بألمانيا الغربية اجتماعات **الندوة الدولية للحضارة الإسلامية** حيث استمرت تسعة أيام وذلك خلال شهر مايو (أيار) سنة ١٩٨٣م ، شارك فيها مائة عالم من المفكرين والعلماء من الدول الإسلامية ، نوقشت فيها عدة موضوعات تتعلق بما يدور حول الحضارة الإسلامية .

إيطاليا :

جائزة مونديللو

حصل الروائي الإيطالي المعاصر «ألبرتو مورافيا» على جائزة «مونديللو الإيطالية» التي تعتبر من أهم الجوائز الإيطالية في مجال الإبداع الأدبي ، وقد منح هذه الجائزة تقديراً لجهوده التي يبذلها في تحقيقاته الصحفية . وألبرتو مورافيا روائي إيطالي ولد عام ١٩٠٧م ، ويعتبر من أعلام الأدب الإيطالي الحديث .





أخبار الغد

ستصدر الكتب التالية عن **نادي المدينة المنورة الأدبي** :

★ «**ذكريات من المدينة المنورة**» ، بقلم **عثمان حافظ** .

★ «**ضفاف الذكريات**» ، **ديوان شعر** للشاعر **مجدي نضر خاشقجي** .

★ «**معجم مصنفات القرآن الكريم**» ، إعداد **الدكتور علي شواخ إسحاق** ، سيصدر عن **دار الرفاعي في الرياض** .

تنوي وزارة الثقافة المصرية إصدار **ملحقاً ثقافياً** يحتوي على **نتاجات شعرية قصصية** ، **وألواناً أدبية أخرى** وذلك بهدف نشر الأدب المصري خارج الحدود العربية على وجه الخصوص كتعريف به ، وسيكون للأدباء البارزين النصيب الأكبر فيه . الجدير ذكره أن **الملحق سيصدر بأربع لغات** إضافة إلى **اللغة العربية** .

ستصدر خلال هذا العام في مصر عدة موسوعات منها :

★ «موسوعة فلكية» .

★ «معجم لأعلام الفكر الإنساني» .

★ «موسوعة ببليوغرافية للمسرح المصري» .

★ «قاموس للجيب» بخمس لغات هي : العربية ، الإنجليزية ، الفرنسية ، الألمانية ، الصينية .

★ إصدار سلسلة كتب بعنوان «مصر النهضة» التي ستحتوي على أهم إنجازات مصر الحديثة منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى الآن .

● «**دراسة لكتب إعجاز القرآن الكريم في القرن الرابع الهجري**» ، مع ترجمة لكتاب إعجاز القرآن للخطابي ، بقلم **الدكتور كلود أودبار** ، ستصدر عن **المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية في دمشق** .

ستصدر الكتب التالية في عمّان :

★ «**الاعتماد في نظائر الظاء والضاد**» ، تأليف **ابن مالك** ، تحقيق **الدكتور حنا جميل حداد** .

★ «**تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهى**» ، تأليف **أبو محمد عبد الله بن إسحق الصميري** ، تحقيق **الدكتور حنا جميل حداد** .

★ «**المقنع في الفلاحة**» ، تأليف **ابن حجاج الإشبيلي** ، تحقيق **صلاح جرار وجاسر أبو صفية** ، إشراف **الدكتور عبد العزيز الدوري** .





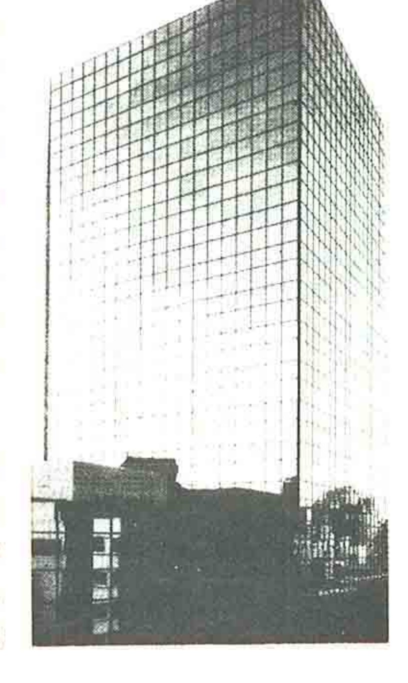
قاتل الإعلانات

من الملاحظ أن التلفزيون في كثير من دول العالم يبث كثيراً من **الإعلانات التجارية** . وقد بلغت أرباح بعض شركات التلفزة الخاصة في **الولايات المتحدة** أكثر من ٣٠٠ مليون دولار في السنة ، والمصدر الرئيسي للدخل هو **الإعلانات التجارية** رغم أن معظم مشاهدي التلفزيون يتضايقون من هذه الإعلانات .

ولإرضاء هؤلاء « **المتذمرين** » ابتكرت **شركة (فيديو ميفا)** في ولاية **أوريغوت الأميريكية « قاتل الإعلان اللاسلكي »** : ضغطة زر واحدة توقف كلًّا من **الصوت والصورة** فترة محددة يمكن برمجتها حسب الطلب .

مبنى بدون تدفئة

من المعروف أن قسماً كبيراً من الطاقة الإجمالية التي يستهلكها الإنسان ، تذهب في **التدفئة وتكييف الهواء** . ومع ارتفاع أسعار المحروقات وتناقص مخزونها ، فقد اتجهت النية إلى التقليل من استهلاك الطاقة ، وهذا بدوره يركز على توفير كميات الطاقة اللازمة للتدفئة . **وقد انعكس ذلك بدوره على تصميم المنازل الحديثة بحيث لا تحتاج إلى تدفئة (أو إلى جزء يسير منها)** . وتبين الصورة ، مبنى مؤلفاً من ٢٠ طابقاً في مدينة **كالغاري** الكندية . ومع أن الفرق بين درجتي الحرارة في داخل المبنى وخارجه تزيد عن ١٠٠ درجة فهرنهايت إلا أن المبنى بدون مدافئ . ومصادر الحرارة ضمن المبنى ، هي **الناس ، والمصابيح ، والتجهيزات** . والأهم من كل ذلك ، هو عزل جدران المبنى بشكل جيد لمنع تسرب الحرارة ، بالإضافة إلى الاستفادة من حرارة الشمس .

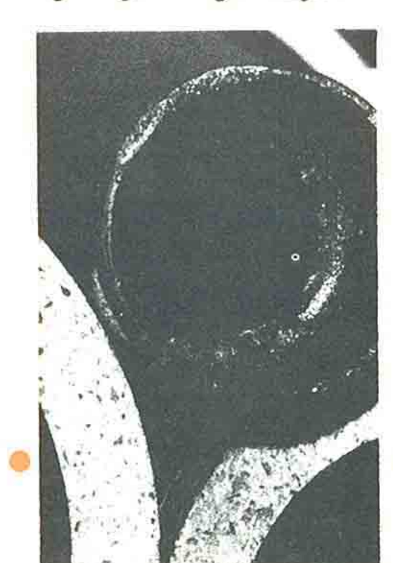


ومع أن هذا المبنى ليس الوحيد من نوعه من المباني ، في الآونة الأخيرة ـ والتي اتبع في تصميمها كل أساليب حفظ الطاقة وتوفيرها ـ ولكنه قد يكون أكثرها لفتاً للانتباه .

لبنات القمامة

تعتبر فضلات اللدائن والبلاستيك من أسوأ مخلفات الحضارة الصناعية ، فبينما تتمكن الأحياء الدقيقة من « الفتك » بفضلات الطعام والخشب وما شابهها من أوراق الخريف ، إلا أنها عاجزة عن تفتيت البلاستيك واستهلاكه . ونظراً لزيادة الإقبال على هذه المواد « **الرخيصة** » في العقود الأخيرة ـ حيث تستعمل كثير من الكؤوس والقوارير مرة واحدة ثم ترمى ـ فإن تراكمها يمثل ظاهرة سيئة من مظاهر الحضارة الحديثة .

في السنوات الأخيرة قوي الاتجاه نحو الاستفادة من جبال الفضلات هذه ، والمجال الجديد المقترح ، هو في أعمال البناء . وبالفعل يستفاد من الفضلات المكونة من اللدائن مثل بلكسي غلاس أو بولي استر ـ في عدة ولايات أميركية ـ في عمليات إصلاح الطرق والجسور كبديل للأسمنت . وببساطة تذاب هذه المواد مع الرمل والحصى والأحجار ، فتربطها بشكل أمتن من معظم المواد اللاحمة التقليدية (كالأسمنت والجص وغيرها) . والمزيج الناتج متين إلى حد أن العلماء تمكنوا من تشكيله بصورة لبنات **(طوب)** للبناء ولرصف الشوارع .



في الصورة : يمكن صنع أنابيب المجاري القوية باستعمال لبنات القمامة .

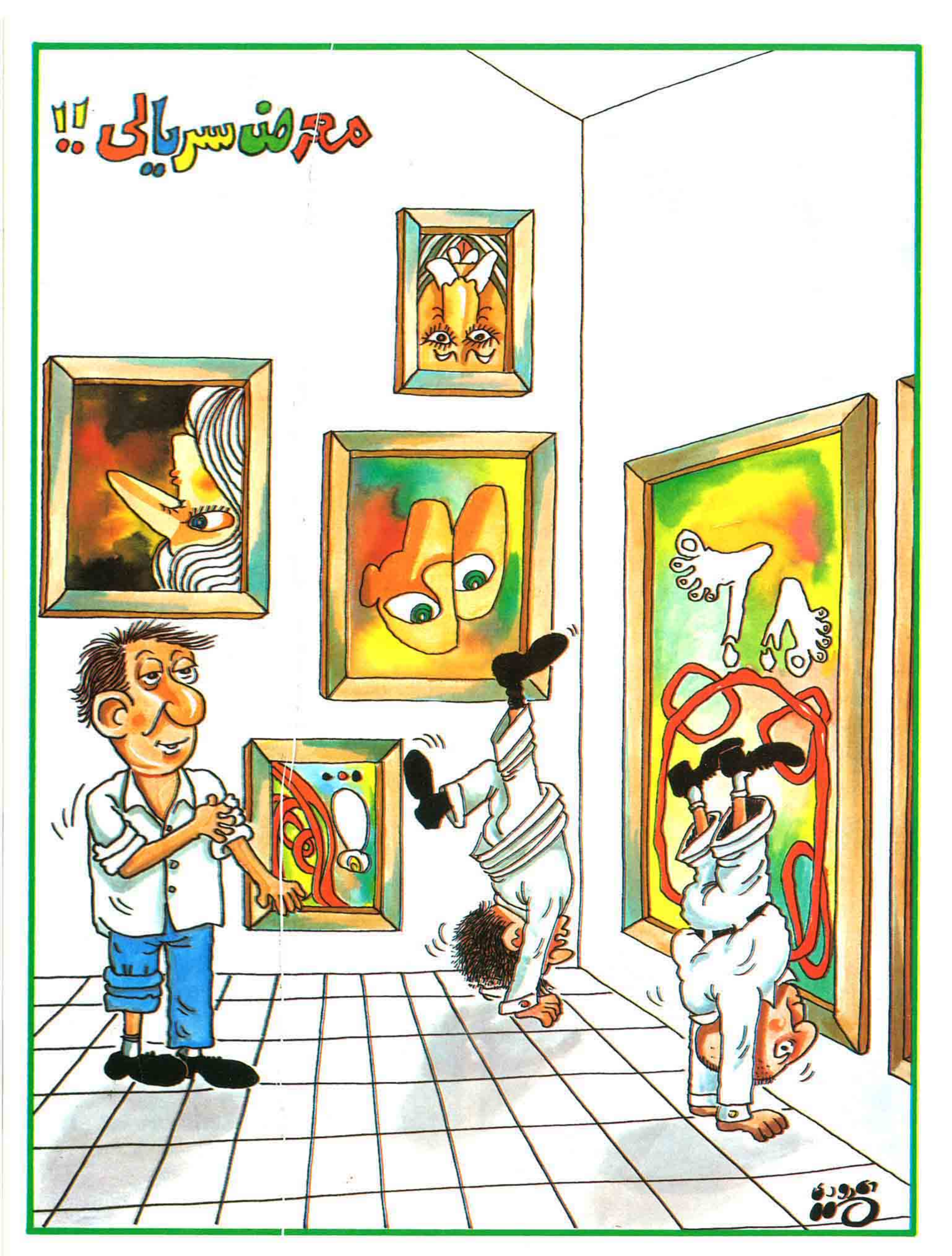
كهرباء المزروعات

تبين من الدراسات التي أجريت في جامعة أريزونا الأميركية أن لكل نوع من النباتات مزايا كهربائية خاصة به ، وهذه يصدرها النبات على شكل إشارات كهربائية ، وذلك حسب تقلبات أحوالها اليومية ، وحاجتها للماء ودرجة نموها .

وقد عمد في هذه الدراسة إلى وضع النبات في دائرة كهربائية مغلقة ، بحيث يوصل أحد الأقطاب إلى نسيج النبات ، بينما يوصل القطب الآخر إلى الأرض . تقوم علبة تحكم مركزية بأخذ القراءات وتبثها لاسلكياً إلى مستقبل ، حيث تتحول بواسطة حاسب إلكتروني إلى أرقام عددية .

وتتلخص أهمية هذه الطريقة في أنها تساعد على تحديد أنسب أوقات سقاية المزروعات وبالتالي فهي ستحسن مردود الزراعة حتماً . ويعتقد الباحثون أن هذه الطريقة أنسب من الطريقة التقليدية المعهودة التي تعتمد على التربة . وتتجه النية حالياً إلى توحيد القراءات في قراءة واحدة يحتاجها المزارع مرة واحدة ، بشكل دوري (يومياً أو أسبوعياً مثلاً) .

لكل نبات مزايا كهربائية خاصة تكشف سرعة نموه ومدى حاجته للماء .


معرض سريالي !!



بجاية.. لؤلؤة المغرب

بقلم: محمود رداوي

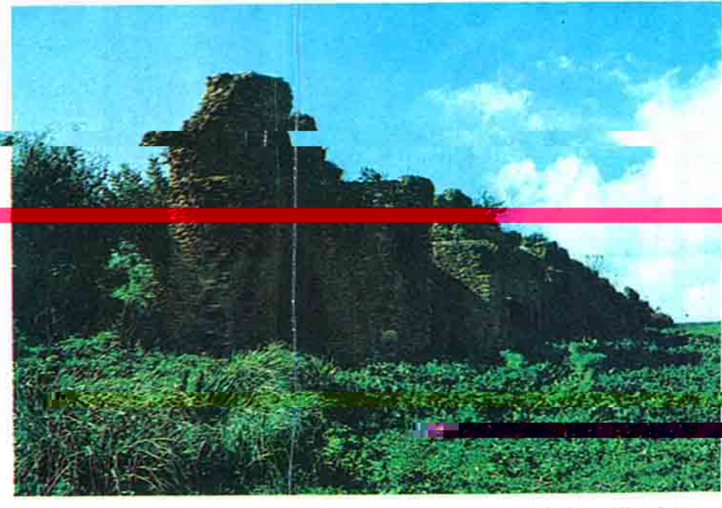
تنهض على ساحل البحر الأبيض المتوسط في القطر الجزائري، مجموعة من المدن، التي حفتها الطبيعة بخلجان رحبة، وحباها الله بجمال ساحر، ومن هذه المدن: عنابة، وسكيكدة، وبجاية، والجزائر العاصمة، ووهران.

وقد تميزت مدينة (بجاية) عن غيرها من المدن الأخرى بطابع خاص يجمع الهدوء والفن، والتاريخ والأسطورة.. لذلك حضها الأمراء الحماديون عاصمة لدولتهم دون المدن الأخرى، فكانت (لؤلؤة المغرب) بحق، ومطمح العلماء، وموطن الشعراء.

موقعها

تقع (بجاية) على خليج واسع، وتمتد فيه، فيشيع حولها الحماية والوداعة والهدوء والاطمئنان. بينما يقابل المدينة في الجهة الأخرى للخليج جبال (**البوابير**) الشاهقة.

وتتوسط (بجاية) الطريق الساحلي ما بين (**جيجل**) شرقاً، و(**تيزي وزو**) غرباً لمنطقة القبائل.. التي تمتد عبرها السهول المخضرة بأصناف أشجار الحمضيات وغيرها. كما أن **وادي** (**نهر**) الصمام الذي يقدم من الجنوب الغربي، نراه يصب في (بجاية).. وتمتد مدينة بجاية الحديثة نحو ذلك الوادي، بينما المدينة القديمة، وهي **بجاية الناصرية**، فتمتد في صعود نحو **قمة** (**غوراية**)، وتفصل (**الغابة المباركة**) ما بين المدينتين.



★ تحصينات رومانية ★



★ بجاية: الميناء وحصن عبد القادر ★

★ قوس كامل من باب البنود ★



★ فسيفساء رومانية معروضة في متحف بجاية ★

تسميتها

تعددت المصادر العربية والأجنبية في تسمية (بجاية)، ولقد ذكرها **ابن خلدون** بقوله: «في سنة ٤٦٠ هـ، افتتح الناصر جبل بجاية، وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم، فلما افتتح هذا الجبل، اختط به المدينة، وسماها «**الناصرية**»، وتسمى عند الناس باسم «**القبيلة**»، وهي بجاية». أي أن ابن خلدون يرجع تسميتها إلى القبيلة التي كانت تسكنها.

بينما يطلق الفرنسيون عليها اسم (**بوجي**) وهي (**الشمعة**)، لأنهم يرون أن مدينة (بجاية) كانت تشتهر بهذا النوع من الشموع، وتصدره إلى جميع المناطق، بما فيه شمع النحل. لذلك فأغلب المعاجم الفرنسية تقول: «بوجي ـ بجاية ـ مدينة في الجزائر يصنع فيها هذا النوع من الشموع». وربما كان ثمة تشابه بين ضوء الشمعة، وضوء بجاية.

بجاية والتاريخ

وإن لم يحدد لنا التاريخ بدقة، عن دور **الفينيقيين والرومان القدماء في أهمية** بجاية، فإنها كانت بلا شك مركزاً تجارياً فينيقياً. لأننا نجد في المتحف الحالي للآثار الفينيقية، الكثير مما يشهد على استقرار الفينيقيين لتلك المنطقة، ومن ثم تحولها إلى مستعمرة رومانية أطلق عليها (**صلداية**)، ولأنه إلى اليوم تستخدم بجاية الأقنية الرومانية في تزويدها بالماء، التي يبلغ عمرها أكثر من خمسة عشر قرناً. كما أن (صلداية) كانت معاصرة لكثير من المدن والآثار الرومانية في تلك البلاد، مثل **مدينة (تيبازا) في موريتانيا، و(لامبيز) و(تمفاد) التابعتان لسرتا (قسنطينة)**. ومتحف بجاية، يعرض الكثير من الآثار الرومانية للمنطقة من فسيفساء وغيرها.

بجاية .. وبنو حماد

لم يتضح تاريخ بجاية إلا في **العهد**



★ تحصينات حمادية في سطح الفوارية ★

الإسلامي ، وبعد أن امتد الإسلام ــ في القرن العاشر الميلادي ــ إلى جميع أنحاء شمال إفريقيا (تونس والجزائر والمغرب) .

ولقد كان **المعز لدين الله الفاطمي** آخر حكام تونس والجزائر . . وحينما اتجه إلى مصر ، أوكل الحكم والسلطة إلى (**بولفين بن زيري**) ، لمكانته القبلية ، ولولايته (**أشير**) المدينة التي أنشأها آل زيري . . وتقع جنوب شرقي (**المدية**) الجزائرية . ويقول ابن خلدون عنه إن المعز « سماه يوسف بدلا من بولفين ، وكناه أبا الفتوح ، ولقبه سيف الدولة ، ووصله بالخلع والأكسية الفاخرة » . وبعد أن توفي عام ٩٣٨ م ، خلفه ولداه : **المنصور الذي حكم (القيروان)** ، وحماد الذي استقل بحكم ما يزيد على ثلثي الشمال الجزائري ؛ واتخذ (القلعة) ــ بجاية ــ عاصمة لدولته ، لموقعها الحصين ، ومركزها التجاري والثقافي . ويقول أيضاً ابن خلدون عن حماد وقلعته التي اختطها إنه : « نقل إليها أهل المسيلة وحمزة ، ونقل جراوة (إحدى قبائل المغرب المنحدرين من عائلة الكاهنة دُهيا المشهورة) من المغرب ، وأنزلهم بها ، وتم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة (هجرية) ، وشيد من بنيانها وأسوارها ، واستكثر فيها من المساجد والفنادق ، فاستبحرت في العمارة ، واتسعت في التمدن ، ورحل إليها من الثغور القاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها » . ومع كل ذلك ، فقد ظلت (**أشير**) ، مدينة (زيري) جد حماد الأكبر ، قائمة وتناصف المدينة الجديدة ، النشاط والاهتمام . . حتى قامت مدينة (الناصرية) ، التي أسسها الناصر حفيد حماد الجد الأكبر ، بجاية بني حماد ، والعاصمة الثانية .

وقد أدخل المنصور عليها بعد وفاة والده الناصر بعض التحسينات ، وبخاصة بناء القصور ، **كقصر أميمون** ، وخلف المنصور ولداه : (**باديس**) الذي حكم سنة واحدة ، و (**العزيز**) الذي ازدهرت العاصمة في عهده بمختلف مظاهر الحياة العمرانية والثقافية . . وكان ولده (يحيى) آخر خليفة حمادي . . وهو الذي نقل عام ١١٤٨ م ، من القلعة إلى الناصرية آخر ثرواتها وكنوزها . وفي آخر أيامه امتدت فتوحات الموحدين من المغرب بعد أن قضت على **الصنهاجيين** المرابطين ، إلى الجزائر فتونس .

الناصرية (بجاية) والموحدون

وتذكر كتب التاريخ ، أن (**ابن تومرت**) ، قد التفّت حوله طائفة من أصحابه في المغرب ، وجمع حوله الكثير من الأنصار الذين سموه بـ (**المهدي**) ، كما دعا نفسه

★ أطفال بجاية يلهون بجانب حصن موسى ★



★ باب البحر وقنطرته كانا عبارة عن ممر للبواخر أثناء دخولها وخروجها من ميناء الناصرية ★

بـ(**الموحّد**). استطاع هو وشيعته أن يعلنوا الجهاد على المرابطين ويغلبوهم في المغرب والجزائر وتونس.. وبخاصة على يد (**عبد المؤمن**) الذي فتح الجزائر بسهولة، ووصل إلى (الناصرية)، ولم يجد مقاومة من (يحيى)؛ حتى وصل إلى تونس، وحقق على نحو ما وحدة المغرب. ولقد أسس الموحدون في تونس والناصرية مملكة جديدة هي (**مملكة الحفصيين**). وظلت الناصرية مزدهرة في قصورها وصناعاتها، وعلومها وجامعتها ومدارسها، حتى أن ابن تومرت حين التقى بعبد المؤمن لأول مرة في بجاية قال له: «العلم الذي تطلبه بالمشرق قد وجدته بالمغرب». وكان الحماديون يشتركون مع الموحدين بصلتين لغويتين: اللغة العربية واللغة القبائلية.

بجاية.. والغزو الإسباني

وبدأت أنظار الدول الأوروبية للبحر المتوسط تتجه إلى الشواطئ العربية المغربية، فقد حاول أهل **البندقية (فينيسيا)** في القرن الرابع عشر الميلادي السيطرة على تجارة البحر المتوسط، كما سيطرت إسبانيا على الشاطئ الجزائري عام ١٥١٠م، حين أرسل



★ نموذج من الحلي القديمة ★

(**شارل الخامس**) أسطولا بحرياً بقيادة (**بيدرو نافارو**) مكوناً من أربع عشرة سفينة حربية ، على متنها (١٥,٠٠٠ جندي) . دمروا بجاية بالمدافع ، حتى سقطت ، ودُمّر معها (**قصر النجمة**) و(**قصر اللؤلؤة**) ، و(**قصر أميمون**) ، **والجامع الكبير ومئذنته** . وباشر الإسبان في بناء الحصون ؛ والقصبة الحالية الغربية المظهر بأبراجها ذات الكوات المعدة للمدافع والمتاريس .. ومدخل هذه القلعة مغطى من الداخل بقناطر ذات نمط إسلامي ، ربما كان ذلك من آثار الفن المعماري الإسلامي في إسبانيا .

على أن الإسبان لم يمكثوا في بجاية أكثر من خمسة وأربعين عاماً ، لأنهم وجدوا صعوبة ومقاومة .

الحكم التركي

وجاء الأتراك إلى بجاية لإنقاذها من الإسبان .. وكان وضع الأتراك مختلفاً عن الإسبان ، لأنه تجمعهم بالسكان روابط ثقافية ودينية . ويصف لنا (**فيرو**) مترجم الجيش الفرنسي عام ١٨٥٩ م ، كيف احتل الأتراك بجاية .. فيقول : «قدم صالح رايس حاكم الجزائر عام ١٥٥٥ م ، لمحاصرة بجاية من البر مع جيش عدده ينوف على (٤٠٠٠) محارب ، ومن البحر بما يقارب (٢٢) سفينة حربية ... وعلى هذه النقطة (**برج بوليلة**) المشرفة على المدينة ، ووسط تلك الخرائب أقام صالح رايس مركز قيادته ، ونصب في ليلة واحدة بطاريات المدفعية التي صعقت المدينة والإسبان» .

الاحتلال الفرنسي

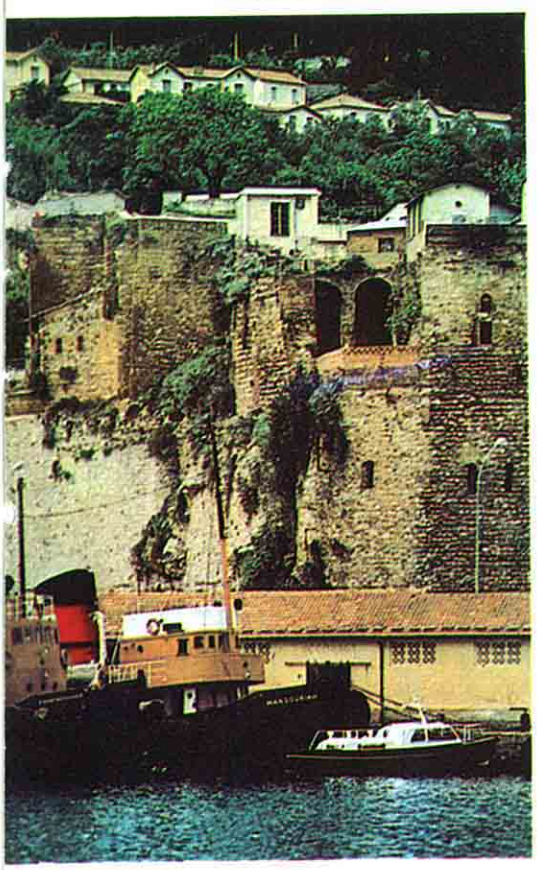
كما يصف لنا (فيرو) مرة ثانية كيف احتلت فرنسا بجاية في عام ١٨٣٣ م ، بقيادة **الجنرال (تريزيل)** فيقول : «كانت المدينة تحتوي على (٢١) حياً ، وكانت نتيجة المعركة تخريب (١١) حياً تمثل نصف المدينة ، وتخريب ثلاثة أحياء من النصف الآخر تخريباً جزئياً ... لقد كان في كل من هذه الأحياء مساجد وزوايا ، لأن هذه المدينة كانت تحتضن رفاة بعض الأولياء ...» . ثم يذكر بعض تلك المساجد ، مثل (**جامع سيدي مليح**) المتهدم ، ثم تحطمت معه أيضاً بطارية مؤلفة من أربعة مدافع كانت حوله .

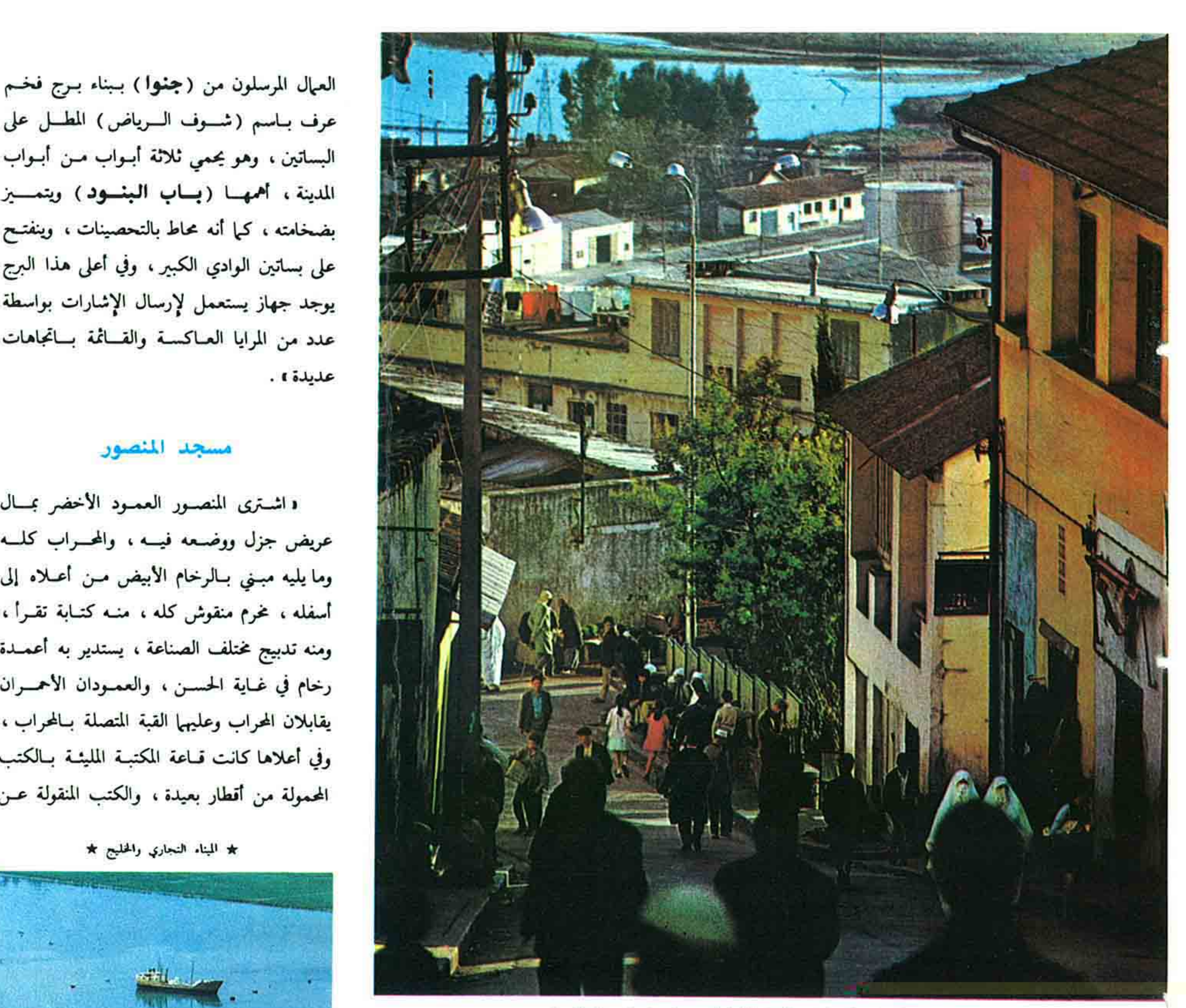
ولقد قاومت بجاية الاحتلال الفرنسي مقاومة عظيمة ، لأن الجنرال (تريزيل) لم يتمكن من احتلال بجاية إلا بعد أن دمر نصفها . وظهر فيها أبطال وثوار أقضوا مضاجع المحتلين الفرنسيين مدة اثني عشر عاماً .. أمثال (**بويغلة**) ، و(**الشيخ بن حداد**) و(**الشيخ عزيز**) ثم (**آل المقراني**) الذين جروا المنطقة بكاملها إلى الثورة . لذلك كانت بجاية تدعى آنذاك بـ(**المعسكر المحصن**) . وهي مثل المناطق الجزائرية الأخرى التي كان لها الأثر الكبير في الاستقلال .

آثارها

إن موقع بجاية الطبيعي ـ من حيث إنه أكبر خليج في البحر المتوسط العربي تحدب عليه الجبال الشاهقة ـ كان سبباً في أن يتخذه الخلفاء ومن ثم المستعمرون موئلاً استراتيجياً ، عسكرياً وتجارياً ، وبالتالي في أن يعيدوا بناء المدينة دوماً في ذات الموقع .. مما أذهب ذلك الكثير من المعالم الأثرية التاريخية . على أننا يمكننا أن نتعرف على ما بقي في المدينة بالعين المجردة ، وبالمصادر والمراجع التي أوردت أخباراً وأوصافاً عنها ، وكذلك بما أسفرت عنه حفريات القلعة المستمرة .

★ حصن عبد القادر ★





★ في هذا المكان كانت القاعة الملكية التي تشرف على طريق القوافل ★

لم يبق من قلعة أو (بجاية الحماديين) اليوم سوى بعض الأسوار والباب المدهش المعروف بـ(**السراجين**)، وهو عبارة عن قوس، أو قنطرة، كانت تمر من تحتها السفن والبواخر في الإرساء والإقلاع. ولم يبق من قصورهم شيء. وقد كانت (الناصرية) الحمادية، تعمر بالقصور والجوامع. وكشفت الحفريات ثلاثة قصور وجامع. كما أن بعض الرحالة، كانوا قد وصفوا لنا ثلاثة قصور في بجاية هي: قصر النجمة (تحت حصن موسى)، وقصر أميمون الذي بناه المنصور ابن الناصر، ثم **قصر اللؤلؤة** الفائق الشهرة، الذي تغنّى به عدد من الشعراء، وقال عنه ابن خلدون إنه «**من أعجب قصور الدنيا**».

مخطوط البجاوي

إن مخطوط (البجاوي) الذي وجد في بجاية، يعود تاريخه إلى القرن الثاني عشر، وقد نسخه (**البجاوي**) عام ١٨٦٦ م، والمخطوط للمؤلف حماد، الذي أرّخ لنا بجاية، وتناول قضايا كثيرة عنها، وإنه لمرجع ثمين في تاريخ بجاية وحضارتها العمرانية والثقافية والاجتماعية. وقد اعتمد عليه المترجم الفرنسي (فيرو) في كثير من كتاباته. ولنقرأ منه في بعض أوصافه لمعالم الناصرية:

شوف الرياض

«في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة قام العمال المرسلون من (**جنوا**) ببناء برج فخم عرف باسم (شوف الرياض) المطل على البساتين، وهو يحمي ثلاثة أبواب من أبواب المدينة، أهمها (**باب البنود**) ويتميز بضخامته، كما أنه محاط بالتحصينات، وينفتح على بساتين الوادي الكبير، وفي أعلى هذا البرج يوجد جهاز يستعمل لإرسال الإشارات بواسطة عدد من المرايا العاكسة والقائمة باتجاهات عديدة».

مسجد المنصور

«اشترى المنصور العمود الأخضر بمال عريض جزل ووضعه فيه، والمحراب كله وما يليه مبني بالرخام الأبيض من أعلاه إلى أسفله، مخرم منقوش كله، منه كتابة تقرأ، ومنه تدبيج مختلف الصناعة، يستدير به أعمدة رخام في غاية الحسن، والعمودان الأحمران يقابلان المحراب وعليهما القبة المتصلة بالمحراب، وفي أعلاها كانت قاعة المكتبة المليئة بالكتب المحمولة من أقطار بعيدة، والكتب المنقولة عن

★ الميناء التجاري والخليج ★

تدريس أساتذة هذا الجامع .

كما توجد هناك الغرف التي يعيش فيها الأساتذة ، **وقد بلغ عدد الأعمدة في الجامع (٤١٢) عموداً** ، وفيه **(١٤) رواقاً مسقوفاً** ، وطوله (٢٢٢) ذراعاً ، وعرضه (١٥٠) ذراعاً » .

باب البهو والمئذنة

« وفي السنة التالية ، وسّع المنصور الطابق الأرضي وبنى القبة المعروفة **بباب البهو** على آخر **بلاط المحراب** ، وفي دورها اثنتان وثلاثون سارية من **بديع الرخام** ، وفيها **نقوش غريبة** ، وصناعات محكمة عجيبة ، يشهد كل من رآها أنه لم ير مبنى أحسن منه ، وقد فرش من الصحن **(صحن المسجد)** بين أيدي البلاطات نحو خمسة عشر ذراعاً » . ثم يصف **المئذنة** التي عرضها (٢٥) ذراعاً ، وارتفاعها (٧٥) ذراعاً » .

قصر النجمة

« وكان له **تسعة أبواب** لكل واحد منها مصراعان من الخشب المتقن الصنعة ، ينوء كل مصراع منها في فتحه وغلقه بالعصبة أولي القوة ، وفوق الباب الأعظم تقوم قاعة العرش » .

قاعة العرش

ويتابع الوصف لقاعة العرش ، المقابلة لباب البنود ، ويدعوه الناس باب الفاقا ، فيقول : « هنا كان السلطان يجلس على أريكته مقابل الداخلين أيام العرض والوفود ومشاهد الأعياد ، فجاءت **(قاعة العرش)** من أفخم الأواوين وأحفل المصانع » .

قصر أميمون

ونستمد وصفه هنا من مصدر آخر ، هو **الحسن بن الوزان** المعروف بـ**(ليون الإفريقي)** الذي يقول : « وعلى جانب الجبل تشاهد قلعة كبيرة منيعة الأسوار محلاة بكثير من زخارف الفسيفساء والخشب المنقوش ، ومزينة بطلاء أزرق خلاب ، وقد تجاوزت تكاليف هذه الزخارف قيمة البناء نفسه » .

الفن المعماري

إن الفن المعماري الحمادي للقلاع والأبراج والقناطر والقصور والمساجد إسلامي الطابع والتصميم والهندسة ، وإن ورد ذكر بعض العمال الجنويين في بناء برج **(شوف الرياض)** وغيره . ولقدت امتدت تلك الآثار الإسلامية إلى مناطق أوروبية (صقلية والبندقية) تقابل الشاطئ الإفريقي الإسلامي ؛ وبخاصة في صقلية ، حيث نرى أثر الفن المعماري الحمادي في قصورها التي بناها الملوك **النورمانديون** في القرن الثاني عشر ، وفي كنيسة القديس مارك في البندقية (فينيسيا) في نفس الحقبة ، مما حدا بأحد علماء الآثار في التاريخ المعاصر ، وهو **(جورج مارسي)** أن يقول في كتابه [التاريخ العام للفن الفلاماريوني] عن تأثير الفن

★ طريق العودة إلى بجاية بحراً ★



الإسلامي الإفريقي في صقلية :

« هذه الجزيرة الكبيرة التي اقتطعت من الإسلام ، تبدو كمركز أمامي للفن الفاطمي في البلاد المسيحية . . . وفيما يتعلق بالهندسة المعمارية المدنية في هذه الحقبة ، فقد كان البحث عن أصولها يجري عبثاً في القاهرة ، بينما كانت موجودة في إفريقيا الشمالية ، في خرائب القصور التي بنيت في أواخر القرن الحادي عشر في قلعة بني حماد ، التي يجب أن نبحث فيها عما نريده من معلومات » .

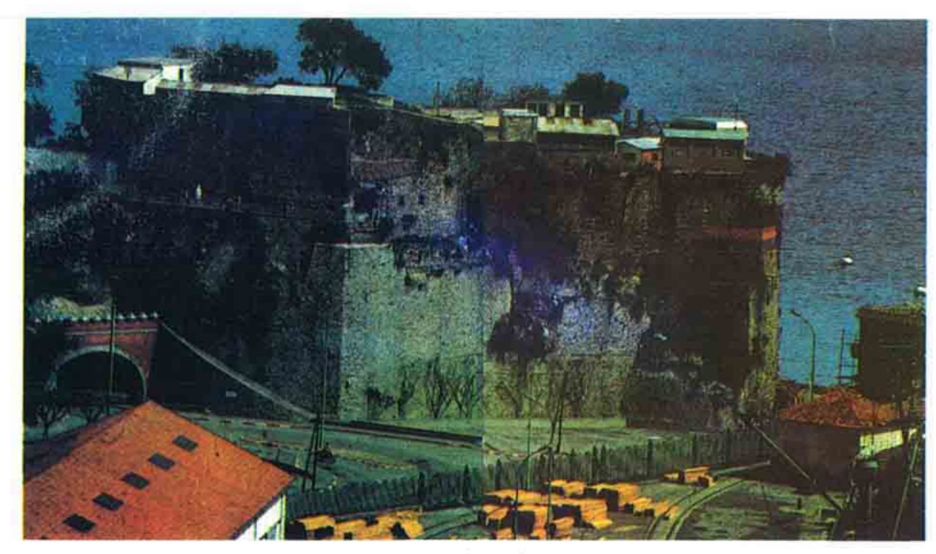
ويتجلى الفن المعماري الحمادي في الزخارف التي نجدها في الجدران والسقوف ، من طلاء وزينة **وفسيفساء** ورسوم وألوان ، ثم **الخزف** التي كانت تشمل النوازل في السقوف ، وأكسية الجدران ببلاط مربع من **القيشاني** ، إلى جانب البلاط المزخرف التي فرشت به الأرض . وأيضاً ذلك النقش على الحجارة والرخام ، والآيات القرآنية التي كانت محفورة بأنواع مختلفة من الخطوط .

الصناعات التقليدية

وقد كانت الناصرية ، مزدهرة بصناعاتها اليدوية ، على أنه لم يبق منها إلا القليل ، فنجد **الأسلحة والسلال والمصابيح وحاملات الشموع ، والأباريق ودلال القهوة وغيرها** . . وكانت تلك الأدوات تطعم بالفضة أحياناً . . وما زالت إلى اليوم منطقة القبائل مشهورة بتلك الصناعات التقليدية المعدنية . وقد تحدث **الإدريسي** عن تلك الصناعة بقوله : « وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد ، **وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي** ، لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير موجود ؛ ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران ، وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة ، وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة » .

سيدي تواتي

إن من يتصدى للكلام عن بجاية وتاريخها الحضاري والثقافي والديني . . لا بد له من أن



★ برج البحر ★



★ العزف على (الزرنة) وسط الجمهور في إحدى المناسبات ★

يعرج على شخصية تاريخية دينية ، هي شخصية (**سيدي تواتي**) ، لما له من دور كبير في نشر العلم والمعرفة والدين والتقى والزهد في نفوس أبناء المنطقة ، ثم تعدت شهرته خارج تلك الأصقاع . وكان يمثل الثقافة المعاصرة له آنذاك بحق ، التي كانت ذات طابع ديني وأدبي . ثم أصبح معهده (**معهد سيدي تواتي**) يعمل دون انقطاع حتى عام ١٨٢٤ م ، وبلغ عدد طلابه في وقت من الأوقات (٣٠٠٠) طالب . . وكانت تدرس فيه كل العلوم ، حتى العلوم الفلكية .

ابن حمديس . . وبجاية

وشهدت بجاية الكثير من الشعراء الذين شجعوا الشعر ، وبخاصة الناصر . . ومن هؤلاء **ابن حمديس الصقلي** ، الذي ارتحل إلى بجاية في المرحلة الأخيرة من حياته . . وبعد أن ترك مسقط رأسه (**سرقوسة**) في جزيرة صقلية ، وإثر خرابها من النورمنديين الذين استولوا على وطنه . . متجهاً إلى الأندلس ليصاحب **المعتمد ابن عباد** في عزه بإشبيلية ، وفي منفاه بأغمات في المغرب ، وبعد موته ، يرحل إلى بجاية ، ليظل يمدح ملوكها ، ويصف قصورها وبركها . . حتى يموت فيها ويدفن . وهذه أبيات من إحدى قصائده التي يصف فيها إحدى البرك في أحد قصور الناصرية . وتظهر براعة الشاعر في الوصف الدقيق لجزئيات البركة وأسودها . ويبرز لديه تصوير الجانب الفني المعماري الحسِّي أكثر من الجانب الشعوري :

وضراغم سكنت عرين رئاسة
تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشي الغَضَار جسومَها
وأذاب في أفواهها البلورا
أُسْدٌ كأن سكونها متحرك
في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما
أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها
ناراً وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول
ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه
درعاً فقدّر سردها تقديرا

وبعد . . .

هذه بجاية المدينة الجزائرية التي شهدت ـ عبر تاريخها الإسلامي ـ ازدهاراً في العمران والفن ، وقوة في القلاع والحصون ، وسحراً في الجمال الطبيعي والصناعي . ولقد ظلت بعد الاستقلال محافظة على تراثها الإسلامي المعماري في متحفها وفي صناعاتها التقليدية ، ونشاطها التعليمي والرياضي والبحري . . ومشاريعها العلمية والصناعية لمستقبل زاهر .



★ إحدى الألعاب التقليدية لأطفال بجاية ★

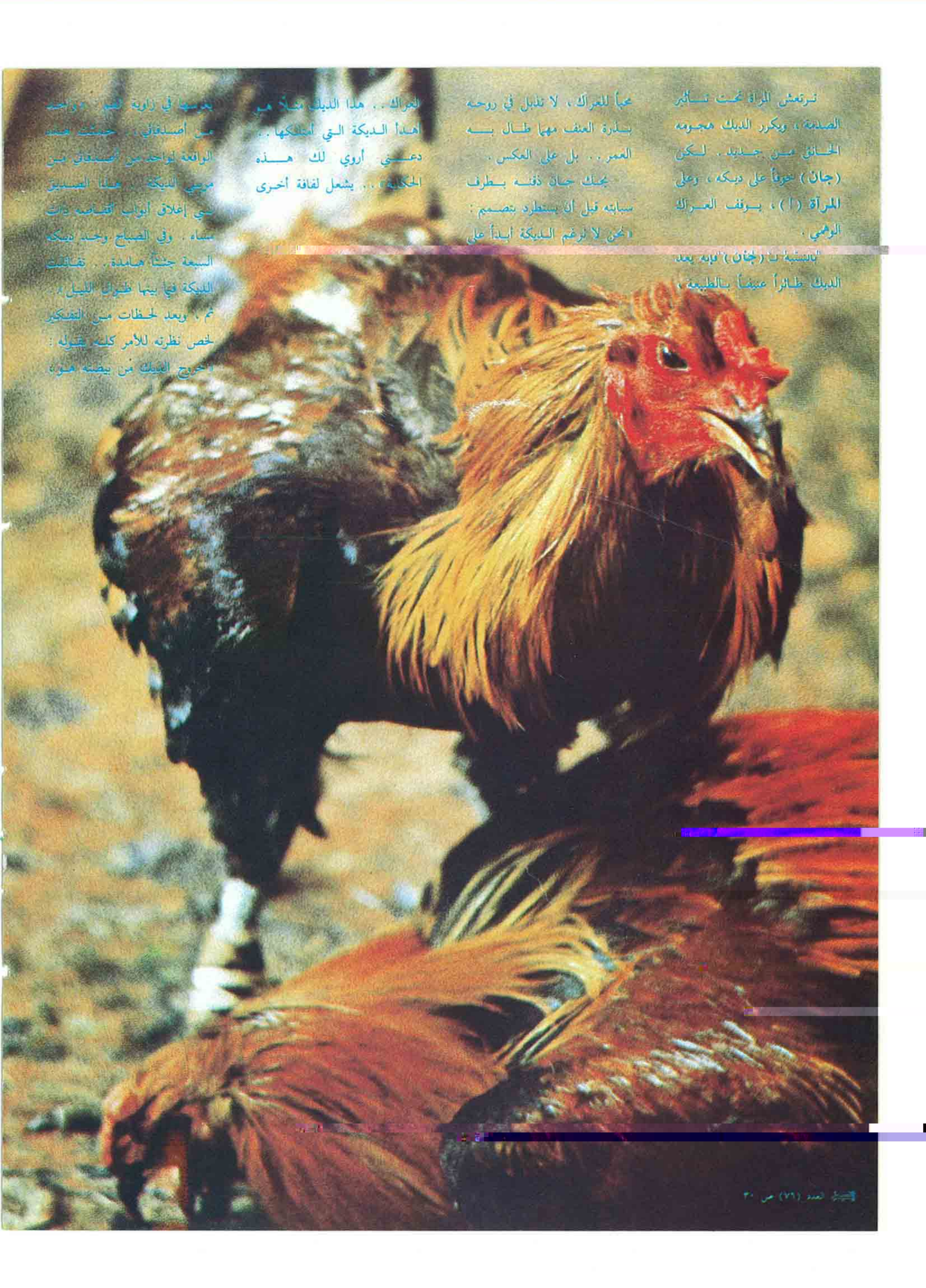




صراع الديكة في فرنسا

إعداد : نبيل جهمي

يندفع الديك مباشرة إلى الأمام . تدور عيناه (بثقة) في ساحة العراك ، وحين يلمح صورته المنعكسة في المرآة ، يمد عنقه كأنه لا يصدق إمكانية وجود ديك آخر على أرضه .. ينتفخ حلقومه من الغضب ، وتتشنج مخالبه ، ثم يندفع بكل قواه ملقيا بنفسه على المرآة .

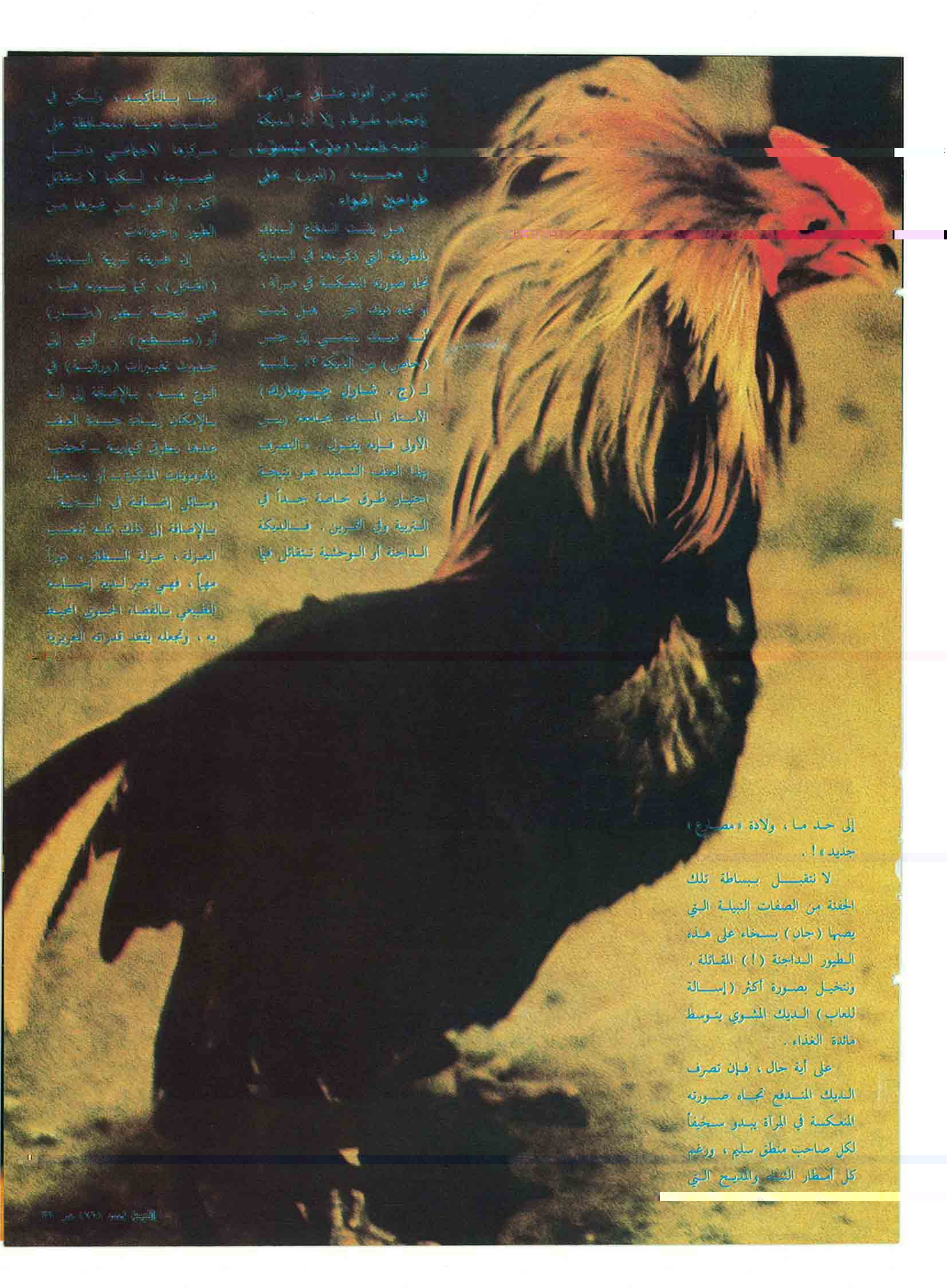


ترتعش المرآة تحت تأثير الصدمة ، ويكرر الديك هجومه الخائق من جديد . لكن (جان) نحوفاً على ديكه ، وعلى المرآة (!) ، يوقف العراك الوهمي .

بالنسبة لـ (جان) فإنه يعد الديك طائراً عنيفاً بالطبيعة ، محباً للعراك ، لا تذبل في روحه بذرة العنف مهما طال به العمر .. بل على العكس .

يحك جان ذقنه بطرف سبابته قبل أن يستطرد بتصميم : «نحن لا نرغم الديكة أبداً على العراك .. هذا الديك مثلاً هو أهدأ الديكة التي أمتلكها .. دعني أروي لك هذه الحكاية» .. يشعل لفافة أخرى يدعسها في زاوية الفم «واحد من أصدقائي .. حدثت هذه الواقعة لواحد من أصدقائي من مربي الديكة .. هذا الصديق نسي إغلاق أبواب أقفاصه ذات مساء . وفي الصباح وجد ديكه السبعة جثثاً هامدة .. تقاتلت الديكة فيما بينها طوال الليل» .

ثم ، وبعد لحظات من التفكير لخص نظرته للأمر كله بقوله : «خروج الديك من بيضته هو»



إلى حد ما ، ولادة «مصارع» جديد» ! .

لا نتقبـــل ببساطة تلك الحفنة من الصفات النبيلة التي يصبها (جان) بسخاء على هذه الطيور الداجنة (!) المقاتلة . ونتخيل بصورة أكثر (إسالة للعاب) الديك المشوي يتوسط مائدة الغذاء .

على أية حال ، فإن تصرف الديك المندفع تجاه صورته المنعكسة في المرآة يبدو سخيفاً لكل صاحب منطق سليم ، ورغم كل أمطار الشتائم والمديح التي تنهمر من أفواه عشاق عراكها بإعجاب مفرط ، إلا أن الديكة أنفسها ظلت (ولنقل ؟) ثابتين في مجـــريها (الدين) على طواحين الهواء .

هل يثبت اندفاع الديك بالطريقة التي ذكرناها في البداية تجاه صورته المنعكسة في مرآة ، أو تجاه ديك آخر . هل يثبت أنـــه ديك ينتمي إلى جنس (خاص) من الديكة ؟! بالنسبة لـ (ج . شارل جيومارك) الأستاذ المساعد بجامعة رينس الأول فإنه يقول : «التصرف بهذا العنف الشديد هو نتيجة اختيار طرق خاصة جداً في التربية وفي التمرين . فالديكة الداجنة أو الوحشية تتقاتل فيما بينها بالتأكيد ، ولكن في مناسبات معينة للمحافظة على مركزها الاجتماعي داخـــل المجموعة ، لكنها لا تتقاتل أكثر ، أو أقل من غيرها من الطيور والحيوانات .

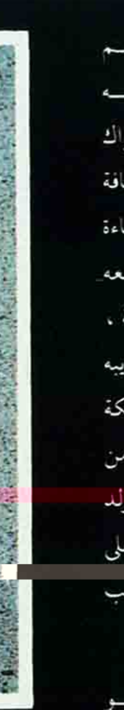
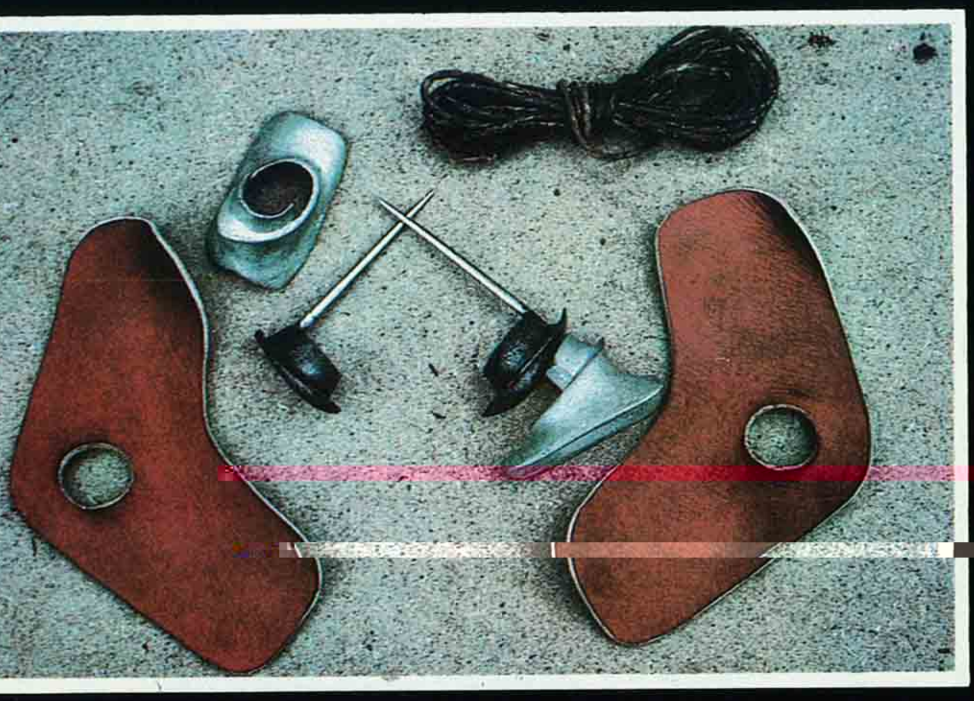
إن طريقة تربية الديك (المقاتل) ، كما يسمونه هنا ، هي نتيجة تطور (مثمر) أو (مصطنع) . أدى إلى حدوث تغيرات (وراثية) في النوع نفسه ، بالإضافة إلى أنه بالإمكان زيادة حدة العنف عندها بطرق كيماوية ـ كحقنها بالهرمونات المذكرة ـ أو باستعمال وسائل إضافية في التربية بالإضافة إلى ذلك كله تلعب العزلة ، عزلة الطائر ، دوراً مهماً ، فهي تغير لديه إحساسه الطبيعي بالفضاء الحيوي المحيط به ، وتجعله يفقد قدراته الغريزية

على الانصال ، وعليه فإن رسم حدود ضيقة في مجال عيشه الطبيعي ، ثم وضعه أثناء العراك على حلبة قتال صغيرة ، بالإضافة إلى ضجيج الجمهور والإضاءة الباهرة ، كل ذلك كفيل بوضعه في حالة هيجان غير عادية ، وشعور بأنه مهدد .. وبتدريبه منذ البداية على مجابهة ديكة داجنة حيث يتمكن باستمرار من الانتصار عليها بسهولة ، يولد عنده شعور دائم بالقدرة على الانتصار . وبالتالي حب القتال » .

نعود إلى (جان) ، وهو واحد من المدافعين بحماس عن هذه (الرياضة) الحيوانية التي تنحصر ممارستها حالياً في **شمال (با دي كاليه) بفرنسا** ، فجان يصر على (نبل) العراك الديكي وعلى ضرورة استمراريته .

والاعتقاد بأن انحصار **(صراع الديكة)** في منطقة واحدة من فرنسا لا يعني مطلقاً قلة عدد أنصارها ، فعددهم في هذه المنطقة وحدها يصل إلى حوالي الخمسين ألفاً .

هؤلاء (الديّاكة) ـ كما يسمونهم هناك ـ مجموعة من عشاق (الصراع) وهم ، رغم ضآلة دخلهم نسبياً ، يمنحون هذه الهواية كل شغفهم ومعظم إمكاناتهم . فصراع الديكة ـ بلا مبالغة ـ أمر يعني كل سكان المنطقة ، فهذه الديكة وهي نتاج محلي ذات مميزات خاصة بها يطلق عليها المتخصصون في دراسة الطيور اسم **(مصارعو الشمال)** وهو جنس خاص

★ عدة القتال .. لزيادة كمية الدم .. وإثارة عشاقه ★

تتوفر فيه كل مزايا ديكة العالم بأسره .

صحيح إن مظهر هذه الديكة يختلف كثيراً عن ذلك الذي نعرفه ، فهي تقف بصورة أكثر استقامة ، ويبدو ريشها أكثر رقة ، وصدورها أكثر عرضاً . إنها ـ بشكل ما ـ ديكة (رياضية) . وهي نتاج عمليات تهجين دقيقة بين أم مختارة بعناية ، وأب بطل لمرات عديدة .

وحجة (الدياكة) قوية ، فهم يزعمون أنه بفضلهم فقط ، ما زال يوجد حتى أيامنا هذه ، هذا النوع من الطيور الذي يعد ـ في نظرهم ـ مفخرة محلية .. بل ، ولم لا ، ووطنية ، وإلا لاختفى الجنس منذ زمن بعيد ... ألم يرثوا تلك الديكة عن آبائهم ، ثم إنهم سيتركونها من بعدهم لأبنائهم ؟!! .

لكل عائلة ديكتها التي تربيها بطريقتها الخاصة ـ وبعناية

★ الجمهور .. حماس كبير ..!! ★





كبيرة ــ ليستمر النوع ، ويمتد العراك . وهم يستعملون طرقاً معينة ــ بالنسبة لكل عائلة ــ كي تظل الديكة دائماً في أحسن حالة ، **فبعضهم يغذيها بالموز ، والبعض الآخر يعطيها ملعقة من العسل** . . . أو الحبوب النابتة . . . إلخ .

حين يكون الشتاء بارداً وطويلاً بصورة خاصة ، أو بكل بساطة ، تحل موجة من البرد ثلاثة أيام فقط قبل المعركة ، فإن ذلك يعتبر ــ بالنسبة للدياكة ــ أمراً جيداً ، لأنه يرفع من درجة حيوية الطيور المقاتلة التي لا يتوانى مربوها عن تغذيتها بالفول المنقوع في النبيذ الأحمر ، أو بقطع السكر المغموسة في الكحول ، وحين نلمح أن ذلك يعتبر ، بطريقة أو بأخرى ، عملية تخدير بقصد الإثارة الإضافية فإن جان يصرخ فوراً : « أبداً ، فنحن في المنطقة لا نستعمل مطلقاً المنتجات الكيماوية أو الهرمونات في تربية طيورنا ، كما يحدث في المصانع المجاورة . . نحن لا نقوم بممارسة عمليات الإنتاج الصناعي للدواجن . . إننا لا نعذب ديكتنا ، ولا نحرم طيورنا من النوم بالإضاءة الصناعية القوية ، إننا لا نكومها كالسردين في الأقفاص . . ولا نرغمها على البيض صناعياً » ، ثم يهدأ .

هذه الحدة في الدفاع ذات مبرر معقول ، فالدياكة في فرنسا يشعرون بنوع من التهديد ، وذلك ليس أمراً جديداً ، لأنهم واجهوه خلال الأجيال المتعاقبة ؛ فالرأي العام ، والسلطات لا تشارك الدياكة حب هذه (الرياضة) التي تعتبر (وحشية) في نظر الكثيرين جداً ، وهم يتساءلون ، خصوصاً بعد ما حدث عام ١٩٦٣ م ، عمَّ إذا كانوا سيستمرون في تربية ديكتهم إلى الأبد ؟

في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٣ م ، **صدر قانون حماية الحيوان الذي يمنع صراع الديكة بفرنسا** في واحد من بنوده ، والذي أثار الغضب في المنطقة بأكملها . وقد أعفت منطقة شمال (با دي [illegible] **الجنرال ديغول** شخصياً الذي علق على الأمر قائلاً : « **بما أننا نأكل الديكة . فمن الطبيعي أن تموت أولا !!** » .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد . ففي ٨ يوليو (تموز) ١٩٦٤ م ، صدر نص قانون يقول : « إن إباحة المعارك الحيوانية المنظمة بمناطق محلية ، حسب تقاليد لم تتوقف ، يمكن إعادة النظر فيها » . ثم في عام ١٩٧٩ م ، وفي عهد الرئيس الفرنسي السابق **فاليري جيسكار ديستان** ، تم فتح البحث في موضوع **(تحسين مصير الحيوانات)** . وفي التقرير الذي نشرته اللجنة المختصة في ١٩ يوليو (تموز) من نفس العام

ومن خلال الثلاثمائة بند ، اقتراح بمنع ما يسمى بـ (عراك الديكة) .

ولم يتوان الدياكة ، عن الرد : «لو تم منع عراك الديكة ، فيجب منع **مصارعة الثيران ، وصيد الحيوانات والأسماك** . . بل والملاكمة حيث يتعارك البشر ذاتهم فيما بينهم . . دون تسمية آلاف الأشياء الأخرى التي يجب أن تمنع» .

والدياكة منظمون تنظيماً جيداً داخل هيئة ذات قوانين دقيقة جداً ـ كعدم تشجيع المالك لديكه أثناء العراك بأية صورة كانت من الصور مثلاً ـ وتوجد لجنة متابعة لتطبيق هذه القوانين ، ولهم جريدتهم الخاصة بهم (**ديك بلاد الغال**) التي توزع آلاف الأعداد ، والتي يتردد في صفحاتها صدى قلقهم المتزايد من أن يتكرر المنع الذين يشعرون بأنه لم يعد أمراً مستحيلاً . وتحس في المنطقة بكاملها شعور بالمرارة لعدم تمكن [الآخرين] من فهمهم . وقد ولّد كل ذلك نوعاً من الشك والحذر تجاه كل الغرباء عن أوساطهم .

يأتي في صوت (جان) نوع من المرارة المقرونة بالتصميم : «لن تختفي الديكة إلا باختفائنا . . .» ويوافقه الآخرون بهزات صامتة للرأس .

يبلغ (جان) من العمر سبعة وستون عاماً . وهو لا يثق كثيراً في المستقبل ، لكنه رغم سنواته العديدة ما زال يتحدث بحرارة الشباب عما يحبه .

يحتسي رشفة من القهوة وهو يروي قصته التي تشبه كثيراً قصة كثير من رجال تلك المنطقة .

حين كان عمره سبع سنوات ، كان يصطحب أباه إلى كل اللقاءات التي تقام بالقرى المحيطة ، وقد أمضى كل عمره في تربية الديكة وفي مرافقتها إلى (العراك) . وهو لا يحصي الساعات التي أمضاها داخل أقفاص الديكة ، لكنها بالتأكيد أطول من تلك التي أمضاها إلى جوار أولاده .

★ ★ ★

ثمن **تذكرة الدخول** لمشاهدة القتال يتراوح ما بين العشرة والخمسة عشر فرنكاً . وتتراوح قيمة الرهان ما بين الخمسين والخمسمائة فرنك . في حين أن تربية الديكة تحتاج إلى عناية خاصة تختلف كثيراً عن تلك التي تمنح **لبقية** حيوانات المزرعة أو طيورها . وتكلف أكثر مما تربح (!!) .

حظائر الديكة مجهزة دائماً بصورة مريحة وجيدة ، ولكل ديك بداخلها قفصه الخاص به ، بالإضافة إلى وجود متسع يتمشى فيه (الأبطال) الواحد بعد الآخر لتحريك الأرجل وتنمية العضلات (!!) وفي هذه الحظائر يتم اختيار الفراخ ، وتجهيزها لتكون من مصارعي المستقبل الذي يعتمد عليهم ، وذلك عند بلوغها من العمر ستة أشهر .

يبدأ التجهيز بقص القنزعة والعرف لسببين :
الأول : هو تحسين مجال الرؤية ، **والثاني** : كي لا يصبح الديك هدفاً سهلاً لخصمه .

وعراك الديكة ليس تقليعة جديدة ، إنه استمرارية لحدث آت من الصين القديمة والحضارتين الإغريقية والرومانية . وهو يعتبر حتى أيامنا هذه لعبة شعبية جداً في بلاد أمريكا اللاتينية وبعض بلدان آسيا .



إن الديك ـ بعد قص القنزعة والعرف ـ وقبل صعود حلبة القتال يخضع لعملية تجهيز للقتال ، وذلك بتزويده على كل واحدة من الأرجل بخنجر ـ إن جازت التسمية ـ يربط ربطاً وثيقاً . ويترك بعدها في مواجهة خصمه .

و [**حفلات] القتال** تنظم شهرياً ، بل أسبوعياً أحياناً في قرى ومدن المنطقة . لكن **الحفل السنوي** ينظم في مدينة (فارفان) حيث **يصل عدد المشاهدين إلى حوالي الألفين** ، يحتوي العرض على **١٧٤ معركة** على حلبتين في نفس الوقت . ويلتقي الـ ٣٤٨ ديكاً في معارك دموية صاخبة يصفق فيها الجمهور للمنتصر دون أن يعرف الديك المنتصر لأي سبب يصفق له البشر . وينتهي الخاسر إلى الذبح حتى لو كانت إصابته خفيفة ، وبإمكانه العيش معها . لكن قانون المعركة واحد للجميع .

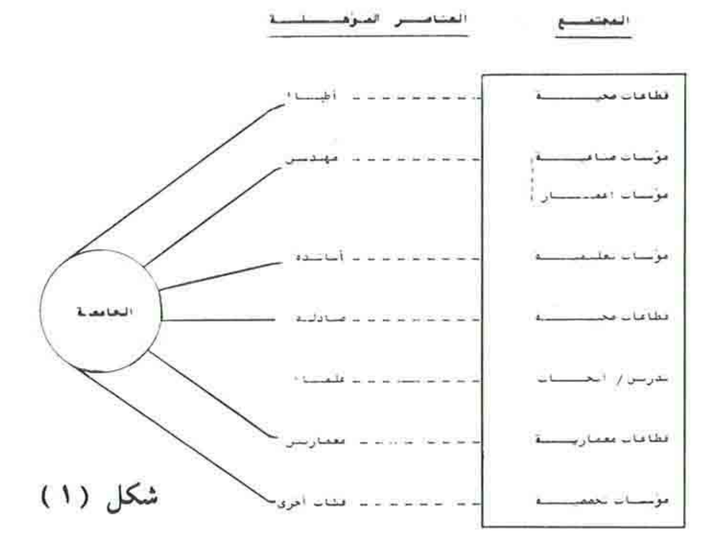
يقول القانون : «إن الديك الجريح الذي يظل أرضاً حتى نهاية مدة العراك يعتبر خاسراً . أما إذا نجح في الوقوف على قدميه ، فإن المعركة تنتهي بالتعادل . أما إذا ترنح الديك ـ غير الجريح ـ رغم سقوط خصمه فإن المعركة في هذه الحالة أيضاً تعتبر متعادلة ، لكنها تستمر دائماً حتى نهاية وقتها القانوني ، ولا تتوقف إلا في حالة موت سريع لواحد من الديكين» .

الجامعة أعلى مقعد للتعليم والتعلم .. وهي معهد متقدم للمعرفة والعلوم .. ونشر المعرفة ، ونمو الثقافة والقيم الروحية .. وهي مركز إشعاع للتقدم العلمي والحضاري ، وعلامة حضارة المجتمع ومدنيته ، فهي إذن مجمع لإنماء المعرفة وإثراء الفكر .

بقلم : د . محسن علي فارس

المدرِّس الجامعي

مسؤوليته تجاه الجامعة والمجتمع



شكل (١)

المدرس الجامعي

يؤمل من مدرس الجامعة أن يكون مثالاً وقدوة حسنة لطلبته في كل المجالات ، كما يرجى منه أن يكون مرشداً وصديقاً ، إضافة إلى كونه رائداً ومعلماً .. يؤمل منه إرشاد الطالب إلى الطريقة الصحيحة للتفكير وتنشيط الملكات الذهنية للعمل على بناء معلومات الفرد الثقافية والعلمية ، كما يجب أن تتوفر في المدرس الجامعي الشخصية المحبوبة والأخلاق الحسنة بالإضافة إلى قوة الشخصية ، مع الأخذ في الاعتبار أن نجاح المدرس في أداء واجبه نحو تلميذه يقاس بمقدار ما يتعلمه الطالب من علم أو ثقافة وما يكتسبه من معرفة (**فولي وسمولسكي** عام ١٩٨٠ م) .

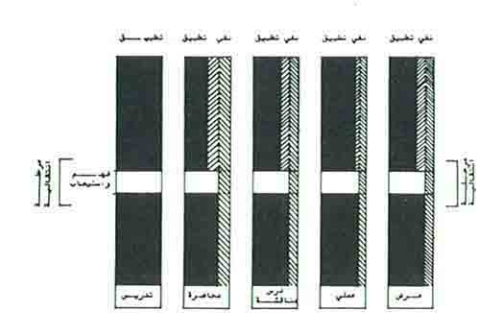
وإنه من المسلم به بالدرجة الأولى أن يتوفر لدى المعلم العلم والقدرة على توصيل هذا العلم أو نقله إلى أذهان طلبته ، ويلزم أن يتوفر لديه التفكير السليم والقدرة على تنظيم الوقت والمادة بحيث يشابه عمل المدرس عمل الخميرة (**الأنزيم**) حيث يتفاعل مع المادة ويحولها إلى مادة أبسط يسهل هضمها واستيعابها من قبل الطلاب . وعلى المدرس أن يمتلك طريقة فعالة ومهارة كافية لإنجاز ذلك .

وبالإضافة إلى واجبات عضو هيئة التدريس نحو طلبته ، يحمل المدرس الجامعي مسؤوليات كثيرة .. وكبيرة .. فعلى عاتقه تقع مسؤوليات أكاديمية .. وغير أكاديمية .. تجاه الجامعة نفسها .. وتجاه المجتمع . والعديد من هذه المسؤوليات تجاه الجامعة تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في المجتمع . ومن الأهمية بمكان أن يتعرف عضو هيئة التدريس على هذه المسؤوليات والنتائج المتوخاة من ممارسة هذه المسؤوليات ومدى تأثيرها على المجتمع سلباً أو إيجاباً .

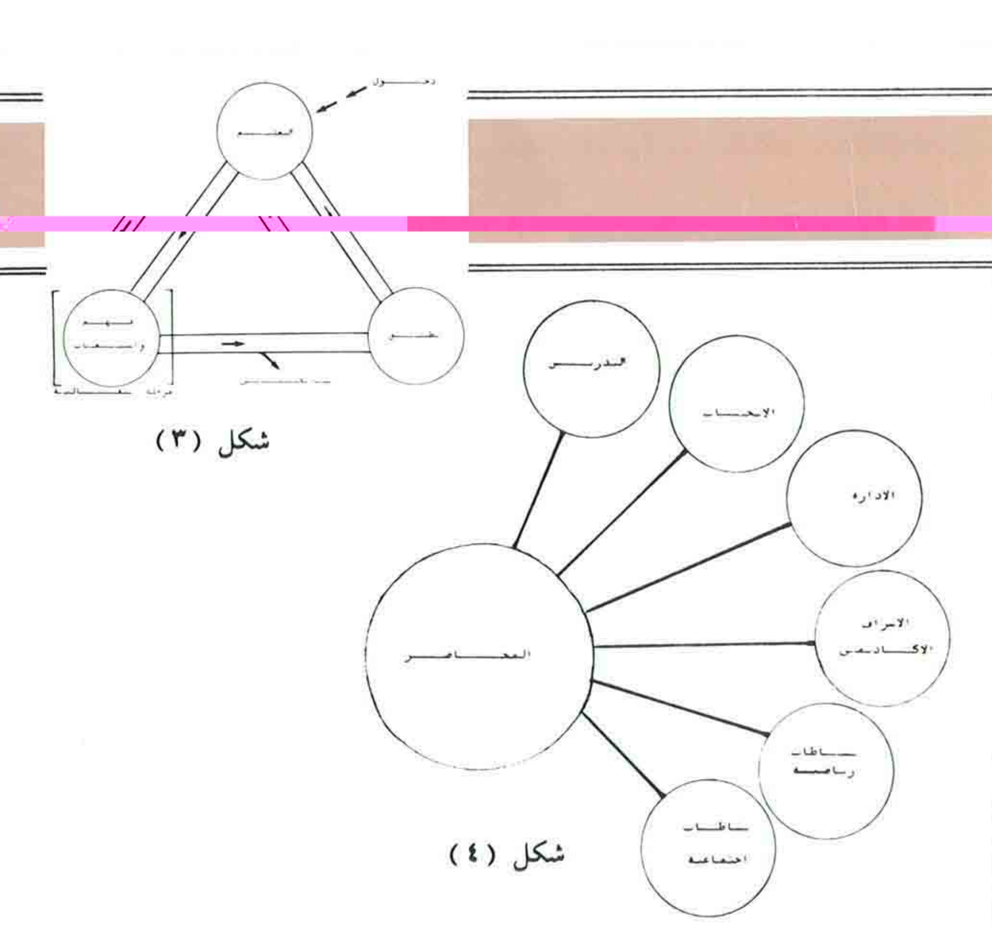
ونعرض هنا لدور **عضو هيئة التدريس ومسؤولياته** من وجهة نظر ممارس لهذه المهنة في كلية علمية عملية .

إن الحقيقة الأساسية التي لا يجب إغفالها عند استعراض الإطار العام لواجبات المدرس الجامعي ، إذ من الجامعة يتخرج الشبيبة المؤهلين في مختلف حقول التخصص ، فمنها يتخرج الأطباء والمهندسين والمدرسين والمعماريين والعلماء والمفكرين ، والذين يبدأون منذ ذلك الحين في ممارسة الحياة العلمية في مختلف القطاعات في المجتمع منشئين جسراً بين الجامعة والمجتمع (**شكل ١**) ، ومن الجدير بالملاحظة أن بعض الخريجين يعمل على تطبيق ما تعلمه مباشرة بينما يعمد آخرون بحكم طبيعة الفرد أو العمل إلى الفهم والهضم والاستيعاب وربما إعادة التقييم ، ثم بعد ذلك يكون بإمكان هؤلاء أن يقدموا خدماتهم للمجتمع ، بينما تعجز فئة ثالثة عن الاستفادة من التعليم الجامعي في الحياة العملية لسبب أو لآخر ولذلك تنتفي معلوماتهم بمرور الزمن ، وقد تلعب نوعية المدرس دوراً بارزاً في تغليب إحدى هذه الفئات على الأخرى عن طريق استخدام الوسيلة المناسبة للتعلم لبلوغ الهدف (**شكل ٢**) .

شكل (٢)



ولا شك بأن التدريس والتدريب الجامعي ، بالإضافة إلى العوامل البيئية التي تكتنف الطالب أثناء مراحل حياته المختلفة ، يؤثر في الفرد وتشكيله المستقبلي بصورة كبيرة ، كما أن المستوى التعليمي للجامعة ـ وهو انعكاس لمستوى أعضاء هيئة التدريس ـ يؤثر تأثيراً مباشراً في معظم الحالات على أداء الطلاب في حياتهم العملية ؛ **فالطالب الذي يتمتع بمستوى عال من التعليم عادة ما يكون على درجة جيّدة من الثقة**



شكل (٣)

شكل (٤)

والقدرة والاستقلالية التي تمكنه من التأثير بصورة فعالة في مجتمعه بطريقة أكثر إيجابية من زميله الذي لا يتمتع بنفس المستوى العلمي (شكل ٣).

فإذا سلمنا جدلا بأهمية العلاقة بين الجامعة (**كمنتج**) والمجتمع (**كمستهلك**) فإن ذلك يلقي مسؤولية كبيرة على عضو هيئة التدريس ويزيد دوره أهمية كونه أداة التربية والتعليم، حيث إن المسؤولية الأساسية لعضو هيئة التدريس هي التدريس بعينه، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأبحاث العلمية والمسؤوليات الإدارية والإشراف على الأنشطة اللاصفية (**شكل ٤**) جزء لا يتجزأ من مهمة عضو هيئة التدريس تجاه جامعته.. من خلال طلبة الجامعة.

ومع أنه ليس من السهولة بمكان توزيع نسبة الأهمية أو وقت عضو هيئة التدريس على هذه الأنشطة، حيث يعتمد ذلك على اهتمامات المدرس نفسه وقدراته وميوله، إلا أنه يمكن القول إن على عضو هيئة التدريس النهوض بكل هذه الأعباء مع تفاوت في حجم التوزيع يتناسب مع استعداد عضو هيئة التدريس وطبيعته. على أن يؤخذ دائماً في الاعتبار العلاقة غير القابلة للانفصام بين التدريس والأبحاث والمحافظة على مستوى عال من العلم والمعرفة لدى عضو هيئة التدريس وذلك لضمان المحافظة على مستوى التدريس الجامعي.

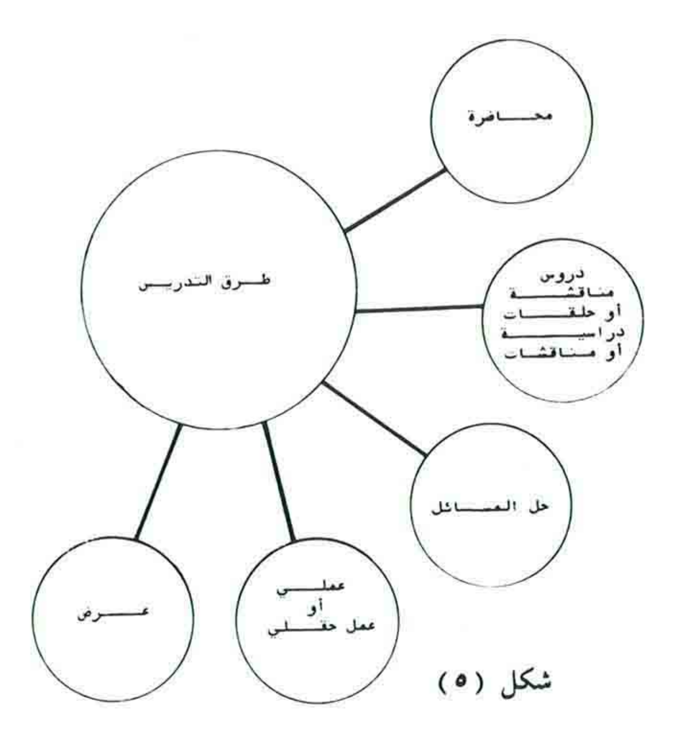
التدريس.. والمدرس

عادة ما يقال إن التدريس «فن وليس علم»، كما يقال كذلك إن «المدرس يولد ولا يصنع»، إلا أن المرء غالباً ما يدفع نتيجة مشاهداته إلى التفكير في صحة هذه الافتراضات، على أنه مما لا شك فيه أن التدريب يولّد الخبرة التي تؤدي مع مرور الوقت إلى تحسن نوعي في التدريس، وأن من المسلّم به الآن أن التعليم يحتاج إلى ملكة للعلم، وتخطيط سليم وتطبيق متجدد مستمر، كما يحتاج إلى طرق متباينة للتدريس تختلف باختلاف نوع التعليم وعلى المدرس أن يحسن استخدامها.

وفيما يلي نعرض لأهم طرق ووسائل التدريس:

(أ) المحاضرة:

يتم التدريس بعدة طرق مختلفة (**شكل ٥**) وأهمها وأكثرها استعمالا هي المحاضرة، وتمثل المحاضرة سيلاً من المعلومات يسير في اتجاه واحد (**شكل ٦**)، حيث يتناول المحاضر الموضوع بالتحليل ويعمل على تبسيطه وتسهيله وتقريبه إلى فهم الطالب، والمحاضرة طريقة اقتصادية إذا أخذ في الاعتبار التسهيلات المكانية والاستعدادات المطلوبة لها، حيث يمكن للمحاضر أن يقدم آخر



شكل (٥)

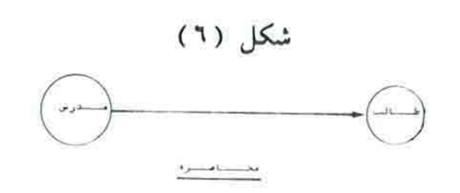
المعلومات المتوفرة في مجال المحاضرة ، كما يمكنه التركيز على المعلومات الأساسية .

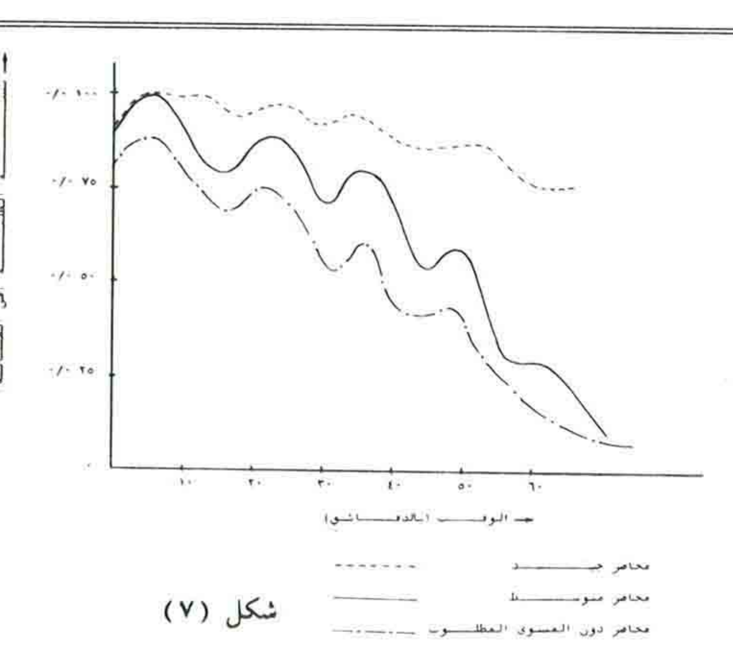
وتعتبر المحاضرة طريقة فعالة لمساعدة الطالب على استقاء المعلومات لكنها بالمقابل أقل نفعاً وفائدة لتعلم المهارات وحل المسائل العملية حيث تكون الصلة قليلة نسبياً بين النظريات والتطبيق العملي . كما تحتاج المحاضرة لأن يكون المحاضر ملماً بموضوع المحاضرة وبإمكانه أن يسترعي انتباه المستمعين ويستحوذ على اهتمامهم طوال فترة المحاضرة لتكون نتائجها إيجابية (**شكل ٧**) ، ولضمان الاستفادة من المحاضرة يلزم مراعاة الوضوح والدقة في عرض المعلومات ، وأن تكون الشروحات ذات علاقة مباشرة بالموضوع ، كما يستلزم من الطلبة الاستعداد النفسي والذهني والحماس والحافز للتعليم ، كما أن هناك عوامل أخرى كثيرة المحاضر ، وطريقة الأداء ، والسرعة في سرد المعلومات ، والحركات التعبيرية ، هذا بالإضافة إلى كفاءة المحاضر وحيويته وتفاعله مع الطلبة إيجابياً أثناء المحاضرة (**فروست** عام ١٩٦٥ م) .

(ب) استعمال مختلف الطرق والأساليب التعليمية في المحاضرة :

١ ــ استعمال الطباشير والسبورة : وهي طريقة قليلة التكاليف ، سهلة الاستعمال ، تحتاج إلى قليل من التحضير المسبق ، لكنها قليلة الفعالية خاصة إذا كانت المحاضرة تلقى لمجموعة كبيرة من الطلاب ، كما أنها غير مناسبة إذا شملت المحاضرة الحاجة إلى بعض الرسومات أو الأشكال التعبيرية حيث يستلزم ذلك أن يدير المحاضر ظهره للطلبة

شكل (٦)





شكل (٧)

معظم الوقت لإجراء الرسومات على السبورة .

٢ ــ استعمال الوسائل التعليمية Audio - Visual : إن استعمال الشرائح أو الشفافات التي يمكن إعدادها مقدماً أو الكتابة عليها أثناء المحاضرة شائعة الاستعمال في التعليم الجامعي ، وهذه الوسائل قليلة التكاليف نسبياً وسهلة الاستعمال كما أنها تمكن المحاضر من متابعة الطلبة وجذب انتباههم وتمكينهم من تتبع موضوع المحاضرة بالاستعانة بالرسوم والشروحات .

٣ ــ الشرائح Slides : يمكن عن طريق الشرائح عرض الأشكال التوضيحية في مدة وجيزة كما يمكن الانتقال من شكل إلى آخر ، واستعادة الأشكال التي سبق عرضها لزيادة التوضيح واستغلال معظم وقت المحاضر لتوضيح هذه الأشكال أو التعليق عليها ، كما أن بإمكان الطلاب الاستيضاح من المحاضر عن ما غمض عليهم مما يتم عرضه .

ومن المناسب استعمال كل هذه الطرق أو الوسائل أو بعضها مع **الإلقاء الشفهي** للموضوع ، حيث إن بإمكان هذه الطرق نقل فكرة معينة وتوضيحها بصورة أفضل ، كما إنها تساعد على سرعة الفهم عن طريق الكلمة المسموعة والشروحات .

٤ ــ حلقات النقاش والتدريس في المجموعات الصغيرة Tutorials and small group discussions : هذه الطرق في التعليم هي الأكثر فعالية بسبب ارتفاع نسبة الأساتذة إلى الطلاب وإن كانت تحتاج إلى عدد كبير من الأساتذة لذا فهي أكثر الطرق تكلفة (**بيرد** عام ١٩٧٠ م) .

وتتم حلقات النقاش عادة عن طريق التدريس لمجموعة صغيرة من قبل المدرس أو عن طريق **الملقن** (Tutor) وهو أحد أعضاء هيئة التدريس في قسم معين ، يستقبل الطلبة في وقت محدد ويعينهم على فهم مادة تخصصه ، وحلقات النقاش هذه تركز على الطالب الفرد (**هيل** عام ١٩٦٤ م) حيث يهتم المدرس بمشكلات الطالب الوحيد والمعين ، وهذه الطريقة بلا شك تعتبر من أنجع الطرق وأفضلها لتنمية الذات واكتساب المعونة على التغلب على المشاكل مما يعطي الطالب إحساساً في أن لدى المدرس اهتماماً شخصياً به ، كما تعطي حلقات النقاش بعداً أفضل بالنسبة لاكتساب المهارات والعرض العملي ، إضافة إلى شعور الطالب بأنه

يقدم عملاً أصيلاً (**سنكلير عام ١٩٧٢م**)، إلا أنه يجب مراعاة ما يلي :

١ ـ هذه الطريقة عالية التكلفة مادياً ومعنوياً .

٢ ـ على المدرس أن يعمل بجد ومثابرة لاكتساب ثقة الطالب وتقبله لمساعدته .

٣ ـ قد يكون عرض المعلومات مختصراً والفائدة العلمية محدودة بالنظر لضيق الوقت نسبياً .

٤ ـ بسبب الطبيعة البشرية قد تأخذ أحياناً حلقات النقاش شكل محاضرة قصيرة وبالتالي تفقد أهم مميزاتها .

الدراسة العملية

تحتل الدراسة العملية مكانة عالية في التعليم ولذلك فإن الاتزان بين التعليم النظري والعملي ذو أهمية خاصة في ترسيخ العلم التطبيقي والتعلم عن طريق الدروس العملية أكثر كفاءة وفعالية حيث تعتبر **طريقة التعليم بالعمل** (Learning by Doing) الطريقة المثلى للتعلم واكتساب مهارات ، ودفع المتعلم على التفكير والعمل على تطبيق ما تعلم وبالتالي القدرة على حل المشكلات العلمية وتفسير النتائج .

على أن هذه الطريقة تعاني من قصور في جوانب أخرى تظهر فيما يلي :

١ ـ بالنظر إلى انشغال الطلبة بالدروس العملية وانغماسهم في التجارب المعملية فإن ذلك يقلل من التفاعل بين الطالب والأستاذ وبالتالي قد يضل الطالب عن الهدف الأساسي من التطبيق العملي .

٢ ـ تحتاج التجارب إلى الكثير من الوقت لإنجازها .

٣ ـ تحتاج التجارب إلى عدد أكبر من المدرسين مقارنة بالمحاضرة .

٤ ـ تكون التطبيقات العملية أكثر تكلفة والإعداد للعمل الجماعي أكثر صعوبة من التدريس النظري إضافة إلى تكاليف الصيانة للأجهزة المعملية .

ولذلك فإن المحاضرة **والعرض** Demon-stration وحلقات النقاش قد تكون أكثر فائدة كوسائل تعليم من التطبيقات العملية .

طرق التقييم

إن طرق تقييم المعرفة التي اكتسبها الطالب هي المقياس العملي لنجاح المدرس في مهمته وبلوغ أهداف التعلم في مؤسسات التعليم ، وتشمل طرق التقييم ما يلي :

(أ) **طلب كتابة مقالات** Essays Writing : عادة ما يقدم للطالب عدداً من الأسئلة ، يختار منها ما يزيد عادة على ثلثي مجموعها ويعطى وقتاً محدداً لإتمام كتابة الأجوبة على هيئة مقالات ، وهذا يعطي الطالب فرصة لعرض ومناقشة الحقائق العلمية مسترجعاً من الذاكرة ما سبق له تعلمه كما يعطي الطالب فرصة لاستعراض قدرته على التعبير عن غزارة معلوماته ، إلا أن **هذا النوع من التقييم يخضع للحدود التالية :**

(١) لا يمكن عن طريق هذه المقالات المحدودة ، اختبار المعلومات بقدر كاف في جميع مكونات الموضوع .

(٢) قد لا تكون طريقة التقييم وتوزيع الدرجات دقيقة وبالتالي قد لا تعطي الطريقة هذه صورة حقيقية لمستوى الطالب .

(ب) **طلب الإجابة على الأسئلة المحدودة والأسئلة المتعددة الاحتمالات** Multiple Choice or Multiple Responce Questions : وهذه الأنماط من الأسئلة تستعمل بكثرة وتهدف إلى اختبار مدى قدرة الطالب على تجميع المعلومات وتحتاج إلى وقت أقل في الكتابة ، ويمكن عن طريق هذا النمط تغطية المقرر كله تقريباً ، ولذلك فهي تعطي فكرة أوضح عن مدى إحاطة الطالب بالموضوع .

وباستعمال هذه الطريقة يمكن الحكم بصورة أفضل على الطلبة متوسطي المستوى . . وإن كانت لا تعكس الإجابات مدى تعمق الطالب في الموضوع أو مقدرته على استخدام معلوماته في حل المعضلات .

(جـ) **الأسئلة الشفوية** Oral Examina-tions (Viva). : ويهدف هذا النوع من التقييم إلى ما يلي :

(١) اختبار مدى وعمق المعلومات أو الحقائق التي اكتسبها الطالب .

(٢) مدى الفهم والاستيعاب وذلك عن طريق عرض المعلومات والحقائق والقواعد الأساسية للموضوع ومدى القدرة على حل المعلومات أو المشكلات العلمية .

(٣) التعبير العلمي والقدرة على المناقشة .

ولينهض عضو هيئة التدريس بمسؤولياته التعليمية بكفاءة فإن تأهيله لذلك يمثل الصدارة بين المواضيع التي على الجامعة أن توليها عناية خاصة ، فعلى الجامعة واجبات تجاه عضو هيئة التدريس تتمثل في استمرار تطوير المستوى العلمي لعضو هيئة التدريس والمساعدة على حل مشاكله الأكاديمية وغير الأكاديمية والعمل على تحسين طريقة أداء عمله باستخدام الطرق التالية :

● **أولا : تدريب عضو هيئة التدريس عند بداية التحاقه بالجامعة في دورات قصيرة الأمد تتناول بالدراسة والتحليل طرق التدريس والتقييم ،** وقد تشمل هذه الدورات التخطيط والإعداد للتدريس والمهارات في الإلقاء والتعليم واستعمال الوسائل الإيضاحية والوسائل التعليمية المساعدة وطرق التقييم المناسبة لكل نوع من أنواع التعلم .

● **ثانياً : عقد الندوات عن طريق الأقسام نفسها** بحيث تستعرض الطرق المناسبة لتدريس التخصص واستعراض آخر المنجزات العلمية وتصحيح النظريات وتحديث المعلومات .

● **ثالثاً : تشجيع التفاعل بين أعضاء هيئة التدريس على مستوى القسم بمختلف تخصصاته الدقيقة ،** والمستويات العلمية المختلفة حيث يتم تبادل الخبرات بين عضو هيئة التدريس العربي وغير العربي فينعكس ذلك على التدريس والأبحاث إيجابياً في معظم الأحوال ، كما أنه يجب تشجيع تقييم عضو هيئة التدريس ليس من قبل زملائه فحسب بل من قبل الطلاب أيضاً ومناقشة نتائج التقييم من قبل القسم نفسه مع عضو هيئة التدريس بالطريقة المناسبة .

رئيس القسم الأكاديمي

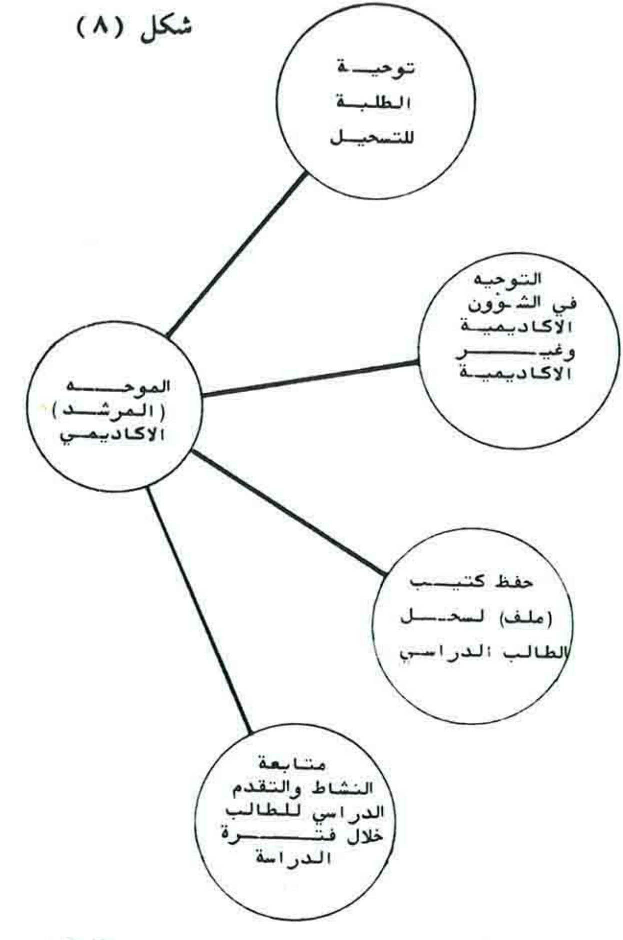
يقع عادة عبء تحديد مستوى التدريس والعمل على تحسينه باستمرار على عاتق رئيس القسم بالدرجة الأولى ، وتحديد مستوى معيّن والعمل على الارتقاء به باستمرار له إيجابيات يمكن أن تكون ملموسة من قبل المؤسسة العلمية نفسها وذلك عن طريق متابعة أداء خريجيها في الحياة العملية ومدى نجاحهم في تحقيق طموحاتهم الوظيفية ، على أن **المدرس الذي يكون تحت المستوى المطلوب لسبب أو لآخر ولا يمتلك الحافز على تطوير مستواه العلمي أو التدريسي قد يؤثر سلبياً على التعليم الجامعي ،** ولذلك فإن من الأهمية بمكان تشخيص المسببات والعمل على معالجتها بجدية وبأسرع ما يمكن ، وتقع مسؤولية كبرى في هذا المضمار على عضو هيئة التدريس الذي يرأس القسم والذي يفترض فيه أن يكون قدوة مثلى يرعى الأنشطة الأكاديمية ، ويحافظ على المستوى العلمي المتميز واضعاً نصب عينيه كون التعليم مهنة على أعلى درجة من الأهمية في تنشئة الجيل وتشكيله وإعداده لحمل مسؤولياته في المجتمع . على أن تنشئة عضو هيئة التدريس وتطويره باستمرار مهمة شاقة لكنها جديرة بكل ما يبذل في سبيلها من عناء نظراً لأهمية الدور الذي يضطلع به المدرس الجامعي .

عضو هيئة التدريس باحثاً

تشمل مسؤولية عضو هيئة التدريس ، الإعداد والتخطيط والعمل على تطوير الأبحاث حيث ينعكس ذلك على التدريس فلا يكون المدرس وعاءً لنقل المعلومات ولكن أيضاً مخترع ومكتشف ومجدد . **وتؤدي الأبحاث إلى تنمية عضو هيئة التدريس علمياً ، وتطوير قدرته على حل المعضلات والمشاكل العلمية ، والإعداد للعمل التجريبي ، وتحليل وتفسير النتائج العلمية ، واستخلاص المعلومات المفيدة واستخدامها لتدريس النشء مضيفاً إلى المعرفة كل ما هو جديد ،** وينعكس ذلك على مقدرته العلمية واستعداده لمواكبة التقدم في حقول المعرفة .

ولحضور المؤتمرات والمشاركة في الندوات فضائل منها صقل الأفكار ونموها وتوجيه الأبحاث الوجهة السليمة ، كما أن التفرغ العلمي للأبحاث بين فترة وأخرى يعطي عضو هيئة التدريس فرصة لإعادة تقييم حساباته والإعداد للخطط المستقبلية سواء كانت تعليمية أو بحثية ، كما أن استقدام أساتذة زائرين متخصصين في فروع ذات أهمية للبلد نفسه وذات صلة بالمشاكل المحلية تعطي دفعة

شكل (٨)



مباشرة لتنمية الأبحاث ، وغالباً ما يكون المردود إيجابياً ليس على عضو هيئة التدريس نفسه فحسب ، بل أيضاً على القسم الأكاديمي والكلية والجامعة أيضاً ، ومن ناحية أخرى تساعد منح الأبحاث على زيادة أعضاء هيئة التدريس أو منسوبي القسم وتوفير الأجهزة والمواد وتنشيط الأبحاث في المؤسسة العلمية .

مرشد أكاديمي

لا تتوقف مسؤولية عضو هيئة التدريس الأكاديمية عند القيام بالتدريس وإجراء الأبحاث فقط بل تتعدى ذلك إلى الإرشاد الأكاديمي للطلاب ، فمدرس الجامعة ليس ملقناً لكنه مرشد وموجه وصديق لطالب الجامعة الذي يكون في العادة طالب ناضج بالغ يأمل في معاملته على هذا الأساس ، كما أن متطلبات عمله المستقبلي تستلزم أن يكون الطالب على إدراك تام بما يرجى منه عند التخرج ، ولذلك فإن الطالب عادة ما يسائل نفسه عن مدى علاقة ما يدرسه بوظيفته المستقبلية فإذا نجح مرشده الأكاديمي في تبيان ذلك وبعث غرائز حب التعليم لديه وتوجيهه للتدريس الذاتي ورعاية ومتابعة تقدمه الدراسي فإن النتيجة غالباً ما تكون أكثر من مرضية (**شكل ٨**) .

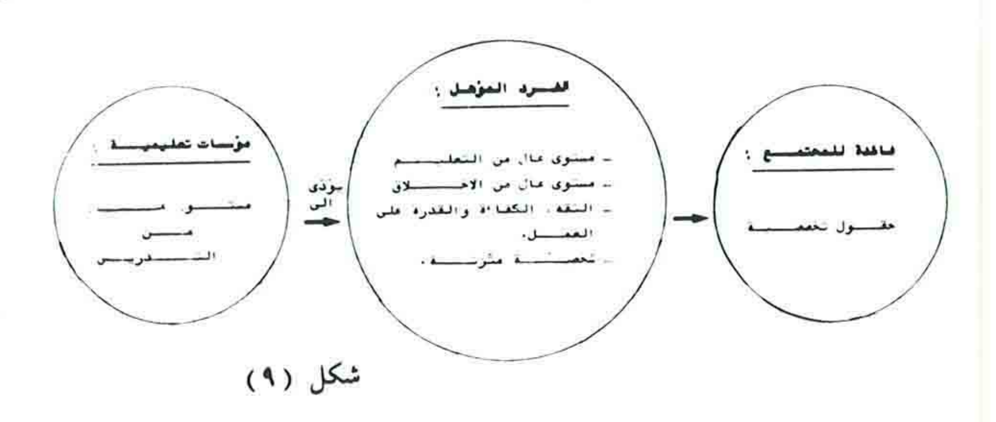
عضو هيئة التدريس إدارياً

وأخيراً وليس آخراً تشمل أعباء عضو هيئة التدريس المشاركة في الإدارة سواء على مستوى **القسم** أو على مستوى **العمادة** أو **إدارة مراكز الأبحاث** ، وقد تكون مسؤوليته الإدارية متعلقة بالطلاب مباشرة كالتسجيل أو ما يتعلق بمهنة التعليم كتنمية المقررات وإعداد التجارب وتنفيذها ، أو الإشراف على النشاطات اللاصفية والثقافية والاجتماعية أو الثقافية الخاصة كتلك التي تقتصر على أنشطة القسم الأكاديمي ، وإعداد الجداول ومتابعة الأنشطة الأكاديمية والإدارية به ، هذا بالإضافة إلى المشاركة في اللجان الأكاديمية والمنهجية أو لجان الأنشطة الأخرى بالكلية ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بطبيعة عمله .

عضو هيئة التدريس والمجتمع

غالباً ما تتحدد العلاقة بين عضو هيئة التدريس والمجتمع على ضوء اهتماماته وقدراته وسلوكياته ، وقد يتعدى ذلك محيط كليته إلى [illegible] مؤسسات ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بطبيعة عمله في المجتمع وتتجلى العلاقة المباشرة فيما يقدمه عضو هيئة التدريس للمؤسسات من استشارات أو خدمات مباشرة ذات علاقة بطبيعة تخصصه ، وغالباً ما تكون هذه الخدمات قيادية تتعلق بالتخطيط أو الإدارة ، هذا فضلاً عن العلاقة غير المباشرة لعضو هيئة التدريس التي تتمثل في تطوير المؤسسات العاملة في المجتمع والارتفاع بمستوى خدماتها ويمكن التمثيل على ذلك بالخدمات الصحية ، فمؤسسات التعليم الصحي ومؤسسات الرعاية الصحية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعضها البعض ، حيث تعد مؤسسات التعليم الأطباء والصيادلة والممرضين وفنيي المختبرات للعمل في حقل الرعاية الصحية ، وهؤلاء المختصون يقومون بدورهم بتقديم خدمات مباشرة إلى المجتمع ، كما يقوم المجتمع بإفادتهم علمياً في تخصصاتهم عن طريق تنمية معارفهم عن طريق المعالجة والأبحاث (**شكل ٩**) .

وفي الختام .. أود أن أنوّه بحق الجامعة الكبير على المجتمع ، حق التقدير وحق الدعم المادي والمعنوي ، وضرورة تفاعل المجتمع مع الجامعة والترابط بين التخطيط والتأهيل لسد الحاجة إلى الفئات المؤهلة في الحقول المتخلفة باتزان وتوازن .



شكل (٩)

المراجع

(١) ر . م . بيرد عام ١٩٧٠م . التدريس والتعليم في … هارموندز سوبرث . لندن .

(٢) د . سنكلير عام ١٩٧٢م . التعليم الطبي الأساسي . مطبعة جامعة أكسفورد . لندن .

(٣) ر . ب . فولي و جي . سمولسكي عام ١٩٨٠م . طرق التدريس ، كتاب للتخصصات الصحية . كتب شركة ماكجروهل . نيويورك .

(٤) هيل عام ١٩٦٤م . تقرير لجنة المنح الجامعية عن طريق التدريس في الجامعة . منشورات مكتب صاحبة الجلالة للطباعة . لندن .

(٥) هـ . ج . فروست عام ١٩٦٥م . ملاحظات في مناسبات كبيرة . التعليم للبالغين (المملكة المتحدة) ، مجلد ٣٧ . صفحات ٢٨٢ _ ٢٨٣ .

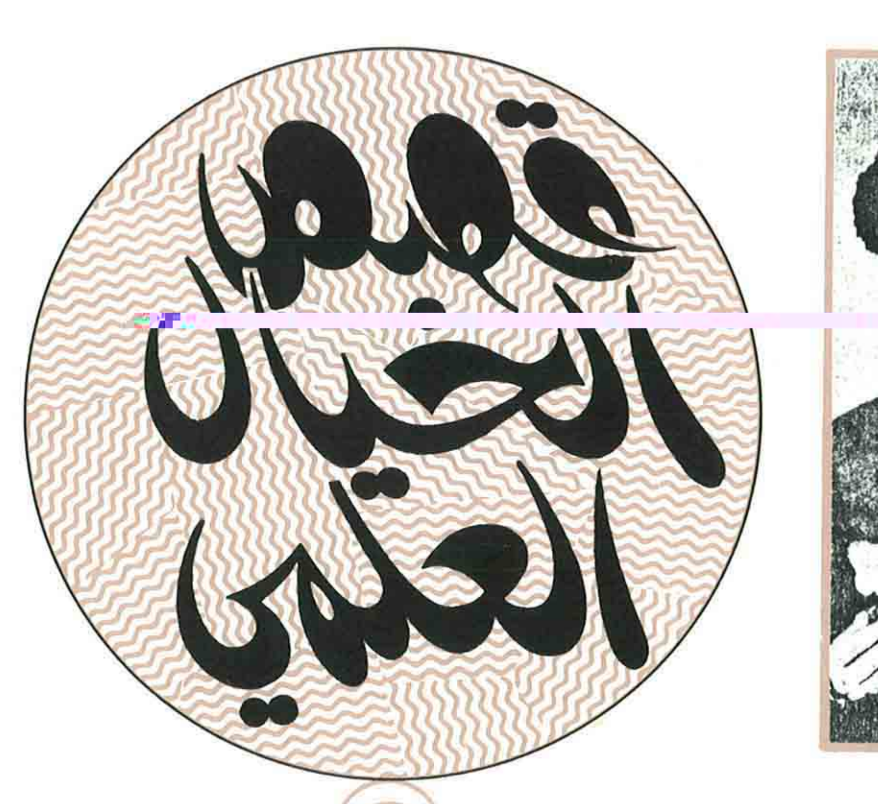
1 BEARD. R.M. (1780) Teaching and Learning in Higher Education. Harmonds Worth.

2 SINCLAIR. D (1972) Basic Medical Education. Oxford University Press. London.

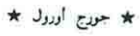
3 FOLEY. R.P. AND SMILAUSKY. J (1980) Teaching Techniques- A Handbook for Health profession. McGraw Hill Book Company. New York.

4 Report of the University Grants Committee on University Teaching Methods (HALE) 1964. London. H.M.S.O.

5 FROST. H.C. (1965) Observations on a great occasion. Adult Education (U.K). 37, 282-283.



★ جيمس جويس ★



★ جورج أورول ★

بقلم: إدموند كرسبين



ترجمة: د. سليم الأسيوطي

إن اصطلاح «قصص الخيال العلمي» هو طبعاً، تسمية خاطئة. فإن هذا النوع الأدبي من الكتابة ليس عادة عن العلم، إنه عن تأثيرات العلم على المجتمع بوجه عام، وعلى مؤسسات معينة، أو على أفراد بالذات. والإخفاق في إدراك هذه الحقيقة البسيطة قد تؤدي بنا إلى قدر كبير من الإثارة الناجمة عن عدم وضع الأمور في نصابها الصحيح، وخاصة بقدر أكثر من ذلك فيما يحتمل بين العلماء المحترفين الذين يعتقدون أن قصص الخيال العلمي مرتبط بصورة مبهمة بعملهم الخاص بهم.

ولما كانوا يتأذون للافتراض المسبق الذي يقول علمهم باستحالته، فإنهم عرضة لأن يغفلوا قصد المؤلف الأساسي وهدفه الرئيسي الذي يكون في الغالبية العظمى من مثل هذه الحكايات لا صلة له البتة بالعلم، لكنه يتعلق بموضوع ما، إلى حد ما، من مثل السياسة أو الأخلاق، أو علم الاقتصاد، أو بها جميعاً، وما هو أكثر. ولنأخذ لذلك مثالا، **«روبنصون كروزو»** رواية لا تدور حول السفر بالبحر ولكنها تتناول حالة تكون فيها الملاحة سابقة لا يمكن تحاميها. وعلى هذه الحال ذاتها فإن **العلم في قصص الخيال العلمي يظل حياً لا يموت لما يستطيع أن يحدثه ويسببه، ونادراً ما يكون، في الوقت الحاضر، من أجل هدف ذاتي.**

وفي بعض الأحايين سوف يستنبط كاتب قصص الخيال العلمي من سلسلة من الملاحظات أحوالا أو تطورات محتملة الوقوع، لكنها غير ملحوظة في كشف قد سبق التوصل إليه وتحقيقه، أو من تكنولوجيا كانت قد دخلت في طور التنفيذ من قبل، مادة مضادة لما هو أرضي أو دنيوي، من مادة غير الطبيعة مثلاً، أو الجراحة التعويضية[1]، وعلى أية حال فإنه عما يفوق المعتاد (إذ إن مؤثرات الحقائق الثابتة واضحة إلى حد ما، ومن ثمة تعطي مجالا صغيراً نسبياً للتأمل).

إن الكاتب العلمي سوف ينقل قصته إلى المستقبل القريب أو البعيد، كي يتمكن من أن يطالب بكشف ما أو اختراع جديد من الأفضل أن يكون نوعاً مدروساً يرج الوضع الإنساني بعنف أو بغيره تغييراً صارخاً إلى حد ما، وحينئذ ينصرف لوصف الوسيلة التي يتوسل بها لأن يكون الاتجاه قوياً فعالا، وذلك التغيير مؤثر تأثيراً ناجحاً عملياً، وبهذا الإجراء فهو نادراً ما يحاول الادعاء بالكهانة أو التنبؤ في الحقيقة والواقع.

وفي هذا العصر، أصبحت ادعاءات التنبؤ في قصص الخيال العلمي نادرة كل الندرة حقاً. فإن ما يريده الكاتب هو إما أن يقدم فكرة عن البشرية عامة (أو عن جانب ما أو بعض الجوانب الخاصة في مسارها واستمرارها) أو، بدلا من ذلك، أن يثير رؤية تبدو له ممتعة في حد ذاتها، فيكون معظم ما ينجزه في الغالب، وهو في أحسن حال، هو نوع من صهر هذين الهدفين ودمجهما معاً.

ومسبقاً، فإنه سوف يكون هناك قدر معيّن من الحذر الذي يقتضيه الموقف لإرجاء إصدار حكمه بالجحود والإنكار: سرعة سير

الزمان والسيرنطيقا المتقدمة ، والجامعات المتوازية ، وعقاقير إطالة العمر أو ما هو غير ذلك . ولكن الكاتب نفسه لا يكاد يأخذ هذا الهذر مأخذ الجد ، ولسوف يكون من الخطأ لدى قرائه أن يحذوه حذو القذة بالقذة : يبدأون بالتوقف عند الإجراءات التمهيدية وهي بكل وضوح شؤون ملائمة وموافقة أكثر منها شؤون إقناع واقتناع ، فالمرء منطقياً عرضة لأن ينتهي به المطاف إلى صرف النظر عن **مسرحية «حلم منتصف ليلة صيف»**[٢] ، بوصفها عديمة القيمة بحجة أنه لا وجود لمخلوقات من مثل الجنيات . لا ، إن الهذر هو هذر فحسب . إذ أنه موجود باعتراف الجميع على نحو لا يمكن إنكاره ، وهناك متسع للتحسين فيه . ومن ناحية أخرى ، فإن هؤلاء الذين ينتجونه يستطيعون جرياً على إحكام العقل أن يدللوا على ، أولا : أن في الوقت الحاضر لا يستطيع أي قدر من المعرفة ، الإيحاء بأنه وسيلة تبدو مقنعة من بعيد (مثلاً) للوصول بالناس من الأرض إلى **كوكب الفاقنطورس**[٣] في حقبة من الزمن لا تقل عن ألف أو ألفي عام . ثانياً : أن الهذر إذا ما بلغ مبلغاً يفوق المعقول والمقبول ، فإنه يعرض القصص الصحيح لخطر الظلال التي تحجب حقيقته عن الناس وهكذا يسبب الاختلال الجمالي غير المرغوب فيه .

موضوع قصص الخيال العلمي

إن قصص الخيال العلمي ، إذن ، ليس حقاً وفي الواقع عن العلم . كما إنه ليس حقاً وفي الواقع عن المستقبل : إن ممارسيه ليسوا بالضرورة أبداً ، يعتقدون في **الاستقبالية**[٤] المعينة التي يتصادف أن يشيروا إلى أنها محتملة الوقوع ، أو يرمزوا إليها على هذا الأساس ، حتى ولو كان واضحاً ، أن من صميم عملهم أن يفعلوا هذا . ولكن إذا كان العلم والمستقبل حادثين عارضين أو ذريعتين ، فما هي ، إذن مادة موضوع هذا الجنس الأدبي ؟

إن مادة موضوع قصص الخيال العلمي الحقيقية هي الحاضر ، يرى في ضوء مشاهد التاريخ ، فعلى الرغم من المظاهر فهو لا يتناول



سكان **المريخ**[٥] (المفروض وجودهم على سطحه) أو **« المورلوكس »** Morloks ، أو الآلات الذكية المعجزة . وعلى أية حال ، هل هذا ممكن ؟ إننا نحن مادة قصص الخيال العلمي ، سداه ولحمته ، نعني أننا نحن البشر موضوع هذا اللون من القصص كما قد جعلنا الله بحسب تكويننا ، وبيئتنا وسلوكنا . والمنهج الذي استخدم في معالجة مادة الموضوع هذه هو طبعاً ، منهج طويل غير مباشر وملتو بذلك الرمز المملوء بالشراك والمحفوف بالمخاطر الذي يتربص بكل غافل قليل الحيطة . فمثلاً لكي يعرض كاتب قصص الخيال العلمي عرضاً واضحاً كل الوضوح ، معقولا جدير بالثقة فإنه يفترض نظرية جامحة الخيال بعيدة المنال غير محتملة الحدوث أو العكس . . أو تقديمه شرحاً يمكن الدفاع عنه وتفسيراً يمتنع على الرفض للأسباب الجوهرية الجذرية للتطرف في الإيمان بأن القوة العسكرية عماد الدولة ، فهو قد يدخل تغييرات بيولوجية من نمط خاص يكون في الوضع القائم للمعرفة ، لا يمكن لأي من أخصائي علم الوراثة أن يأخذه مأخذ الجد . أو من أجل هذا الأمر ، يكاد أن يكون جهازه جميعاً يشكل اعتداء عنيفاً ليس على المحتمل فحسب بل أيضاً على الممكن ومع ذلك ، وفي ظروف كل هذه الزخارف الوهمية سوف يكون هناك دائماً شيء ما أساسي يجب أن يكون مرتبطاً بالإنسان (بوصفه نوعاً بيولوجياً) كما يرى الكاتب نفسه الجنس في زمننا الحاضر ، عند لحظة الكتابة . ونادراً ما يتوهم نفسه العرّاف الذي يكشف عن المستقبل عن طريق التحديق إلى كرة بلورية .

أن موضوعه الرئيسي النهائي ليس هو ما يتخيله حادثاً ـ ربما ـ ما يتخيل أنه يحدث . ومن الثابت الذي لا يتغير ، وبحكم الضرورة ، أنه ما كان قد حدث فعلاً من قبل .

إنه ، في جميع الأحوال ، يعالج ما قد حدث من قبل بطريقة فذة نادرة المثال . . وهنا تكون الإشارة إلى شيء ما أكثر من مجرد وسائل غير مباشرة لاستخدام سفن الفضاء أو الناس الآليين بقصد الملاحظة أو تكون مجموعة علامات ورموز مستخدمة في السياسة أو في العرف أو التقاليد الأخلاقية للجنس ، فإن التكرارية التي تحدث باعتراف الجميع وعلى نحو لا يمكن إنكاره في موضوعات قصص الخيال العلمي المزعومة غير الحقيقية تلبس بقشرة الكثير المتنوع من وسائل ممارسة الكتابة .

إن **المعجنات**[٦] قد تميل إلى أن تكون هي الحلوى ذاتها ، ولكن مواد الفطيرة ليست بحال من الأحوال ممكن توكيدها كثيراً . ففي اتجاه **طيف**[٧] قصص الخيال العلمي العام فيما يخصنا هنا الآن ، فمع ذلك ، أو بالرغم من ذلك فلا توجد حزمة ضوئية يمكن تمييزها على أنها أزهى لوناً وأكثر اتساعاً . ولسوف لا نعدو الحق كثيراً حينما نفرد هذا الوضع ونختصه بالتمييز والتفرد .

أصل الأجناس

وباالاختصار نقول إن قصص الخيال العلمي هو قصص خيال « أصل الأجناس »[٨] Origin Of Species Jection **وإن تقدير قيمة الإنسان الجوهرية تنحصر في أنه واحد من حشد الحيوانات المختلفة التي تشاركه هذا الكوكب ، وبمعرفتنا لذلك ومن هذا المنطلق فلن يتعذر علينا أن نرى في قصص الخيال العلمي أشخاصاً قابلين لأن يكونوا من ذوي الأهمية المفروضة الضالة بحكم حقهم الذاتي .** فإن كثرة الأجناس البشرية وتعددها إلى حد بعيد جداً يمنعنا إذا ما كنا سوف نقر وجهة النظر هذه من أن نأخذ حقاً شخصيات **مدام بوفاري**[٩] ، **وستريثر**[١٠] ،

أو **ليوبولد بلووم**[11] مأخذ الجد . . في أثناء عملية استخراج مثل هؤلاء الناس من الزحام الضخم لزملائهم الذين يرقدون مغمورين في أعماقه ، يوصم من أبدعوها أنفسهم بعدم التناسق ، على الرغم مما يتصفون به من الذكاء والفطنة ، ومهما يكن قدر هذا الذكاء ، وبعد هذه الفطنة فالموقف هنا شبيه بموقف عالم بكتريولوجي ، تحتم عليه أن يقصر بحثه لا على مجموعة بالذات من البكتريا فحسب ، ولكن على بكتير واحد منعزل مختار .

إن المعاني الفلسفية أو الدينية المتضمنة واضحة . إذ إن في أغلب الأحيان يرتكز قصص الخيال العلمي على أرض صلبة ، إلى حد ما ، من المادية العلمية[12] . . والنتيجة الحتمية لذلك هي أن درجة عالية من الشك وقدر كبير منه في أهمية الإنسان الأساسية ، ويمتزج على مستوى الحتمية والمساواة كلتيهما ، بميل قوي شديد إلى السخرية من اعتداد الإنسان بنفسه والهزء به ، وهنا تبرز لنا قضية تذهب بنا إلى أبعد ما يكون البعد ، حتى يصبح أشد العلميين عزمة ، وأكثرهم صلابة مستعداً لتقبلها ، ومهيئاً للتسليم بها عادة .

وفي كتاب القصص الخيالي العلمي ، لا يقيّم الإنسان كما تقيّم القبرات والجنادب فحسب ، لأنه على الرغم من كل تخصص الإنسان البيولوجي المتبجح ؛ فهو يستوي في الأهمية عندما يؤخذ في الاعتبار ، مع القبرات وجنادب الحقل ولا يتفوق أو يعلو عليها . فهي مخلوقات على كل حال ، لها تخصصاتها الذاتية أيضاً . إن الفكرة الرئيسية هنا هي أنه حينما يؤكد بنو الإنسان أن مواهب البشر وقدراتهم هي في صورة أو أخرى أرفع وأعلى قدراً من مواهب الحيوانات الأخرى وقدراتها ، فإن هذا التأكيد نزولا عند طبيعة ما هو حقيقي وواقعي يجب أن يكون أساساً موضع شك . وعند القول بهذا التأكيد ينغمسون في لون من تقدير القيمة والحكم عليها غير معروف في قسم آخر من **أقسام « الامات »**[13] ومن ثمة فهم في وضع المحاسبين القانونيين المطالبين بأمانة المحاسبين القانونيين ونزاهتهم الخاصة ، واستقامتهم الذاتية . أو هم في وضع القصابين الذين يفترضون أن طائفة القصابين من بين طوائف المواطنين أجمعين تحتل أسمى مكانة وتتبوأ أرفع درجة ، ولو أخذنا القول المأثور : « إن المخلوق عاقل غامض وعظيم متوحش » . ثم قلبناه رأساً على عقب وتصورنا بعيني العقل التعبير الجديد بشيء من التهكم ، لكان لنا إرهاصات فكرة عما يقصده قصص الخيال العلمي في نظرته إلى الحياة » .

إن الصورة الذائعة الشائعة بين عامة الناس هي ، طبعاً ، بعيدة كل البعد عن كل هذا . ولما كان قصص الخيال العلمي ينبع أساساً ويصدر أصلاً ، بقدر عظيم ، من الجزء الثاني من **رواية ويلز**[14] شكل الأشياء في المستقبل فإنها تتصور النوع الأدبي (الرواية هنا) على أنه توقعاً يختص بالمدن الفاضلة[15] التي فيها الإنسانية المحبة للسلام الخيِّرة ، وسعادتها التي تعززها الإنجازات الفنية الضخمة تنتشر في جو مثالي حتى تطاول النجوم . ولكن لسوء الحظ فإن الأدب نفسه يخفق في دعم هذه الرؤية الفاتنة الجذابة . واليوم يجب أن يختص القليل الذي لدينا من قصص علمي رائع جدير بالإعجاب « بالمدن الفاضلة » وبالعكس ، فإنه تبعاً للشك الذي جاء ذكره وسبقت الإشارة إليه ، أصبح قصص الخيال العلمي ، عامة يختص بما قد أطلق عليه علم صياغة الكلمات الحديثة الفلسفية ومبتكراتها المنفرة ، الكريهة ، البغيضة إلى حد ما « **دايستوبياس** »[16] المدائن التعسة . وهذه المفاهيم المجردة عن الحماسة للطرائق والأساليب التي تمكن الجنس البشري من أن يتعلم بالتجربة والخبرة كيفية معالجة ما يعترض سبيله من العقبات الكأداء التي لا سبيل إلى تخطِّيها لتحقيق أغراضه والوصول إلى أهدافه ، لا تدعو بحال من الأحوال إلى تشاؤم محتوم لا تملك أن تفارقه ضربة لازب مثلاً ، مثلما تكون رواية **جورج أورول** عام ١٩٨٤ م ، متشائمة .

إن صوراً كئيبة قد تجيء من فوق حوامل المصورين والرسامين من آن لآخر ، ولكنها ليست الغالبية ومن قبيل التفضيل فإن قصص الخيال العلمي يظهر « الإنسان » بوصفه مخبولا أكثر منه شريراً . فلا يوجد كاتب يمارس كتابة قصص الخيال العلمي يستطيع أن ينكر صدود **بيلسن**[17] واعتراضه المفرط ، وفي الوقت نفسه بالضبط فلن يغيب عن بال أحد السذاجة الخالصة التي دفعت بمحرض بيلسن الرئيسي إلى خسران حرب كان من المحتمل أن يحرز فيها نصراً مؤزراً ، وهكذا فقد ساعد بغبائه المفرط وحماقته البالغة على خلاصنا من تكاثر من هم على شاكلة بيلسن ، في كل بقاع أوروبا . وما يمكن إدراكه ضمناً هنا ـ صواباً أو خطأً ـ هو أنه حتى أشد ألوان البذاءة البالغة من الممكن تخفيفها وتلطيفها في النهاية بما فينا من عجز أخرق عضال ، وقصور مستعصٍ غير قابل للشفاء . وتأثير هذا الموقف ، في قصص الخيال العلمي ، هو أن تعطي المدائن التعسة مسحة من التهكم والمرارة تسود جوها وتسيطر عليه . فإذا ما سلمنا بالحقيقة بأن هذا النوع الأدبي يستهدف الترفيه والتسلية ، ومن ثمة فليس باستطاعته الوصول إلى أعمق الغايات القصوى من الإحساس بالوحشية والشراسة والكآبة والغم . وحتى لو كان الأمر كذلك فهناك على الأقل شيء ما يمكن أن يقال ، على أساس الواقعية فحسب ، لأن الفكرة القائلة إنه مهما تكن أفعال الناس مفزعة ومروعة رهيبة ، فإن خطاياهم ، إن عاجلاً أو آجلاً ، سوف تصاب بضربة عنيفة من الإنحراف ، سواء بما يمكن فيها من غباء منيع حصين لا يؤخذ عنوة واقتداراً ، أو بما يتصف به مواطنيهم من صفات ، أو بالاثنين معاً .

إن « المدائن التعسة » في قصص الخيال العلمي ، إذن تجنح إلى أن تكون قضايا أنصاف الحلول : سوف يكون هناك الشر ليطغى على الخير دائماً . ومن جهة أخرى سوف يكون هناك الجبن المفرط والمحال الذي ينافي الطبيعة والعقل يشل الاثنين كليهما معاً شللاً نصفياً ، فإنه على الرغم من أن ما قد قيل في هذا الشأن قد اشتمل على كثير من التعميم والتبسيط . وعلى الرغم من أن هناك كثيراً من الاستثناءات التافهة توجد على الإطلاق لهذا الوضع ، فإن الأمر يظل ، صدقاً وحقاً ، بأن قدراً عظيماً من



قصص الخيال العلمي والتجاري ، ينطوي بداهة على نوع من الشك المتواكل الذي يعالج ما حولنا حتى ولو لم يصفه في صراحة . إنه من المتوقع والمأمول أمامنا بمقياس ماضينا وموقفنا الآن . وتحت كل الأجهزة والآلات والاختراعات والتدبيرات والاستنباطات والفنتازيا تكمن مسحة من السخرية والتهكم ، نقد متواصل مستمر ودائم غير صادر عن غرور الأفراد بقدر ما هو نابع من غرور الجنس ككل .

وفي وقت أحدث عهداً ، ظهر مثال أشد إسرافاً وأبلغ تطرفاً في شكل رواية **للكاتب مستر كيرت فونتجوت**[18] سيرانات[19] تيتان : خبيث[20] يستخدم جهاز قصص الخيال العلمي الخداع والتضليل ليوحي بأن أجيال الناس التي ظهرت في الوجود ، بهدف وحيد هو حمل رسائل سخيفة على غير علم أو عمد ، تتضمن بعث الطمأنينة في قلب الإنسان الآلي الأبله ، وتبدد قلقه وشكوكه وتهدأ روعه بعد أن ألقت به الأقدار مصادفة على سطح أحد أقمار الكوكب زحل منذ مائتي ألف عام وتوضيح موضوع مادة الكتاب العلمية بهذه الصورة الفجة فيه إهدار بقيمتها أيما إهدار حيث تظهر في الثلث الأخير على الأخص ، شبكة متشابكة من المفارقات عظيمة التعقيد كما أنها تكشف عن ذكاء أعظم وأعظم . ولكن **«سيرانات تيتان»** كنص يصبح تجربة ناجحة حاسمة . فعلى الرغم من أنه ساخر سخرية متصلة لا تنقطع ولا تتوقف وهكذا فهو بمعنى من المعاني هجائي ، فإنه ليس بالهجاء الذي نعرفه في كتابات **وندهام**[21] **لويس أوجونثان سوفت**[22] . إن ما هو ساخر سخرية طفيفة ليس هو نزعة الشر عند الإنسان ، أو حماقات الإنسان ، ولكن الإنسان فحسب ، وفي «إيجاز تام» ، واللااحتمالية المجنونة المتعمدة التي من خلالها قد اختار مستر فونتجوت أن يجري سخريته نحو بؤرتها أو قناتها المركزية يجب ألا تخدعنا وتحجب عنا الحقيقة بأنه يقوم بعمل ما فذ منقطع النظير ليصوغ قصص الخيال العلمي في قالب من قوالب الأشكال الأدبية كالرواية



والمسرحية والقصة القصيرة . . . إلخ ، وليس هناك إطلاقاً ما يشبه ذلك خارج نطاق هذا المجال .

بين القبول والرفض

ولما كانت كل هذه الأشياء على هذه الحال فسوف يكون من المدهش ما إذا كان قصص الخيال العلمي سوف يحظى بشعبية تهيىء له الذيوع والانتشار بين الخاصة والعامة في آن . ولا يستطيع أحد أن يستجيب كل الاستجابة إلى هذه النظرية المطروحة للمناقشة أو يتقبلها بارتياح ، فليس يوجد من يستطيع أن يتقبل تلك النظرية جملة وتفصيلاً بارتياح ، وعن طيب خاطر ، تلك النظرية التي لا هو شخصياً ولا أي شخص آخر كائناً من كان يمكنه أن يخاطر ويتحمل تبعة القول بهذا الرأي الذي يستهدف خطف الأبصار لتحقيق الخلود في إفراط وإسراف . **والآن كما هو واقع الحال دائماً ، نرى أن الكثير من الأعمال التي توصف بقصص الخيال العلمي لا يرق إلا قليلاً منها إلى مصاف ما هو أكثر من القصص المثير متشحاً بثياب الغد ،** وهنا يكمن ، تفسير معظم القصص العلمي السائد اليوم . ومع ذلك ، فحتى إذا ما سلمنا بهذا القول ، فإن الحماس لقصص الخيال العلمي يظل أقل انتشاراً بقدر أكبر ما يكون الكبر عما تبادر إلى الأذهان في بعض الأحيان . واعتماداً على الأرقام المتوافرة لدينا فإنه ليبدو مريباً ما إذا كانت مجلات القصص العلمي الست أو السبع الكبرى توزع أربعمائة ألف نسخة في جميع أنحاء العالم بأسره . وإنه لمما يبعث على الشك والتساؤل إذا كان الناشرون الذين يستثمرون أموالهم في إصدار روايات الخيال العلمي ، يحصلون من هذا النشر على أكثر مما ينفقون في هذا المجال . فإن قوائم أفضل المبيعات ، إذا ما وضعت موضع التأمل والاعتبار نادراً ما تكون المكان الذي نبحث فيه عن القصص الخيالي الذي يعلمنا ويرشدنا ويعرفنا إلى أي حد نحن تافهون ، كل التفاهة مهما كان قدر البهجة التي تدخل نفوسنا من قراءتها .

إن هذه المقالة لم تقم بمحاولة ما لوضع قصص الخيال العلمي في مكانه الأدبي سواء بسواء وعلى قدم المساواة . إن هذه المحاولة سوف تكون صعبة عسرة في جميع الأحوال وكل الاعتبارات : إن الانجاز لا يكاد يمكن الحكم عليه إلا بالرجوع إلى الهدف والاعتماد على العرض ، وأهداف قصص الخيال العلمي وأغراضه تختلف اختلافاً جذرياً ، وتتباين تبايناً أساسياً عن أهداف وأغراض **كتاب «موسيق الزمن»**[23] إلى الحد الذي لا يجرؤ فيه ناقد يتمتع بذرة من الرشد والإدراك حتى يطبق المقاييس نفسها على كليهما معاً . إنه تساؤل فحسب ، إذن ، **لماذا يكون قصص الخيال العلمي مدعاة للاهتمام جديراً بالتقدير على الرغم من أنه أولا وقبل كل شيء يستهدف التسلية الخفيفة والترفيه اللطيف** ؟ وعلى الرغم من الإخفاق في الحصول على القبول ، على أوسع مجال وتحقيق الرضا على أبعد مدى كما يتحقق للترفيه الخفيف المألوف والتسلية اللطيفة كما هي العادة في الحقيقة والواقع ؟

في **العصور الوسطى** كان الإنسان يبدو للعيان بصفة شائعة ذائعة عامة ، وقد تحول قزماً في مقابل خلفية من العوامل الروحية الخارقة للطبيعة التي تشده العقول وتذهل النهى ، ومع ذلك فهو لا يتحول قزماً إلى ما لا نهاية ، إذ إن الديانة المسيحية أكدت دائماً وأثبتت باستمرار أنه مخلوق خاص متميز . ومنذ **عهد النهضة** فصاعدا ، تقلصت هذه الخلفية وتضاءلت وانكمشت ، أو تجاهلها الناس أكثر فأكثر ، في

مقابل كسب متزايد لقيمة كل إنسان وارتفاع لمنزلته أمام هذه الخلفية . إن ما فعله قصص الخيال العلمي ، وما قد جعله شيئاً فظيعاً هو تحقيره لقدر « الإنسان » تماماً من جديد (وفي هذه الحال من غير أن يعوضه عن ذلك) في مقابل خلفية جديدة عظيمة ، هي خلفية البيئة . إن **شخصية ليوبولد بلووم**(٢٤) لها دبلن ، وشخصية ستزثر لها إنجلترا في عصر **الملك إدوارد السابع** الذي يتميز بمظاهر الثراء والترف والرضا الذاتي ، **ومدام بوفاري** التي عندها فرنسا الريفية ، ولكن الأشخاص التافهين نسبياً في قصص الخيال العلمي هم الكون كله بجميع ما يحويه أو ما يمكن التفكير في أنه يمكن أن يحويه . لمن المحتمل ، إذن ، أن يكون قصص الخيال العلمي في نهاية المطاف ليس مجرد تسمية خاطئة في مدلولها ، على الرغم من كل ذلك . إلى هذا الحد أو بهذا القدر أو في ذلك العصر ، وبتعبير آخر لمثلما تتخصص العلوم الحقة ، مصادفة فحسب في الحيوان الذي يمارس تلك العلوم وهو يأخذ في الاعتبار كل ما حوله مآخذ العظمة والضخامة ببيئة هذا الحيوان . إن العلم يعتبر الأهمية الذاتية ، في الإنسان ، كما هو من الواضح ، عامل ثمين من عوامل حب البقاء على قيد الحياة ، فإن وجهات نظر قصص الخيال العلمي الشاذة التي تميزها عن غيرها من وجهات النظر الأخرى من الجائز أن يظن بها الظنون ، وتؤخذ على أنها ذات طبيعة هدامة ، إذا ما سنحت فرصة لانتشارها على نطاق واسع ، وقبولها وتصديقها والعمل بها . وعلى كل ، فلما كان « الإنسان » هو ما هو كائن عليه فإن الفرصة (طبقاً لواقع قصص الخيال العلمي نفسه) يجب الحكم عليها بأنها غير واردة في الحسبان ، ولا في الوجود . وفي الوقت نفسه ، فإن الاعتداد بالنفس أو الزهو ، مثل أي عامل من عوامل البقاء الأخرى له مضاره وأخطاره كما له فوائده ومزاياه ، بحيث يبدو جهاد قصص الخيال العلمي في أضراره لتوفير علاج معتدل للإصلاح يكشف في نهاية الأمر عن فائدة متواضعة ، لكنه في حد ذاته يكون ممتعاً يبعث السرور في النفس ، ويشرح الصدر ، في تواضع وبساطة .

الهوامش

(١) إضافة عضو صناعي إلى الجسم البشري كالرجل أو اليد وهو ما يطلق عليه الأطراف الصناعية .

(٢) تأليف وليم شكسبير ، الشاعر الإنجليزي الأشهر .

(٣) أعظم نجم في مجموعة النجوم التي تحمل هذا الاسم وأقربها إلى الشمس .

(٤) الاستقبالية : حوادث المستقبل وما قد يستجد فيه ، أو كون الشيء حادثاً في المستقبل أو أحداث المستقبل .

(٥) الذين جاء ذكرهم في رواية « حرب العوالم » لمؤلفها الكاتب الإنجليزي هوبرت جورج ويلز (١٨٦٦ ـ ١٩٤٦ م) .

(٦) فطائر حلوة مصنوعة من الدقيق والدهن والسكر والماء .

(٧) الطيف صورة تحدث عند مرور الضوء الأبيض في منشور فيتحل إلى سبعة ألوان هي : الأحمر فالبرتقالي فالأصفر فالأخضر فالأزرق فالنيلي فالبنفسجي .

(٨) هذا هو اسم المؤلف الذي كتبه تشارلس روبرت داروين العالم الطبيعي (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢ م) .

(٩) بطلة رواية فلوبير التي تحمل هذا الاسم .

(١٠) شخصية في رواية السفراء تأليف هنري جيمس .

(١١) ليوبولد بلووم بطل رواية عوليس تأليف جيمس جويس الكاتب الروائي الأيرلندي (١٨٨٢ ـ ١٩٤١ م) .

(١٢) نظرية تقول إن المادة هي الحقيقة الوحيدة وإن الوجود ومظاهره وعملياته يمكن تفسيرها كمظاهر أو نتائج للمادة .

(١٣) Phyla مفردها Phylum أمّة وجمعاً « إمَّات » وهي الأقسام الفرعية الرئيسية الكبرى للمملكة الحيوانية وتحتوي على طائفة وأكثر من طوائف الكائنات الحية ذات القرابة وهنا تعني السلالات أو الأجناس البشرية .

(١٤) ويلز ، هربرت جورج (١٨٦٦ ـ ١٩٤٦ م) ، كاتب روائي ومصلح اجتماعي ومجادل . ولد في بروملي مقاطعة كنت بإنجلترا . اشتهر بكتابة الفانتازيات أو ما يطلق عليه الآن قصص الخيال العلمي ومن أهم أعماله « عصر الآلة » (١٨٩٥ م) و « الميكروب المسروق » (١٨٩٥ م) و « الرجل الخفي » (١٨٩٧ م) « شكل الأشياء في المستقبل » .

(١٥) الدنيا المثالية من حيث قوانينها وحكومتها وأحوالها الاجتماعية .

(١٦) Dystopias جمع مفردها Dystopia ورد في قاموس المصطلحات الأدبية Literary Terms Dictionary لمؤلفه Karl Arthur Ganz-ary كارل آرثر جانز ، ص٦٣ ، كلمة Dystopio وهنا يميل المؤلف القارئ إلى كلمة اليوطوبيا Utopio وهي المدينة الفاضلة وتعني دنيا مثالية بخاصة من حيث قوانينها ، وحكومتها وأحوالها الاجتماعية . ويتناول بالتعريف « الأدب اليطوبي » فيقول إنه نمط من الأدب يصور فيه المجتمع المثالي . وكلمة Utopia (هي تورية لكلمتين إغريقيتين الأولى هي آوتوبيا Autopia وتعني « لا مكان » والثانية أيوتوبيا Eutopia وتعني « المكان الطيب ») وقد طبقت أول ما طبقت على هذا الجنس الأدبي على يد العالم والسياسي في عصر النهضة المدعو سير توماس موروور في كتابه الشهير المؤلف باللاتينية وهو « اليوطوبيا » Utopia (١٥١٦ ـ ١٦١٦ م) . وفي عصر أحدث عهداً ظهر كتاب إدورد بيلمي Edward Bellammy بعنوان « النظر إلى الوراء » (في عام ١٨٨٨ م) ، وكتاب « أخبار من لا مكان » لمؤلفه وليم مورس (في عام ١٨٩٠ م) ، وكتاب جورج هربرت ويلز « يوطوبيا حديثة » (عام ١٩٠٥ م) ، وقد كانت كلها إضافات إلى مجموعة الأدب اليطوبي .

والاصطلاح دايوستوبيا Dystopia وجمعها دايوستوبياس Dystopias (وتعني المكان الفاسد) وقد استعمل مؤخراً ليعين اليوطوبيا ـ الضد ، وهي مكان يتميز بالمكننة المفرطة (والمكننة هي صيرورة الشيء ميكانيكياً أو الاستبدادية القصوى) . وكتاب جورج أورول (عام ١٩٨٤ م) ، الذي نشر في (عام ١٩٤٩ م) ، وكتاب أولدس هكسلي « عام جديد شجاع » الذي ظهر في (عام ١٩٣٢ م) ، يقدمان مثل هذه الرؤية الرهيبة . والمدن الفاسدة في روحها وطابعها النقدي تشبه بعض الشبه مثل هذه الفانتازيات الهازلة من مثل « رحلات جليفر » لمؤلفها جوناثان سويفت الكاتب الإنجليزي الساخر المولود في أيرلندا (١٦٦٧ ـ ١٧٤٥ م) ، وكتاب أيريهون (في عام ١٨٧٢ م) Erewhorne لمؤلفه صموئيل بتلر (١٨٣٥ ـ ١٩٠٢ م) ، كاتب روائي ومحرر مقال إنجليزي وأديب ساخر وعنوانه عبارة عن كلمة « لا مكان » في صورة أخرى من الحروف الهجائية ذاتها ولكن بتغيير ترتيب حروفها . وهذه الكلمات تقدم نقداً أكثر للجنس البشري أو نقداً أكثر تحديداً لمؤسساته (الجنس البشري) المعاصرة . إن أعمال قصص الخيالي العلمي ، وهي مقدرة حسب بيانات معروفة (أعني مستنبطة من الاتجاهات الجارية) ، قد تصلح لأن تقدم لنا صوراً جذابة أو صوراً مزعجة لعوالم المستقبل . انظر مؤلف لويس مومفورد Mumford قصة يوطوبيا (عام ١٩٢٢ م) ، وغيره من الأعمال المماثلة ذات الموضوع نفسه .

(١٧) شخصية منفرة في رواية (عام ١٩٨٤ م) ، تأليف جورج أرول الاسم المستعار لايرك بلير (عام ١٩٠٣ م ـ ١٩٥٠ م) ، كاتب روائي إنجليزي .

(١٨) كيرت ڤونتجوت (عام ١٩٢٢ م) ، كاتب روائي ولد في أنديانا بوليس وقع سجيناً في الحرب العالمية الثانية في أيدي الألمان . كانت هذه الرواية ورواية « مهد القطة » و « المذبح » سبب شهرته .

(١٩) « السيرانه » واحدة من مجموعة كائنات أسطورية عند الإغريق لها رؤوس نسوة وأجساد طيور كانت تسحر الملاحين بغنائها فتوردهم موارد الهلاك .

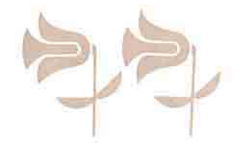
(٢٠) التيتان واحد من أسرة الجبابرة التي حكمت قبل آلهة الأولمب وتعني الآن الجبار العظيم القوة أو الحجم .

(٢١) بيرسي ويندهايم لويس (عام ١٨٨٤ ـ ١٩٥٧ م) ، مؤلف روائي وكاتب مقال إنجليزي ومصور ولد في الولايات المتحدة .

(٢٢) جونثان سويفت (١٦٦٧ ـ ١٧٥٧ م) ، هجاء إنجليزي ولد في أيرلندا أشهر أعماله رحلات جليفر .

(٢٣) تأليف الروائي الإنجليزي أنتوني باول Pawel Antony (Dymoke) .

(٢٤) بطل رواية يولوسيس لمؤلفها الكاتب الأيرلندي جيمس جويس .





درس فني

اعتزل العمل منذ شهور صانع الأجهزة السمعية والبصرية المشهور «ماكس جروندیج» الألماني وباع معظم مصنعه لشركة فرنسية واعتزل العمل بعد أن أنشأ من الصفر واحدة من أكبر شركات هذه الأجهزة والآلات.

وقد قرأت قصة حياة هذا الرجل الذي يعد نموذجاً للألماني الذكي النشيط الذي يعرف كيف ينشئ بيده وحدها عملاً ضخماً ويسير به سنة بعد أخرى حتى يصل به إلى أقصى ما يستطيعه رجل مفرد يقود شركة كبرى ذات مصانع وفروع متعددة ويجعلها بجهده علماً من أعلام الصناعة والتقدم والنجاح الفني والمالي في عصره. وإذا كنت أختصه بهذه الكلمة الطيبة فإن ما أرمي إليه هو أن أطلع أبنائي العرب على سر نجاح رجل أوروبي عرف الطريق إلى النجاح بصورة يمكن أن تكون درساً نستطيع أن نتعلم منه، لأن النجاح فن لا نتعلمه في البيت أو المدرسة، إنما نحن نتعلمه على رجل مارسه ووصل إلى قمة من قممه.

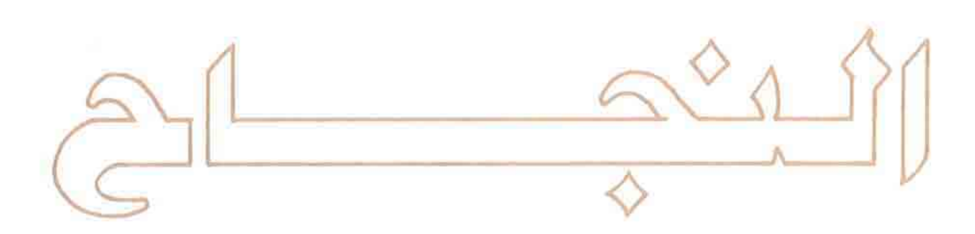
هذا الرجل ولد سنة ١٩٠٨م، فهو اليوم بعد الخامسة والسبعين بقليل، وقد توقف عن العمل في الخامسة والسبعين وقال: يكفيني ما عملت إلى الآن، وسأنفق ما يتبقى لي من سنوات العمر في الاستمتاع بالحياة، والرجل الذكي ينبغي أن يعرف متى يتوقف، إذ لا معنى لأن يستمر الإنسان في العمل حتى يخر ميتاً في مصنعه.

بدأ هذا الرجل عمله قبل الحرب العالمية الكبرى الثانية، ولم تكن الأسواق تعرف إلى ذلك الحين إلا أجهزة الراديو الخشبية الضخمة التي يشبه الواحد منها دولاباً.

وكان جروندیج أول من تنبه إلى مستقبل الإلكترونيات، فعكف على دراسة تطبيقاتها طوال سنوات الحرب. ولما كان لا يملك المال لينشئ مصنعاً فقد بدأ سنة ١٩٤٥م، بمصنع صغير في دكان متواضع فيه ثمانية من العمال. وكان هذا المصنع ينتج القطع اللازمة لتركيب جهاز راديو ويجمع القطع في صندوق ومعه دفتر صغير بطريقة التركيب ويغلفه تغليفاً جيلاً ويرسله بالبريد لمن يرسل له ثمنه، وسمي هذا الصندوق «راديو باو كاستن» (علبة بناء الراديو) وقد نجحت الفكرة نجاحاً واسعاً، لأن الألمان شعب صناع يولع بتركيب الأجهزة. وفي ثلاث سنوات باع الرجل من تلك الأجهزة ثلاثة ملايين، وجمع منها ثروة مكنت له من أن يخطو خطوة أخرى.

فذهب إلى قرية تسمى «فورت» وأخذ عماله ومضى ينشئ مصنعاً كبيراً لأجهزة الراديو، ثم ابتكر «الترانزيستور»، أي جهاز الراديو الذي لا يعمل باللمبات بل بالخلايا الإلكترونية، وفي سنة ١٩٥٨م، كان أول من صنع جهاز راديو ترانزيستور في الدنيا، وأمكنه أن ينتج ويبيع مليون جهاز في السنة، ارتفعت بعد ذلك إلى مليونين ثم ثلاثة. وظهر المنافسون والمقلدون ودخل جروندیج في المعركة الحقيقية التي جعلت منه واحداً من أكبر رجال الصناعة في عصرنا. وعندما رأى أن اليابانيين قبسوا صنعة الترانزيستورات وأخذوا ينافسونه اشترك مع شركات ألمانية أخرى لتطوير صناعة الإلكترونيات، وأنشأوا مركزاً علمياً ومركزاً تجريبياً، وكان ماكس جروندیج هو المهندس المدير للمركزين، فكان هو الذي ينتج الجهاز الإلكتروني ويترك للشركات الأخرى أن تتفنن في الزيادة عليه وعمل علبة الجهاز بحسب ما ترى.

وفي سنة ١٩٦٠م، كان ماكس جروندیج قد أصبح أكبر صانع أجهزة إلكترونية في الدنيا، وأصبح ينتج كل عام حوالي



عشرة ملايين جهاز مختلفة الأشكال والأحجام . وأنشأ له فروعاً في شتى نواحي ألمانيا وفي كل بلاد غرب أوروبا ، ثم أنشأ بالاشتراك مع نفر من رجال الصناعة الأميركيين شركة إلكترونيات في الولايات المتحدة .

وفي نفس الوقت كانت أجهزة التليفزيون التي يصنعها قد وصلت إلى قمة الصناعة ، وأصبح يبيع منها وحدها مليوني جهاز في السنة ، ثم كان أول من أنتج التليفزيون الملون ، وبلغت مبيعاته من أجهزة التليفزيون فوق الألف مليون دولار .

أما أجهزة تسجيله فكانت الوحيدة من نوعها في الدنيا حتى سنة ١٩٦٨ م . وقد طور الرجل هذه الأجهزة حتى وصل بها إلى أقصى درجات كمالها سواء فيما يتصل بالمسجلات الكبيرة والمعدات الكاملة لمحطات الإذاعة أو فيما يتصل بالمسجلات الصغيرة والشرائط اللازمة لهذه الأجهزة كلها .

وهنا أحس الرجل بالمنافسة اليابانية الخطرة ، فإن اليابانيين تخصصوا إلى ذلك الحين في اقتباس الصناعات الأوروبية وتقليدها وإنتاجها بأسعار تقل كثيراً عن الأسعار الأوروبية .

وفي أثناء تلك السنوات كلها لم تقل ساعات عمله عن ١٦ ساعة في اليوم ، وكانت خطته للنجاح هي الإتقان إلى أقصى حد ، وإعطاء المشتري كل ما يمكن أن يعطيه إياه وتقدير أثمان منتجاته بغاية الذمة حتى أنه كان يرفض أن يزيد درهماً واحداً على ما يرى أنه حقه ، ثم التوسعة على مهندسيه وعماله إلى أقصى ما يستطيع . وكان الرجل يتخير أحسن الخامات وأغلاها ولم يخطر بباله أن يغبن الناس في شيء . وكان إذا عمل حساباته ودفع ضرائبه وسدد للناس مستحقاتهم وأخذ الربح المقرر للشركة ، وزع الباقي كله على رجاله ، أو أنفقه على المدارس والمستشفيات والملاجئ التي أنشأها لهم ، ومنها أربعة ملاجئ للعجزة من رجاله ، وكل منها أشبه بفندق من فنادق الدرجة الأولى .

وقد تضايق جروندیج من المنافسة اليابانية التي رآها غير عادلة . وكان قد ابتكر جهازاً لتسجيل الفيديو اشتهر باسم «جهاز فيديو ٢٠٠٠» وباع منه ملايين ، ثم فوجئ بأن اليابانيين قلدوه وأخرجوه تحت اسم وشكل ظاهري آخر ، ومنافسه الأكبر في هذا المجال شيخ ياباني في الثامنة والثمانين من عمره يسمى «كونوساكي ماتسوشيتا» ، وهو مدير شركة ماتسوشيتا للصناعات الكهربائية في لوزاكا ، وقد أخرج هذا الرجل في عام واحد نحو مليونين من هذا الجهاز وأضاف إليها شرائط تسجيل في غاية الجودة ، وعرض ذلك كله بما يعادل ثلاثة أرباع سعر الإنتاج الألماني . وكانت أجهزة جروندیج من أجود الإنتاج الغربي وأرخصه سعراً ، فأراد جروندیج أن ينشئ اتحاداً من الشركات الألمانية المماثلة لمواجهة المنافسة اليابانية التي أغرقت سوق الإلكترونيات في ألمانيا ذاتها ، لكنه لم يوفق . ووجد الرجل أنه كافح بما فيه الكفاية فقرر بيع شركاته ، وهو مع ذلك احتفظ لنفسه بالربح لكيلا يخرج من ميدان العمل تماماً .

قصة نجاح معاصرة جيلة أقدمها لقرائي لعلهم يرون فيها بعض أسرار نجاح الصناع الألمان ، فهذا الرجل الطليعة أنشأ بيده وذكائه وصبره وعزيمته واحدة من أكبر وأنجح صناعات الدنيا .

د. حسين مؤنس



سمت الشريعة الإسلامية إلى بناء أخلاقي شامل متكامل ، يشتمل على الجوانب الروحية ، والمادية ، والوجدانية ، والنفسية ، والعقلية ، والإنسانية ، والأخلاقية ، لتسير الحياة على أكمل وجه ، بما يتلاءم مع نضوج العقل البشري ، واتزان الوجدان النفسي ، لذلك كان الهدف من التشريع الإسلامي كمال الأخلاق وتمامها ، « إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، فهو شامل لكل جوانب الحياة والآخرة ، ومكمل لما خلت منه الرسالات السابقة مثل طغيان المادية في اليهودية ، وطغيان الروحية في المسيحية ، ليتعادل الجانبين في توازن واعتدال في الإسلام .. قال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[1] .

وعلى ذلك تكون الشريعة بجميع جوانبها المادية والروحية منهجاً وأخلاقاً ، في كل ما اشتملت عليه من عبادات ومعاملات وغيرهما ، ليقيم بناء أخلاقياً للبشرية في منهج تشريعي من قبل الحق عز وجل ، لا من البشر ، الذين يعتمدون في مناهجهم على الفرض والظن ﴿ **وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً** ﴾[2] .

وحين يصوّر القرآن الكريم الجانب المادي من **العقود والمعاملات** ، لا يصوره منفصلاً مستقلاً ، وإنما يصوره في أسلوب معجز وبيان

بقلم : د. علي مصطفى صبح

بليغ مرتبطاً بالقيم الروحية أشد الارتباط ، ومتلاحماً بالمبادئ السماوية تلاحماً وثيقاً ، فلا تستطيع أن تفصل الجانب الروحي عن الجانب المادي في العقود والمعاملات ، فهما يسيران معاً في اتجاه واحد لتحقيق الغاية وهي البناء الأخلاقي المتكامل ، فروعة الإعجاز في التصوير القرآني للتشريع تصور المهنة أو الحرفة نابعة من القيم الروحية ، فهما كلٌ لا يتجزأ لا ينفصل أحد الجانبين عن الآخر في أي اتجاه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا لذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾[3] .

وقد شرّع القرآن الكريم الحرف والمهن في المعاملات والأعمال البشرية في تصوير قرآني معجز لا يفصل بين جوانبها المادية في مظهرها الخارجي ، وبين جوانبها الروحية في جوهرها الحقيقي ، فصوّر القرآن الكريم الأعمال الحرفية ، والمهنية تصويراً يقوم على التأثير في وجدان المسلم وعلى الإقناع بالحجة الناصعة ليستقيم التأثير والإقناع في سلوك عملي يرضي الله عز وجل ، والحرف والمهن التي صوّرها القرآن الكريم هي :

التجارة

يصوّر القرآن الكريم الأعمال التجارية من خلال القيم التشريعية ، فيأمر بتحصيل الأموال والمنافع غير المحرمة عن طريق التجارة المشروعة ، فيقول تعالي يمن بفضله ونعمته على قريش في تجارتهم اليمنية والشامية ، وتقرير القرآن له يجعله تشريعاً للبشرية بعد ذلك ﴿ **لإيلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾[4] . فالقرآن يربط العمل التجاري في الرحلتين بالعبادة لله والشكر على ما أنعم عليهم من كسب يقيهم غائلة الجوع ويجنبهم الخوف من المصير والمستقبل .

وإلى العزيز **يوسف عليه السلام** تتحرك قافلة إخوته التجارية ، فيطلبون منه وفاء الكيل وأن يفيض عليهم في تجارتهم ليلقى جزاء المتصدقين من الله عز وجل ﴿ **فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين** ﴾[5] .

ويمنع الله التجارة والبيع أثناء الصلاة وخاصة صلاة الجمعة ، ويأمر بها بعد الصلاة ليبتغوا من فضل الله ، ويشكروه على ما رزقهم وأنعم عليهم ، وسبقت الآيتان من سورة الجمعة ثم يقول تعالى بعدهما ﴿ **وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** ﴾[٦] .

ويصوّر القرآن التجارة في مجال النهي عن **تطفيف الميزان وبخس الكيل** فيقول تعالى ﴿ **ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . الا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم** ﴾[٧] . وقال تعالى ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان . الا تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** ﴾[٨] . وقال تعالى ﴿ **أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾[٩] . ويقول تعالى في تجارة البحر ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾[١٠] . وقال تعالى ﴿ **ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام . إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور . أو يوبقهن بما كسبوا ويعفو عن كثير** ﴾[١١] .

وقال تعالى ﴿ **وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام** ﴾[١٢] ، ويوضح المقياس المثالي في التجارة فيقول تعالى ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾[١٣] .

الزراعة

صوّر القرآن الكريم أروع تصوير ، فحث على تعمير الأرض ، واستغلالها **بالزراعة** ليحصد الإنسان من ثمراتها وحبوبها وفاكهتها وخضرواتها ومرعاها ، فيقوى بذلك على طاعة الله ، قال تعالى ﴿ **فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صباً . ثم شققنا الأرض شقاً . فأنبتنا فيها حباً . وعنباً وقضباً . وزيتوناً ونخلاً . وحدائق غلباً . وفاكهة وأبًا . متاعاً لكم ولأنعامكم** ﴾[١٤] . وقال تعالى ﴿ **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تُسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾[١٥] . ﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد مُنيب . ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنّات وحبّ الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج** ﴾[١٦] . وقال تعالى ﴿ **وهو الذي أنشأ جنّات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾[١٧] . وقال تعالى ﴿ **وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسق بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾[١٨] .

ويقول تعالى ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾[١٩] . وقال تعالى في مجال الاختبار والابتلاء ﴿ **كم تركوا من جنّات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين** ﴾[٢٠] . وقوله تعالى ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يُخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب** ﴾[٢١] .

وقال تعالى ﴿ **لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنّتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل** ﴾[٢٢] .

ويقول أيضاً في مجال الفتنة والاختبار ﴿ **إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنّة إذ أقسموا ليَصرِمُنّها مُصبحين . ولا يستثنون . فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم** ﴾[٢٣] . وقوله تعالى ﴿ **واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنّتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً . كلتا الجنّتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجّرنا خلالهما نهراً** ﴾ . . . إلى قوله تعالى ﴿ **فأصبح يقلّب كفّيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحداً** ﴾[٢٤] .

الرعي والصيد

أما الرعي فقد جاء في قوله تعالى ﴿ **وفاكهة وأبًا . متاعاً لكم ولأنعامكم** ﴾[٢٥] . وقوله تعالى ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم** ﴾[٢٦] . وقال تعالى ﴿ **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون** ﴾[٢٧] .

وأما **صيد الأسماك واللآلئ والجواهر والياقوت والمرجان** وغيرها من البحار فقد حث الله عباده على أن يبتغوا فيها من فضله ورزقه فقال تعالى ﴿ **وهو الذي سخّر**



البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾[٢٨] . وقال تعالى **﴿ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها ﴾**[٢٩] . وقال تعالى **﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾**[٣٠] .

وأحل الله صيد البر كما أحل صيد البحر في غير وقت الإحرام **﴿ وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾**[٣١] ، ثم حدد الله سبحانه وتعالى ما يؤكل من الحيوانات في آيات كثيرة **﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ﴾** . . . إلى قوله تعالى **﴿ قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرماً على طاعم يطعمه ﴾**[٣٢] .

صوّر القرآن الكريم أنواع الصناعات المختلفة التي يحتاجها الإنسان في حياته ويحث عباده على العمل في هذه الحرفة فيقول تعالى **﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾**[٣٣] ، فترى صناعة البيوت وبنائها وصناعة الملابس والفرش ، ويصوّر الملابس في قوله تعالى **﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾**[٣٤] ، ويصور **صناعة الحديد** في قوله تعالى **﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾**[٣٥] ، فقد صور **أسلحة الحرب** في آيات أخرى **﴿ ولقد آتينا داوود منّا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد ﴾**[٣٦] ومنافع كثيرة في الحديد . قال تعالى **﴿ فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾**[٣٧] ، وكذلك

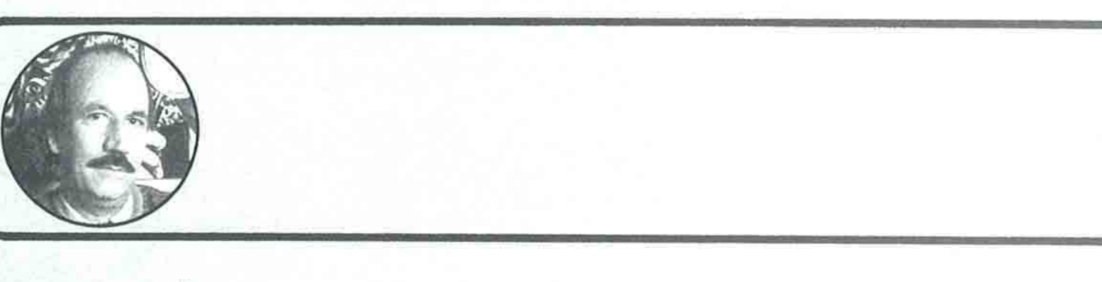


صناعة القصور والبناءات في قوله تعالى **﴿ قيل لها ادخلي الصّرح فلما رأته حسبته لُجّة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح مُمَرّد من قوارير ﴾**[٣٨] . وقال الله تعالى يمن على قوم هود بالصناعة **﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾**[٣٩] ، ويمن على قوم صالح عليهما السلام **﴿ وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين ﴾**[٤٠] ، وكذلك صناعة الأواني الفخارية **﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور ﴾**[٤١] ، ومثل صناعة الأسورة **﴿ فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب ﴾**[٤٢] ، **وصناعة الأواني والصحاف ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ﴾**[٤٣] ، وصناعة السدود مثل سد ذي القرنين **﴿ فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴾**[٤٤] ، وصناعة النار **﴿ أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾**[٤٥] ، **وصناعة الفرش والأثاث والسرر ﴿ فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وزرابي مبثوثة ﴾**[٤٦] . وجاءت هذه الصناعات في سور كثيرة ، في سورة الطور ، وسورة يس ، والرحمن ، والواقعة ، والزخرف ، وغيرها مما ورد في سياق الترغيب أو الترهيب والتحذير ليضع لهذه الأعمال المهنية القيود والحدود من القيم الإسلامية البناءة للأمة الإسلامية التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس .

الهوامش

(١) سورة المائدة ، الآية ٣ .
(٢) سورة النجم ، الآية ٢٨ .
(٣) سورة الجمعة ، الآيتان ٩ ـ ١٠ .
(٤) سورة قريش ، الآيات ١ ـ ٤ .
(٥) سورة يوسف ، الآية ٨٨ .
(٦) سورة الجمعة ، الآية ١١ .
(٧) سورة المطففين ، الآيات ١ ـ ٥ .
(٨) سورة الرحمن ، الآيات ٧ ـ ٩ .
(٩) سورة الشعراء ، الآيات ١٨١ ـ ١٨٣ .
(١٠) سورة العنكبوت ، الآية ٦٥ .
(١١) سورة الشورى ، الآيات ٣٢ ـ ٣٤ .
(١٢) سورة الرحمن ، الآية ٢٤ .
(١٣) سورة النور ، الآيتان ٣٧ ـ ٣٨ .
(١٤) سورة عبس ، الآيات ٢٤ ـ ٣٢ .
(١٥) سورة النحل ، الآيتان ١٠ ـ ١١ .
(١٦) سورة ق ، الآيات ٧ ـ ١١ .
(١٧) سورة الأنعام ، الآية ١٤١ .
(١٨) سورة الرعد ، الآية ٤ .
(١٩) سورة الواقعة ، الآيتان ٦٣ ـ ٦٤ .
(٢٠) سورة الدخان ، الآيات ٢٥ ـ ٢٨ .
(٢١) سورة الزمر ، الآية ٢١ .
(٢٢) سورة سبأ ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(٢٣) سورة القلم ، الآيات ١٧ ، ٢٠ .
(٢٤) سورة الكهف ، الآيات ٣٢ ـ ٤٢ .
(٢٥) سورة عبس ، الآيتان ٣١ ـ ٣٢ .
(٢٦) سورة النازعات ، الآيات ٣٠ ـ ٣٣ .
(٢٧) سورة النحل ، الآيتان ٥ ـ ٦ .
(٢٨) سورة النحل ، الآية ١٤ .
(٢٩) سورة فاطر ، الآية ١٢ .
(٣٠) سورة الرحمن ، الآية ٢٢ .
(٣١) سورة المائدة ، الآية ٩٦ .
(٣٢) سورة الأنعام ، الآيات ١٤٢ ـ ١٤٥ .
(٣٣) سورة النحل ، الآية ٨٠ .
(٣٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٦ .
(٣٥) سورة الأنبياء ، الآية ٨٠ .
(٣٦) سورة سبأ ، الآية ١٠ .
(٣٧) سورة الحديد ، الآية ٢٥ .
(٣٨) سورة النمل ، الآية ٤٤ .
(٣٩) سورة الشعراء ، الآيتان ١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٤٠) سورة الشعراء ، الآية ١٤٩ .
(٤١) سورة سبأ ، الآية ١٣ .
(٤٢) سورة الزخرف ، الآية ٥٣ .
(٤٣) سورة الزخرف ، الآية ٧١ .
(٤٤) سورة الكهف ، الآية ٩٤ .
(٤٥) سورة الواقعة ، الآيتان ٧١ ـ ٧٢ .
(٤٦) سورة الغاشية ، الآيات ١٣ ، ١٦ .





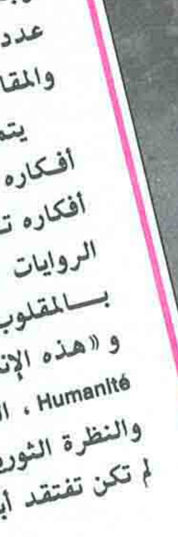
فيليب كرفال

ترجمة: عبد العزيز بن سلمة

أدب الخيال العلمي ليس فقط رواية لمغامرات، أو قصصاً للأقزام الخضر

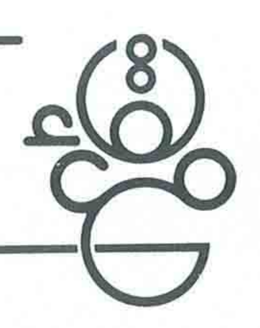
منذ حصوله على أول آلة طابعة خاصة به في سن الخامسة عشرة، أخذ «فيليب كرفال» في كتابة «قصص الخيال العلمي».

واليوم وهو في الثالثة والخمسين من عمره، يجد الكاتب نفسه أنه قد خلّف مجموعة كبيرة من الأعمال الأدبية المهمة، لاتقل عن ثماني عشرة رواية، ومجموعات قصصية صغيرة، إضافة إلى عدد من كتب المختارات الأدبية والمقالات.



يتميز أسلوب كتابته بالفخامة.. أفكاره متحررة، وروح الفكاهة في أفكاره تتسم بطابع اللاواقعية، لكن الروايات التي كتبها مثل «رجل بالمقلوب» L'Homme à Rebours، و«هذه الإنسانية العزيزة» Cette Chère Humanité، التي اتسمت بالحس التأملي، والنظرة الثورية الساخرة لهذا العالم، لم تكن تفتقد أبداً الأسلوب الشاعري.





يتصف نقده بالقسوة والمرارة ، يتضح ذلك من مقالاته التي ظهرت في بعض المجلات المتخصصة مثل **مجلة « رواية »** Fiction و**« المجرة »** Galaxie و**« المجلة الأدبية »** Le Magazine Literaire ، وكذلك صحيفة **« اللوموند »** .

كان لمجموعة مقالاته ومختاراته الأدبية التي صدرت في **كتاب بعنوان « من المستقبل إلى الحاضر »** « **Futur au Présent** » تأثير كبير في الجيل الجديد من الكتّاب الشبان . إضافة إلى ذلك فإن « فيليب كرڤال » **مصور ، ورسام معماري ، وفنان تشكيلي ، وصحفي** منذ ما يزيد عن عشرين عاماً .

يقوم الآن برئاسة تحرير مجلة **« الحياة الكهربائية »** La Vie Electrique **التي تصدر عن شركة الكهرباء الفرنسية** ، وهو أحد المدافعين المتحمسين والمتعصبين للطاقة النووية .. وبالرغم من أنه ساهم بجهد ملحوظ في إخراج أدب الخيال العلمي من عزلته ، إلا أنه كان حريصاً على ألا يكون قلمه محصوراً في هذا المجال ، لذلك قام بكتابة بعض الروايات الكلاسيكية مثل **« حامية من القطن »** La Fortresse de Coton ، و**« مهلاً أيتها العينان »** Attention Les Yeux ، إضافة إلى أحدث رواياته التي صدرت عن دار **« دنويل »** [illegible] **نيويورك »** « Ah que C'est Beau New York! » .. وهي قصة من قصص الانبهار ، والوقوع في فخ الأحلام والتصورات .

والرواية تحكي حياة **« دنيس ليون »** ، بائع الحلوى في إحدى المدن الفرنسية الصغيرة ، يسيطر عليه الخيال ، والوهم الأمريكي ، مع أنه لم يذهب قط إلى الولايات المتحدة . تركته زوجته ، وذهبت لتعيش هناك ، ثم توفيت في **ولاية نيو أورليانز** ، حينئذ نجده يضحي بكل شيء من أجل الذهاب إلى هناك للبحث عن حلمه الضائع ، إلا أن شخصيته الضعيفة لم تتحمل صدمة الواقع الأمريكي . ثم يكتشف أن له ابناً ، فيسعى للعثور عليه ، ويتنقل في سعيه من مدينة إلى قرية في بحث شاق ومضن لم يؤد إلى نتيجة .. وأثناء ذلك تصيبه نوبة من العصاب ، فيتورط من دون قصد في قضية ضد القانون ، مما جعل رجال الشرطة يسعون للقبض عليه ، فيقتل أحد المحققين ، ثم يهرب مرة أخرى ويصل أخيراً إلى نيويورك حيث يعثر على ابنه المنحرف ، الذي يعمل في إحدى المهن الحقيرة . ومنذ تلك اللحظة ، وفي هذه المدينة الكابوس التي ابتلعته في أعماقها ، يتحول إلى قاتل مهووس .

وهذه الرواية التي تم حبك أحداثها بشكل قوي متماسك ، اتسمت نهايتها بالعنف المتطرف . لم تكتب عن نيويورك صفحات ملتهبة صارخة مثل هذه من قبل ، صفحات ثاقبة ، قاسية ، تميزت بالخصوصية والذهول ، كأنها تحكي سيرة ذاتية لإنسان عاش فيها .

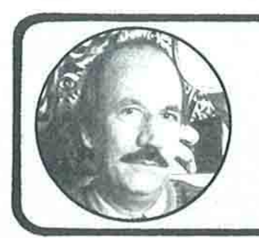
الحوار التالي أجراه معه « جان ميشيل روبار » ، ونشرته مجلة « لير Lire » الفرنسية .

●● هل من الضروري أن يكون المرء « شرلوك هولمز » ليستنتج من روايتك الأخيرة أنك عانيت ، لأول مرة في حياتك ، من صدمة كهربائية تسمى نيويورك ؟

● لا أخفي عليك ، أنني قضيت هناك شهرين في العام الماضي ، وقبل ذلك كانت صورتها حية في داخلي ، عبر ما شاهدته من أفلام وما قرأته من كتب ومقالات ، لكن كل ذلك لم يكن يزيد عن كونه مجرد صورة ذهنية ، لهذا لم يكن الواقع الذي لمسته أثناء زيارتي لنيويورك إلا مصداقاً لكل تلك الأحلام والتصورات القديمة التي كانت تساورني . هذا الواقع خلق في نفسي شيئاً أشبه ما يكون بالزلزال الداخلي العنيف .. كان صدمة لها وقع مدوي في نفسي ، من أجل ذلك قمت بكتابة هذه الرواية لكي أعرّي هذه الأسطورة الأميركية التي سلبت عقولنا ، واستثرت فيها حتى النخاع ، والتي قد تعرّضنا للانهيار بشكل مأساوي .

●● لكن ، لماذا بدت شخصية بطل روايتك وهي مصابة بحالة عصابية منذ البداية ؟

● لقد كان البطل دائماً يدفن أحلامه ويخفيها في أعماق نفسه ، مجرد إنسان هامشي ، عندما كان [illegible] من عمره ، كان يحلم بالسفر إلى أميركا ، لكن لم تكن لديه الشجاعة الكافية لتحقيق ذلك ، أما زوجته فقد تركته ورحلت لوحدها . وعندما توفيت بعد ذلك بخمس وعشرين سنة ، انطوى **« دنيس ليون »** على نفسه بشكل مطلق ، أحس بأن الواقع يهرب منه ، لذلك من أجل البحث عن هذا الواقع في أميركا ، صمم على الذهاب إلى



هناك ليلتقي بحلمه القديم وجهاً لوجه . هناك اتسع الجرح الذي أصاب نفسه منذ زمن طويل بدل التئامه ، وأثناء البحث عن زوجته ، انفجرت كل الصور الذهنية القديمة في داخله كأنها أشبه بقنابل ضوئية ، وكان للجريمة التي اتهم بها وقيامه بقتل أحد رجال الشرطة الأثر الكبير في دفعه نحو التطرف والعنف . وأخيراً انفجرت الصورة الأسطورية ، نيويورك ، في وجهه ، لتحوله فيما بعد إلى كائن يشبه القنبلة المعرضة للانفجار في أية لحظة .

●● أنت لا توجه قنبلة أو رسالة .. لكن كتابك مع ذلك يحمل فكرة أخلاقية ، هل هذه الفكرة ضد الاستعمار ، أم ضد الإمبريالية ؟

● أوه ! أنا لا أشعر أبداً بأنني مستعمَر ! الولايات المتحدة عالم ساحر مُبهر ، يمثل لنا نحن الأوروبيين قوة تنبض بالحيوية إلى أقصى الحدود . لقد أردت ببساطة أن أشير من خلال هذه الحالة المتطرفة ، إلى أن هذه الحضارة التي تواجه أخيلتنا قد تكون مخدرة ، وبالتالي فإن انعكاس تأثيرها علينا وعلى حضارتنا قد يكون مدمراً .

رؤيتي لأمريكا ليست عدائية على الإطلاق ، لكن **حذار !! فالحضارة الأميريكية لقمة كبيرة ليس من السهل ابتلاعها** ، إذا ما ابتلعت ببراءة وعن حسن نية ، فإننا نعرّض رصيدنا وثروتنا الثقافية التي هي ثقافة أوروبا للضياع على أقل تقدير ، هذا إن لم نفقد هويتنا المتميزة .

●● هل أردت ، كما فعل غيرك من الروائيين ، كتابة روايتك الأميريكية ؟

● أبداً ، هذه رواية فرنسية ، نسجت من صور ذهنية وأحاسيس نفسية لشخص فرنسي قدم إلى ذلك البلد المتفسفر (من الفوسفور) ، ثم وجد نفسه يشتعل ، ويتهاوى بفعل الوميض الذي لم يتحمل تأثيره .

●● يقال إنك كتبت روايتك الأخيرة بأسلوب مُسطّح سهل ، وهذا شيء جديد بالنسبة لكاتب عرف عنه الحب الشديد لاستعمال الأساليب الفنية الفخمة ، والكتابة بلغة معقدة راقية ؟

● لا ، هذا الشيء ليس بجديد عليَّ ، لقد قمت بكتابة شيء مثل هذا في رواية «مهلاً ، أيتها العينان» . تجد هنا في روايتي الأخيرة أن شخصية البطل فرضت نوع الأسلوب المستخدم في الكتابة ، فهذا الرجل يجول في داخله أي حوار نفسي ، لا يعي من هذه الدنيا غير صور ذهنية وأصوات مجردة ، لا يربطه بالواقع غير اتصال هامشي سطحي .

●● هل يشبه هذا الإنسان إلى حد ما «مرسولت» بطل رواية «الغريب» «لألبير كامو» ؟

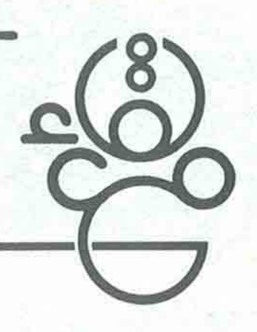
● نعم ، إن أردت ! ولكن هذا الشخص ، وإحساسه السطحي إلى حد مخيف بالواقع يجعله يعود إلى الوراء تاركاً خلفه عالماً آخر مواز لذلك الذي يحمله في نفسه والنتيجة أدت إلى انطوائه تدريجياً على نفسه . على كل حال ، كل ذلك لم يكن هو السبب الذي فرض عليَّ استخدام هذا الأسلوب المسطح كما تفضلت ، وإلا ، لكنت كمن استبدل نفسه ببطل القصة ، وأصبح هو الراوي . وهذا الشيء أمقته جداً وأكرهه .

●● معروف أن طابع «الخيال العلمي» التصق بك ، ولكن فجأة ، نجدك تنتزعه من رواياتك وتتخلى عنه ، لماذا ؟

● هذا أيضاً جربته في الكثير من كتاباتي ومنها روايتي الأخيرة . ليست لديَّ الرغبة مطلقاً في الركون إلى الراحة الفكرية ، أو التجمد في قالب معيَّن من صنعي أنا شخصياً . كل ما يهمني أن أكون متجدداً باستمرار مع الاحتفاظ دائماً بالاهتمام المستمر بأن أكون شاهداً ومسجلاً بشكل أو بآخر لهذا العالم الذي أقوم بعبوره .

هذا الشكل قد يكون «**الخيال العلمي**» الذي يعد لوناً من أدب المغامرة والاستكشاف





في العالم المعاصر، ومحاولة توجيه بعض الأسئلة الجيّدة لأمور ماتزال غامضة بالنسبة لنا. وقد يكون هذا الشكل أيضاً الرواية الكلاسيكية التي نقول عنها عادية، التي تُقحِم خيال القارئ في قضايا الواقع اليومي العادي. بين هذين الشكلين لا يوجد انفصال بالنسبة لي، بل هو تكامل. أنا لا أجد أي فرق جوهري بين هذين النوعين اللذين يسيران إلى الاتحاد في نظري، انظر كذلك إلى المكانة المتزايدة الأهمية التي أسهم بها البحث العلمي، والخدمة التي يؤديها لكُتّاب «الخيال العلمي» من الشباب.

●● فرغت مؤخراً من كتابة رواية «ذكرى من المستقبل»، وتقوم حالياً بالإعداد لرواية «ما وراء اليقظة»، تقول إنك ستضم هاتين الروايتين مع روايتين أخريين ظهرتا حديثاً، وتصدرها تحت عنوان واحد «أوروبا بعد المطر»، هل ستمطر حقاً؟

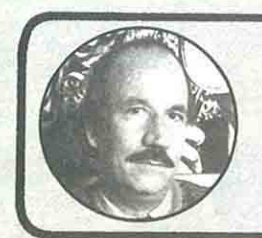
● هذا العنوان استوحيته من تصميم ظهر على غلاف أحد كتبي قام به الرسام **«ماكس إرنست»**، ويتفق تماماً مع ما أردت أن يفهمه القارئ. سردت ما أقصده بالمطر في الرواية التي تشمل الجزء الأول وهي **«هل يستيقظ النائم؟»**. وفي الرواية الثانية **«رائحة البهيمة»** رويت كيف ينفجر المجتمع الأوروبي تحت ضربات المتظاهرين من أجل السلام، والمدافعين عن البيئة، والإرهابيين، الأمر الذي جعل الفوضى تسود أوروبا كلها.. وفي الرواية الثالثة **«ذكرى من المستقبل»** يبدأ عصر إعادة البناء، وميلاد بذور السعادة مع نشوء **«السوق الأوروبية المشتركة»**، ثم تُبيِّن رواية **«هذه الإنسانية العزيزة»** الكيفية التي تحاول بها هذه السوق حماية نفسها من الآخرين بحدود يصعب عليهم اجتيازها، من أجل أن تنعم بالسلام والطمأنينة.

عكس ذلك تأتي الرواية الأخيرة **«ما وراء اليقظة»**، وهي عودة إلى المعارضين والمحتجين على هذه العزلة التي تمثل بالنسبة لهم جحيماً مكيَّفاً، فهم يرفضون هذه «الأوروبا» المتهاوية، الآيلة للانهيار، التي تعيش على أنقاض وبقايا الماضي، هؤلاء هم الذين أصيبوا بالتخمة الخانقة.

والشباب الذين نراهم في الطريق وهم مشدودون إلى أجهزة التسجيل الصغيرة، وأولئك المسمرون في منازلهم أمام شاشات التلفاز ذات الأنسجة الضوئية التي تجلب لهم السعادة المصطنعة المزيفة.. كل ذلك النوع من البشر هو عكس بطل قصة **«آه! ما أجمل ذلك يا نيويورك»** الذي وجد نفسه مفقوداً في المدينة الأمريكية الضخمة، لأنه لم يكن باستطاعته احتمال التناقض بين ما كان يحمله من ترسبات الحضارة الأوروبية، وبين الواقع الذي يعيشه الشعب الأمريكي. فالأمريكيون منهمكون في تشييد مجتمع مختلف، فوضوي، واتحادي، في نفس الوقت، حيث التكنولوجيا التي أُحسين استعمالها، تسمح للجميع بأن يعيشوا حياة عملية مريحة دون الحاجة إلى بذل أي مجهود.

●● أنت إذن تبدي إعجابك بفوضوية الشعب الأمريكي وقدرته المذهلة على استغلال التكنولوجيا، وفي نفس الوقت متحمس جداً ومتفائل بمستقبل الطاقة الشمسية، هل تراك أنت الآخر تحاول بناء.. يوتوبيتك الصغيرة (عالمك الأكمل أو الخيالي أو المثالي)؟

● أوه، ليس هناك ما يضايقني أكثر من الحديث عن «اليوتوبيا»، لكن الشيء الذي أحب التحدث عنه وكتابته هو قصة محاولة إنشاء «اليوتوبيا». ثم لماذا التهكّم **بالطاقة الشمسية**، فبإمكانها في يوم من الأيام أن تحرر الإنسان من أعبائه اليومية، وستمكنه من التقدم والإبداع. صحيح أن هذا مكلف، وقد يستغرق وقتاً طويلاً، والذين يسخرون من محاولات استغلال الطاقة الشمسية يذكرونني بأولئك الذين كانوا يسخرون من **مدام كوري وزوجها**، ويقولون إن **الراديوم** الذي كانا يحاولان اكتشافه سيكون عديم الجدوى، وبدون مستقبل، وأنا أتوقع بأن الطاقة الشمسية سوف تجعلنا نستغني عن محطات الطاقة المركزية، حيث سيكون بإمكان كل منزل وكل مصنع أن



يمد نفسه بالطاقة الضرورية مباشرة .

●● تدعي أنك من أنصار البيئة ، وفي الوقت نفسه نجدك تدافع عن الطاقة النووية . . . ؟

● أنا أؤمن بأنها ضرورة ملحّة ، فالطاقة لا تنتج من عملية سحرية ، لذلك علينا أن نضحي ، كما ضحت الأجيال السابقة . لقد قمت مؤخراً بزيارة إحدى محطات الطاقة النووية في مدينة ثيانج بالقرب من الحدود البلجيكية الفرنسية ، بدأت رحلتي من مدينة ليبيج نزولا مع وادي الموزيل ، وطوال الطريق ، كنت أنظر إلى إقليم صناعي يعود إلى القرن التاسع عشر ، أبراج المداخن العالية ، التلوث المريع ، والطبيعة المذبوحة ، شاهدت مدن العمال الجماعية ، ومصانعهم التي تشبه السجون . أخيراً وصلت إلى ثيانج ، حيث وجدت بالقرب من مياه النهر الصافية ، وسط الخضرة النظيفة ، معملاً صغيراً أبيض اللون للطاقة النووية .

●● لنعد إلى « الخيال العلمي » ، يوجد كتّاب فرنسيون مجيدون ، فضلاً عن الأميركيين والإنجليز والآخرين ، ولكن يقال إنه بعد الإقبال الشديد على هذا اللون الروائي في السبعينات بدأت أعداد القراء تقل تدريجياً عن السابق ؟

● يرجع سبب ذلك إلى حد كبير إلى الشعبية والنجاح التي لاقتها أفلام « الخيال العلمي » مثل أفلام **ريدلي سكوت** « الاتحاد Alien » ، و « الشفرة القاتلة » اللذين أعجبت كثيراً بمشاهدتها . ولكن هناك أفلاماً أخرى مثل « **حرب النجوم** » ، وما جاء بعده من الأفلام التي تتحدث عن ما سيحدث في نهاية هذا القرن ، هذه النوعية يطلق عليها اسم « **أوبرا الفضاء** » . إضافة إلى أن بعض من تبكر[illegible] المثقفين والمفكرين الذين جربوا كتابة روايات « الخيال العلمي » أو الذين يتمنون لو كان باستطاعتهم ذلك ، يعرفونه على أنه « رواية لمغامرات ، وقصص للأقزام الخضر » ، مع العلم أن هؤلاء الأقزام عُرضوا في بعض الأفلام السينمائية بشكل مشوّه . انظر مثلاً **فيلم E.T. إي . تي** . زيادة على ذلك تسيء وسائل الإعلام بشكل مستمر معالجة وعرض أدب « الخيال العلمي » الأمر الذي جعل الكثير من الكتّاب الكبار يصرفون النظر عن المغامرة بكتابة هذا النوع من القصص المجهولة والمحتقرة من الجمهور ، وفي نفس الوقت ، فهم يخشون أن يعمم هذا الطابع على بقية أعمالهم . إضافة إلى ذلك ، فإن المجلات التي تهتم بهذا المجال اختفت الواحدة تلو الأخرى بحيث إنه لم يبق إلا مجلة واحدة وهي **مجلة « رواية Fiction »** ، وهذا بالطبع يمنع الكتّاب الشباب من نشر أعمالهم الجديدة ، وبالتالي الانطلاق للشهرة ، كما أن دور النشر لا تتحمس بشكل مشجع لطبع أعمالهم وترويجها ، لهذا فأنا أخشى من حدوث ظاهرة انقراض ، أو على الأقل نقص كبير كما حدث في الخمسينات .

●● البعض يقول : إن طابع « الخيال العلمي » إذا ظهر على غلاف الرواية فإنه يؤمّن للكاتب قراء يفوق عددهم أولئك الذين يتجهون نحو الروايات العادية الكلاسيكية ؟

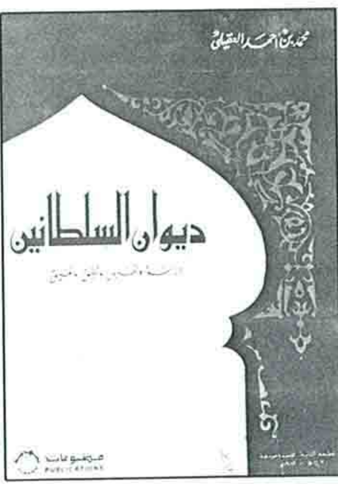
● نعم ، عادة لا يقل قراء أي رواية من روايات « الخيال العلمي » عن عشرة آلاف قارئ ، وأكثر من هذا العدد بكثير في طبعات الجيب ، فيما لا يتعدى قراء أحسن رواية عادية تظهر حديثاً الثلاثمائة قارئ في أغلب الأحوال . أذكر مثلاً أنني عندما نشرت إحدى رواياتي الكلاسيكية « **حامية القطن** » وبسعر رخيص للنسخة لدى **دار « جاليمار »** لم يتعد عدد قرائها **١٥٠٠** قارئ ، لكن عندما قامت **دار « دنويل »** . . بإعادة طباعتها ونشرها بغلاف جديد يحمل طابع الخيال العلمي ، باعت منها **١٢٠٠٠** نسخة !!

●● إذن ، فأنت تعتقد أن كتّاب القصة الشبان مخطئون لعدم كتابتهم قصص « الخيال العلمي » ؟

● بالتأكيد ، قل لهم ذلك نيابة عني !!



●●● تشويه العقيلي



أشرت في المقالة الأولى حول «تشويه الأستاذ محمد العقيلي» لديوان «السلطانين اليمنيين» إلى قصة الصراع بين الأخوين «الحَجُوريين» وأنها مأساة دامية في تاريخ آداب اليمن: وقائعها أغرب من الخيالات التي لا يهتدي إلى تصورها إلا عباقرة الشعراء المسرحيين.

وربما أن الكثير من القراء قد تمنوا لو أني قد حدثتهم عن المأساة، وربما أن البعض قد تطلع إلى ذلك وكان يُفضله على ذلك الحديث الممل، الذي اهتم بتعداد بعض أخطاء دارس ومحقق ديوانيها: لا لأنهم يقرّون الأخطاء والغلطات من قبل الأستاذ العقيلي، ولكن لأنهم قد ألفوها منه، وتعودوا عليها، ولاحظوها فيما سبق له من مؤلفات: ولأنهم أيضاً يودون أن يعرفوا شيئاً عن مأساة «السلطانين» وأسرتهم المنكوبة.

ولكي ألبّي هذه الرغبة ـ وبإيجاز يقتضيه الحال ـ لا بد أن أشير أولا إلى أن «السلطانين» الفارسين الشاعرين «سليمان» و«الخطاب» ولَدَي زعيم قبيلة **«حَجُور»** في عصره **الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري** قد عاشا في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري والثلث الأول من القرن السادس الهجري أيضاً ـ أي ما بين عام ٤٧٥ هـ، وعام ٥٣٣ هـ ـ وعاصرا دول الطوائف التي كانت تتنازع السلطة في اليمن حينذاك، ومنها الدولتان المتصارعتان: **دولة الصليحيين في «جِبْلة»**، وكانت تخضع لنفوذ «الفاطميين» في مصر، وتدين بمذهبهم الشيعي الإسماعيلي، **ودولة «النجاحيين» في «زبيد»** التي كانت تعلن ولاءها للدولة العباسية، وتدعي اعتناقها المذهب السني؛ وكلتاهما كانت قد شاخت وهرمت وينافسهما عدد من الدّيولات في بقية أصقاع اليمن **كبني «حاتم» وبني «زُرَيع»** وأئمة «الزيدية»، **والأشراف «السليمانيين»**، ونيران الحروب والفتن تشب وتضطرم هنا وهناك.

و**«النجاحيون» ـ كما هو معروف ـ من عنصر حبشي**، وكانت تخضع لهم «تهامة اليمن»، و**«الصليحيون» من عنصر عربي** وكانوا يتحكمون على بعض جبال «السَّراة»، ورغم كل تلك الانقسامات والصراعات والفتن والحروب فقد كان **هذا العصر من أزهر العصور الأدبية والعلمية في تاريخ اليمن**، ونبغ فيه فطاحل من الشعراء والأدباء والعلماء وأهل الرأي والفقه وقد ذكرنا بعضهم في كتابنا **«قصة الأدب في اليمن»**، مطبوع وكتابنا **«تاريخ آداب اليمن في العصر العباسي»** تحت الطبع وانظر كتاب **«الصليحيون» للدكتور حسين الهمداني** رحمه الله.

وقبيلة «حَجُور» التي ينتمي إليها «السلطانان» الشاعران من قبائل «همدان» المشهورة وقد قال الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب»: إنها «أمنع ديار اليمن وأعزها».

وكان والدهما رئيس هذه القبيلة، وبعد وفاته حوالي سنة ٥٠٠ هـ (خمسمائة)، ورث السلطة والرئاسة عنه ابنه الأكبر «سليمان» ودان له أخوه «الخطاب» بادئ ذي بدئ؛ وقد كان يتولى من عهد أبيه رئاسة بعض مناطق «حجور» غير أن عقارب الخلاف ما لبثت أن دبت بين الأخوين الفارسين الشاعرين حتى نشبت الحرب بينهما ضارية لا تبقي ولا تذر.

وكان «الخطاب» كما يقول المؤرخون، وكما ينطق شعره، يدين بالتشيّع، ويقال إنه كان أخاً من الرضاعة للملكة الصليحية **السيدة أروى بنت أحمد**، وكان سليمان سُني المذهب، وكان لهما أخ اسمه «أحمد» يظهر أنه كان يميل إلى أخيه الأكبر «سليمان» مذهباً وهوى وسياسة، كما كان لهم أخت يصفها المؤرخون بالصلاح، وأنها كانت تميل إلى أخيها الخطاب وتعتنق «التشيع» مذهباً. ويقول المؤرخون إن تشيّعها واعتناقها لنحلة «الإسماعيليين» هو الذي دفع أخاها «أحمد» الأصغر إلى قتلها مما دفع أخاه السلطان «الخطاب» إلى قتله بيده كما سبق في المقالة الأولى، في شعر «سليمان»، وأن ذلك كله كان من أسباب اندلاع لسان الحرب بين

لديوان السلطانين اليمنيين ٢

بقلم: أحمد بن محمد الشامي

« السلطانين » واستنجاد « سليمان » بحكام « زبيد » النجاحيين ، واستعانة أخيه « الخطاب » بالصليحيين ، ودارت بينهما حرب ضروس بالسيف والسنان ، يُحمِّي أوارها ويؤجج ضريمها حرب بالقلم واللسان ملأت كتب التاريخ ، وأثمرت ديواني شعر ، وقد ذكر بعض تفاصيلها **الدكتور الهمداني** في كتابه « الصليحيون » كما أورد بعض قصائدهما الأستاذ محمد العقيلي في كتابه الذي سمّاه « ديوان السلطانين » وهو ما نتحدث عنه وعن أخطائه وغلطاته .

ومن القصائد التي تشير إلى مأساة تلك الحرب بين السلطانين والتي انتهت بالقضاء عليهم جميعاً ، وأكلتهم أكلاً لمّاً ، قصيدتان ــ أوردهما العقيلي ــ ، أولاهما للسلطان سليمان يذكر فيها قتل أخيه « الخطاب » لأخيهما « أحمد » بن « الحسن » ومطلعها :

ذُرِفَتْ دموع العين في الخدين
وتعلّق الأرق الطويل بعيني ،
وفقدتُ سيّد يعرب وهمامها
رحب الفناء ، مشرّف الجدَّيْن
يا قاتل الأسد الهصور ؛ قتلته
وقبلت فيه مشورة « العبدين »
ما كان يحسن في أبي الحر الذي
يحمي الديار يكون مُقْضى الدين
أقتلت صنوك طالباً شرف العُلا ؟
ليس العلا بقطيعة الصنوين !
أطَمِعْتَ في مال يخلّف بعده . .
والمال لا يربو على الظلمين !؟
ورغبت في إغلاق باب واحد
وفتحت من جو السما . . بابين ؟

★ محمد بن أحمد العقيلي ★

أتعبتَ نفسك في أساسك للعُلا ،
وهدمت من أركانها ركنين
وفعلت فعلاً ما يزينك فعله
وقطعت بالسيف البتور يدين[١]
تبغي المودة في نواحي « مسور »
وتَجُدُّ صفوة خالص الأبوين[٢]

والأخرى للسلطان « الخطاب » التي أجاب بها على هذه القصيدة يدافع عن نفسه ويذكر سبب قتله لأخيه وهي على نفس الروي ومطلعها :

الحق أبلج واضح النورين
والله لا يرضى بذي كفرين

ومنها :

ما كان يحسن كشف فعلة أحمد ،
إلا تكون بأسبغ السترين ![٣]
لكن ؛ إذا قد شئت كشف فعاله
فأنا بذلك أبيض الثوبين ،
لا يحسبن بأنني لم أفنه
إلا مخافة شركة الأمرين
والله ما بي ذاك إلا أنه
أبدى طرائقه إلى الظلمين ؛
ترضى لأحمد سفكه دم أخته ؟
أترى بذاك تواصُل الأخوين ؟
متجرداً بالسيف يضرب رأسها ،
وكأنما أضحت صريعة دين ؟
فبدرت حين أتى بسوء فعاله
أجريت منه الموت في الودجين[٤]
طهّرته بالسيف يوم قتلته
ونفيتُ عني أخبث القولين .

ويظهر من قوله « طهّرته » أن « أحمد » هذا قد أتى الفاحشة إلى جانب قتله لأخته !! ومما يؤكد ذلك قصيدة طويلة تعد من روائع السلطان « الخطاب » ؛ ومن العجب العاجب ، أن المحقق « العقيلي » لم يذكرها ولا أشار إليها ، بل كانت ضمن عشرات القصائد التي شطبها من ديوان الخطاب مع أنها تصور منظراً مهماً من مناظر المأساة ولا نجد لذلك عذراً إلا التجاهل المشين ، ومطلع هذه القصيدة الرائعة في ديوانه المخطوط الذي نقلته عن الدكتور حسين الهمداني رحمه الله ما يلي :

إن صح ما قالوا وما شنّعوا
من الكلام الفاسد الفاضح
عن معشر في الدين قد حلّلوا
ما هو بئس الكدح للكادح
واستوطئوا مركب فسق به
أوروا زناد الكفر للاّمح
لشهوة حسّيّة عندها
باعوا الفرات العذب بالمالح !



وللطبيعيات فيها غدوا
عالين منها مركب الجامح
فنحن منهم أبرياءُ، كما
تبرّأ الناجي من الطالح؛
دينيَ لعن «الباطنيّ» الذي
يصدّ عن نهج الهدى الواضح
وكل من دان بما دانه
أحِلُّ جاري دمه السافح
قوم فروض الشرع قد عطّلوا،
وصيروها هُزُؤ المازح
وكذبوا بالبعث، واستصوبوا
في الدين غير العمل الصالح

إلى أن يقول:

وحلّلوا الخمر معاً والزنا،
والفسق للداني وللنازح
تأولا دانوا به فاسداً،
قد رسبوا في جهله الطافح
هيهات؛ ما في الدين من رخصة
يسمو إليها نظر الطامح!
من مبلغٌ عنّي قوماً نشوا
مما تسمّوا صفقة الرابح
يرون أن الدين ما سوّلت
أنفسهم من عمل فاضح
براءتي منهم، ولعني لهم
حتى أوارى بيد الضارح
لا قدس الله لهم أنفساً
قد عدلت عن سنن الناصح
وحبذا قوم هُمُ ما هُمُ
تمسكوا بالمتجر الرابح
وأخلصوا لله مولاهم
ديناً، وللمستخلص المانح؛
لم يسبحوا في بحر لهو به
قد سبح الناسُ مع السابح
ولا أتوا فاحشة أطلقتْ
عليهم في القدح للقادح
ما سرّهم خيرٌ، ولا ساءهم
من شرّ ذي شرٍّ ولا فادح
قد شغلوا بالدرس أوقاتهم
في الدهر من ماس، ومن صابح
أولاك إخواني لم ينأ بي

تشويه العقيلي لديوان السلطانين اليمنيين

عن سرحهم مندوحة النادح
فقل لمن يزري على مذهبي
زريَ الثمودي على صالح
هذا اعتقادي! فاقفُ أو فاعتزل؛
طرتُ فلازم صفة الزازح
ومن يناضلني عليه يجد
من حُججي مُوهية الناطح
أدمغ بالحق أباطيله
دمغ النوى عن حجر الراضح
ها أنذا أعرض نفسي؛ فمن
شاء فذا بابيَ للفاتح!

وهي ستون بيتاً تصور أيضاً معتقد صاحبها ومذهبه وما كان للعقيلي أن يهملها، أو أن لا يشير إليها.. ومنها في قتله لأخيه قوله:

ما شاك ذا رَحِميَ بي شائك،
ولا اغتدى ذا وَدَجٍ فاتح
بل في رضاء الله لما اغتدى
يمتح في الفسق مع الماتح
وارتكب الفحشاء من محرم
باشر منه أيّما جائح!
جشمت نفسي خطة صعبة
فيه أتته بردى تائح
غسلت عن عرضي وعن عرضه
بها يقال القائل القابح

وهي تهمة بشعة يدمغ بها أخاه ويبرر فيها، وبها قتله له، وبأسلوب المتألم الحزين وقد استمرت الحرب بين الأخوين بعد قتل الأخ والأخت حوالي عشرين عاماً سُجلت أحداثها المثيرة في قصائد بديعة، ويظهر أن السلطان «سليمان» قد سئم الحرب وملّها، وأن بعض قبائل «حاشد» و«بكيل» قد أقنعوه بالخضوع والاستسلام لأخيه «الخطاب» الذي ما فتئ أن قتله غيلة، ولم يراع خضوعه وشيخوخته واستسلامه؛ وكأن سليمان قد أحس أن أخاه «الخطاب» الجبار، يترصد خطاه ويتربص به ويدبّر قتله ويتحين الفرص ليقضي عليه فقال قبل مقتله قصيدة يقول فيها:

فمن مبلغ عني «بكيلاً» و«حاشدا»
بأن قتال الماكرين جهاد،
بعدتُ من «الخطاب» بعداً؛ ولم يكن
لقربي إليه مرجع ومعاد
فقربني منه شيوخ وثقتهم،
وما كان في قربي إليه سداد!
فإن حضرتْ مني الوفاة فإنهم
وفاتي، وقربي للوفاة أرادوا!
وما أسفي فيما أتاه، وإنما
أسفتُ كما لحّوا عليّ وزادوا..
وقد بلغت نفسي من الأمر مبلغاً
يقصر عنه حميرٌ وزياد..!

قتل الخطاب

وخاتمة هذه المأساة أن السلطان «الخطاب» لم يعش بعد أخيه طويلاً، وكان بعد أن طرد أخاه وشرده قد كفل أولاده ورعاهم، وضمهم إليه وآواهم، فما إن كبروا وتذكروا ما صنع عمهم بأبيهم حتى تربصوا به ثم هاجموه في مضجعه وأعملوا فيه سيوفهم تقطيعاً وتمزيقاً! وذلك في شهر صفر سنة ٥٣٣ هـ، وأسدل ستار المأساة. وقد خلّف في فراش موته قصيدة نقل منها «العقيلي أبياتاً»، وهي تدل على أنه كان يتوقع الاعتداء عليه، وأن قوماً من أصحابه قد أنذروه وحذروه، ومطلع هذه القصيدة:

الدهر يتبع ما يجري به القلمُ
والمرء يلحقه النعماء والألمُ

وهي ثلاثون بيتاً لم يثبت منها « العقيلي » غير أربعة عشر بيتاً ومنها في الموضوع :

يا أيها الناطق الناهي يحذرني
إن الحذير من المقدور مخترم ؛
إن كان قد حل حقاً ما أحاذره
فليس لي من قضاء الله معتصم
كم من عدو سقيتُ السيفَ من دمه
لم يثنني عنه تعنيف ولا ندم ؛
فإن أصر مثل من قد صيرته يدي
فالله أكبر، وهو العادل الحكم
ولست أجزع من موت على كرم ،
وذاك أكرم شيء اسمه الكرم!

أخطاء العقيلي

أما ما عمله الأستاذ « المحقق » .. بديوان « الخطاب » فإلى جانب الشطب والحذف لما يزيد على خمسمائة وخمسين بيتاً ، وإلى جانب التحامل والتجني عليه ـ وهو ما لا نهتم به كثيراً ، ولا نلومه ولا نستغربه من مثله ـ فقد شوه أشعاره تحريفاً وتصحيفاً تشويهاً مشيناً ، وذلك ما يهمنا ونود التنبيه إلى بعضه .. ولنأخذ أول ما أورده من قصائده ص (١٦٠) وهي التي مطلعها :

حتى متى أسفي وطول وجومي
أصلى بناري همة وهموم

فقد أورد البيت الثاني هكذا : « ويذود عن **طيري** كراه **تعمداً** » ، ولو تأمل لعرف أن الصواب :

ويذود عن طرفي كراه تعمد
للوجد ، يمنع طارق التهويم!

و « **من همة** » في عجز البيت الرابع ، إنما هي « من همِّهِ » ، وعجز البيت الخامس ليس كما أورده : « أضحت سوام **خلي** لشر **مسيمي** » ؛ وإنما هو هكذا : « أضحت سوام خلاً لشر مُسيم » و « **معلطط** » في البيت الذي يليه صوابها « **مُعلّط** » والهامش رقم (١) خبط فيه العشواء وإنما العلاط ؛ سمة في عرض عنق البعير ، وعلط البعير وَسَمَهُ بالعلاط فهو معلّط .

وعجز البيت التاسع : ... « وجُناء مُجْفَرة الضلوع **سقوم** » في تحريف ؛ والصواب « سَعُوم » بالعين المهملة ، والسَّعَم : ضرب من السير! والبيت الواحد بعد العشرين أورد عجزه هكذا : « لأخيه مضمر إحنَة **ودغوم** » وهو تصحيف والصواب : « مضمر إحنة ووُغُوم » ، والوغم الحقد الدفين والجمع أوغام ووغوم . وعجز البيت الرابع بعد العشرين أورده هكذا : « من ذلة وركاكة **ورضوم** » والصواب : « ووصُوم » والوصم العار . و « **مخصّص** » في عجز البيت الذي يليه صوابها : « تخصّص » ، وأما إيراده للبيت قبل الأخير هكذا :

والظن غبر أن ثم أنوفهم
لا يرتضون مذلة لمسيم .

يقضي السياق والذوق أن الصواب « شُمّ أنوفهم » .

هذا علماً بأن القصيدة في النسخة المخطوطة ثمانية وأربعون بيتاً وأن « العقيلي » قد حذف منها ستة عشر بيتاً لأسباب لا نعرفها!

وإذا انتقلنا إلى القصيدة الرائية الثانية ص (١٦١ ـ ١٦٢) نجدها أيضاً مفعمة بالتصحيفات والتحريفات والهوامش غير المفيدة . وقد أورد المطلع هكذا :

من **رصف** ذي النسب الأصح **الأشهري**
الأوضح المعروف غير المنكر

والصواب : « من وصف » و « الأشهر » ، و « **سراً** » في عجز البيت الثاني إنما هي « شركاً لذي ثقة » ؛ وصدر البيت السابع ليس كما أورده : « ما إن أردت **تقتيقي** » بل : « ما إن أردت تعتّبي » ؛ والبيت السادس عشر أورده هكذا :

والله لو قطعته **وذررته**
في الريح ما **فزعت** قلبي فاشعر

ولعل الصواب « وذريته » أو « وذروته » و « أفزعت قلبي » ، و « **المتنكر** » في البيت العشرين إنما هي : « المستنكر » ، وأما البيت الثاني بعد العشرين فقد أورده هكذا :

والعار عني ساقط لكنه
لا شك حقك ؛ يا خبيث العنصر

وهو تحريف ولو تأمل لعرف أنه هكذا :

والعار عني ساقط لكنه
هو لاحق بك ؛ يا خبيث العنصر

و « **جال** » في صدر البيت الرابع بعد العشرين صوابها « جاس » وقد أثبت البيت الثامن والعشرين هكذا : « ثبتت على **الدم** القباح أصوله » ، ولو أعمل فكره لعرف أن اللفظة المناسبة ليست « الدم » بل « الدغم » ؛ والدغم جمع أدغم من الخيل الذي لون وجهه يضرب إلى السواد ويخالف لون سائر جسده .

وعجز البيت الثالث والثلاثين أورده هكذا : « لوفاك أم لسخائك **المتفجر** » وهو تصحيف والصواب « المُثْعَنْجر » ؛ وهو السائل من الماء والدمع . كما أنه أورد البيتين التاليين هكذا (ص ١٦٣) :

فلأي شيء تدعيه ؛ وما الذي
شرطوه فيك ؟ **أفصح** به أو اضمر
إن **ينقدوك** ويستجيدوا ثانياً
عيْراً من الحُمُر القصار فأجدر

والصواب : « فبُح به أو فاضمر » ، و « إن يُقعدوك » .

وهكذا وهكذا .. لا تكاد تخلو قصيدة من تصحيف أو تحريف ، وسأكتفي بهذا خشية الإطالة وملل القارئ! علماً بأني أعرف للأستاذ محمد العقيلي فضله وعلمه ، وسعة اطلاعه ولكن ليس كل من كان عالماً فاضلاً واسع الاطلاع يستطيع أن يكون محققاً أو مؤلفاً! أو يجيد الدراسة وضبط كتب التراث! ولا سيما إذا كانت دواوين شعرية ؛ ولن يضيره ذلك أو ينقص من قيمته الأدبية ، وحسبه فضله وعلمه ، وعليه أن يترك مهمة التأليف والدراسة للقادرين ؛ ولو أن الأستاذ العقيلي ـ تقديراً للعلم والأدب والتاريخ ـ قد سلم ما تحويه مكتبته من مخطوطات نفيسة **للنادي الأدبي بجيزان** أو وقفها عليه لأسدى للعلم والأدب والتاريخ يداً لن تُنسى له أبداً!! ولا سيما وبين أدباء جيزان من يستطيعون دراسة الجيّد المفيد منها وتصحيحه وضبطه ونشره مع مراجعته وأخذ رأيه فيما أشكل منها كخبير واسع الاطلاع وليس كمؤلف ومحقق ، والله الموفق وهو نعم المولى .

العلاقــــة

إن السؤال المنطقي الذي يستدعي الإجابة هو : هل هناك علاقة بين السياسة والتربية .. أو بين الدولة والتربية ؟ أما الإجابة على هذا السؤال فهناك علاقة بين السياسة والتربية ، هذه العلاقة ليست جديدة فهي من عهد أرسطو وأفلاطون ، فالفلاسفة السياسيين قالوا : « ما تريد أن تضعه في الدولة يجب أن تضعه في المدرسة » .

لقد اهتم علماء التربية بدراسة تأثير السياسة على التربية ليس لجمع المعلومات فحسب بل من أجل تحسين الأوضاع والنظم التربوية ، وقد اهتم علماء التربية والسياسة معاً بعلاقة التربية والسياسة من حيث تكوين :

١ ــ اتجاهات الطلاب .

٢ ــ قيم الطلاب .

٣ ــ شخصية الطلاب .

التربية .. والدولة

وتكمن السلطة عادة في **المجتمعات المتحضرة** في ما يشار إليه بـ « **الدولة** » والدولة هي تنظيم من الناس وتنظيمات خاصة داخل المجتمع مهمتها القيام بالوظائف السياسية التي تقوم بإجبار وإقرار السلطة . وبدون دولة تصبح السلطة وتصبح الأنظمة صعبة التطبيق في أي مجتمع من المجتمعات .

وقد أشار **عالم الاجتماع التربوي** « **دوركايم** » أن الدولة يجب أن تمارس سلطتها حتى على التربية بمؤسساتها المختلفة .

وتختلف الأحزاب السياسية في بعض الدول في اهتماماتها من ناحية التربية . فبعض الأحزاب أو بعض الحكومات تحاول أن تعلم مواطنيها بحيث يقوموا بإنجاز سياستهم الموضوعة أو خطة الدولة والبعض الآخر يحاول أن يحقق مبدأ تكافؤ الفرص والبعض الآخر يحاول أن يعطي تفسيراً ضعيفاً لمبدأ تكافؤ الفرص . وهكذا . وقد أوضح **بيرن وويليمسون** في دراسته عن الضغوط السياسية الاجتماعية كيف أن بعض الجماعات السياسية المحلية قد قامت بتوزيع غير عادل للحصص المخصصة والمصروفات المدرسية بين المدارس مما أدى إلى ظهور نوعين متباينين من الأنظمة التعليمية .

علاقة السياسة بالتربية في التاريخ

ولو استعرضنا تطور سلطة الدولة عبر التاريخ لوجدنا أن الرقابة والإشراف ليس موضوعاً جديداً بل كان موضع عناية الناس من قديم ، فكان في عهد **قدماء المصريين** مثلاً مدارس خاصة ملحقة بالمعابد ، وكان يلتحق بالتعليم فئة من أبناء الأسر المالكة والنبلاء وبعض أبناء الموظفين . كذلك أنشئت في **بابل** مدارس لتدريب الكهنة والموظفين . وفي **بلاد الإغريق** تغير الهدف من مجرد تعليم مواطنين ليكونوا موظفين إلى مدارس تهدف إلى تربية المواطنين وإعدادهم للدولة . وحين تحولت **إسبرطة** من مجتمع بدائي قبلي إلى دكتاتورية ابتدأت الدولة في السيطرة على التعليم وتوجيهه لخدمة أغراضها . أما **أثينا** فقد سارت على سياسة عدم السيطرة على شؤون التعليم ، وسارت على سياسة عدم التدخل في شؤونه .

وقد أعد « **سولون** » كثيراً من القوانين التعليمية في الجزء الأول من القرن السادس قبل الميلاد ، ومن بينها ضرورة قيام الدولة بدفع نفقات التعليم لأبناء المحاربين الذين ماتوا في القتال ، وضرورة قيام الآباء بتعليم أبنائهم الآداب والعلوم والتربية البدنية والموسيقى . كما حددت بعض القوانين الشروط التي تتطلبها الدولة في سعة الوصول ودخول الأطفال للمدارس وسن الدخول .

وقد أشار « **أفلاطون** » في كتابيه « الجمهورية » و « القوانين » أن التربية من الوظائف الأساسية للدولة ، وأن فلسفة التربية تكون الجزء الهام من أية مناقشة تتصل بالحكم والحكومة ، وليس من الجائز الاعتماد على التربية التي تقوم بها الأسرة ، فخير البلاد يتطلب أن تشرف الدولة إشرافاً تاماً على تربية الشباب وإعدادهم .

وكان « أفلاطون » يرى أيضاً وجوب إجبار الأطفال على التعلم في مدارس الدولة ، إذ بهذه التربية الموحدة تتحقق مصالح الدولة .

وكان « **أرسطو** » يتفق تماماً مع أفلاطون في أن التربية من أهم وظائف الدولة ، وفي وجوب إشراف الدولة على شؤونها « قد بنى رأيه على أساس أن استقرار الحكم يتوقف على نوع التربية التي تعطى للصغار ، وأن الدولة لها هدف واحد يجب على المواطنين أن يهتدوا إليه » . كما كان أرسطو يرى أن التربية في **المدارس الحرة** تؤدي إلى شيء من الاختلاف بين تربية أبناء الأغنياء وتربية أبناء الفقراء مما يضر بمصلحة الدولة ، وأن التربية الموحدة تمنع تطاحن الطبقات الاجتماعية وثورتهم . وأخيراً كان أرسطو يرى أن إشراف الدولة على شؤون التربية ضروري لرفع الروح المعنوية للشعب ، إذ إنهم لو شبوا على تربية موحدة فإن هذا يساعد على احتمالهم للشدائد بدون شكوى أو تذمر .

وفي العصور الوسطى وضعت **الكنيسة** أمور التعليم تحت إشرافها ورقابتها حتى إذا جاء عصر الإصلاح وجد مبدأ جديد وهو مبدأ **الشركة بين الكنيسة والدولة** في الإشراف على شؤون التعليم . وأخذت الدولة تزيد من إشرافها تدريجياً على شؤون التعليم . وفي نهاية القرن الثامن عشر تقريباً بدأت تظهر نظم تعليمية تتناسب والقوميات الجديدة التي ظهرت في أوروبا .

بقلم: د. عبد اللطيف حسين فرج

بين السياسة والتربية

في العصر الحديث

ويتميز القرن العشرين بازدياد سلطة الدولة بوجه عام، كما يتميز بوضوح اتجاهين أحدهما يرمي إلى توسيع سلطان الدولة في الإشراف على التعليم، وتركيز كل أموره في يدها، وتسييره لتحقيق مبادئ وعقائد معينة، وعدم منح الأفراد والسلطات المحلية والهيئات الحرة والدينية أية حقوق في هذا الإشراف إلا فيما يتفق ومبادئ الدولة وعقائدها. وقد أخذت بهذا المبدأ كل الدول الاشتراكية كالاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ودول أوروبا الاشتراكية.

أما **الاتجاه الثاني** فيرمي إلى توسعة المشاركة بين الدولة والسلطات المحلية لتحقيق أغراض هامة كمبدأ الفرص التعليمية لجميع الأفراد، ومساعدة السلطات المحلية على أن تكيف برامجها وفق حاجات أطفالها وشبابها، ووفق إمكانات البيئة وظروفها. وقد أخذت بهذا الاتجاه الولايات المتحدة الأميركية وإنجلترا وألمانيا الاتحادية وغيرها من الدول التي تدين بمبادئ الديمقراطية وتسعى لتحقيق أهدافها.

فالمجال التعليمي كالمجال السياسي في الوقت الحاضر؛ ذلك لأن المجال السياسي يتنازعه نظامان أساسيان، **نظام يقوم على الفلسفة الجماعية** وتدين به الدول الاشتراكية الماركسية، **ونظام يقوم على الفلسفة الفردية** وتدين به الدول الرأسمالية الغربية وكذلك التعليم فهناك **النظام الموجه** لتحقيق مبادئ وعقائد معينة، وهناك **نظام ديمقراطي** يهدف إلى توسعة المشاركة بين الدولة والسلطات المحلية.

ولما كانت النظرية السياسية التي تقوم عليها الدولة من أهم القوى التي تؤثر في توجيه النظام التعليمي وتربية الأفراد والجماعات فإننا سنوضح مفهوم كل من النظامين وعلاقته بالتربية.

أما النظام الذي يقوم على **الفلسفة الجماعية** فمعناه أن الأفراد داخل الدولة لا يجدون معنى لوجودهم إلا عن طريق إذعانهم لإرادة الدولة ولعقائدها، وللفرد الحرية في نقد النواحي التطبيقية في الدولة، لكنه لا ينبغي أن يناقش العقائد الأساسية التي تدين بها الدولة، وعلى هذا فالدولة تسيطر على المنظمات والهيئات الحرة، وتتحكم في العلاقات الكثيرة التي يرتبط بها الإنسان لتحقيق مصالحه سواء كان في الأسرة أو في العمل أو في الأندية الاجتماعية أو الجماعات الترويحية.

أما النظام الذي يقوم على **الفلسفة الفردية** فمعناه أن الأفراد داخل الدولة ينظمون لكي يحققوا أهدافاً مشتركة، والدولة هنا في هذا النظام ليست كلاً شاملاً إذ تسمح بقيام المنظمات المختلفة التي تتولى رعاية المصالح المتعددة للمواطنين، وعلاقاتهم المتشابكة بشرط ألا تكون هذه المنظمات خطراً على أفراد أو جماعات أخرى، وألا تكون خطراً على أمن الدولة.

وتختلف الدولة التي تقوم على الفلسفة الفردية عن الدولة التي تقوم على الفلسفة الجماعية في أن الأولى تسمح بالتعدد وتشجع التنوع في الآراء والتعبير عنها، في حين أن الثانية لا تشجع هذا الاتجاه. ولذلك في الوقت الذي لا يستطيع المواطن في النظام الجماعي إلا أن يتقبل ما تمليه عليه الدولة وعليه أن يوافق عليه، يكون للمواطن في النظام الفردي الحق في أن يختلف في الرأي في حدود الولاء للمبادئ المعينة المتفق عليها، والتي تعد أساساً عاماً للمناقشة.

وعلى ذلك فالدولة في المفهوم الفردي تستمد سلطتها لا عن طريق فرض السلطة وإنما عن طريق موافقة أعضائها، وهي موافقة واعية لأنها تتأتى نتيجة المناقشة الحرة للآراء والتعبير عنها، ونتيجة للتعاون بين الأفراد، ذلك التعاون الذي يساعد الفرد على تكوين رأي يقرر فيه قبوله للآراء أو رفضه لها.

وعلى هذا فالأنظمة السياسية الجماعية والفردية قد أوجدت نظماً تعليمية قائمة على الفلسفة الجماعية، مثل أنظمة التعليم في الاتحاد السوفييتي وألمانيا الديمقراطية والصين الشعبية. ونظم تعليمية أخرى قائمة على الفلسفة الفردية وهذه الأنظمة مثل أنظمة التعليم في الولايات المتحدة الأميركية وإنجلترا وفرنسا وغيرها من الدول التي تقوم فلسفتها على الفردية. وبهذا يتضح لنا كيف أن السياسة تؤثر على التربية وعلاقة كل منهما بالأخرى.

المراجع

١ ـ D.S. Byrne and W. Williamson, Some Intraregional Variations in Educational Provision and Their Bearing Upon Educational attainment-The Case of Northeast, in John Eggteston (ed.), Contemporary Research in the Sociology of Education, 1974.

٢ ـ Durkheim, E., **Education and Sociology** (Free Press, Flencoe, 1956).

٣ ـ محمد مصطفى زيدان، **مفهوم الحرية في التربية الحديثة** (مكتبة النهضة المصرية: القاهرة) بدون تاريخ.

٤ ـ وهيب سمعان، **دراسات في التربية المقارنة** (مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة) بدون تاريخ.

تصويب لغوي ★

لبعض الاستعمالات الشائعة

مما يقع فيه الكتّاب والمثقفون اليوم من أخطاء، وضعهم كلمة في عبارة لا تؤدي المعنى المقصود منها وقد ذكرنا بعض ما وقعوا فيه في حلقات سابقة وقد نصل هنا الحديث عن ذلك.

★ يقال: لقد جابهت المخاطر طويلاً. والمراد، واجهت المخاطر فاستعمل الفعل (جابه) بمعنى (واجه) ولكن هذا لم يسمع عن العرب، ففي المعاجم اللغوية:

جَبَهَهُ ـ كمنعه ـ ضرب جبهته ورده، أو لقيه بما يكره، وجبه الماء: ورده، وجبه الشتاء القوم: جاءهم ولم يتهيأوا له، والجابه: الذي يلقاك بوجهه أو جبهته من طائر، أو وحش، ويتشاءم منه، وجبهه: أصابه بمكروه.

وكل هذا لا صلة له بمعنى: المواجهة، التي تعني صدام الإنسان مع المكاره ونزولها به، وتغلبه عليها، فالصواب أن يقال: واجه المخاطر.

★ يقال: أعد محمداً بمثابة الأخ لي، أو عدني بمثابة الأخ له. والمراد بمنزلة الأخ.

وذكر كلمة (مثابة) هنا غير صحيح، فالمثابة لها معان لغوية لا تليق بالمعنى المقصود هنا، ففي المعاجم: مثابة البئر: مقدار كثرة مائها وما ارتفع من الحجارة حولها أو موضع طيّها، والمثابة ـ أيضاً ـ مجتمع الناس بعد تفرقهم، والفعل هو: ثاب ثوباً وثُوُباً: رجع. فكل ذلك لا يتناسب مع المراد من العبارة المذكورة.

والصحيح أن يؤتى مكان كلمة (مثابة) بالكاف فيقال: أعد محمداً كالأخ لي أو عدني كالأخ له.

★ يقال: أنهكه العمل فهو مُنهك والمراد: أجهده ونال منه التعب.

والفعل (أنهك) لم يسمع عن العرب ـ في مثل هذا المعنى ـ وإنما المسموع هو (نهك)، بالبناء للمعلوم، ونُهك، بالبناء للمجهول.

ويستعمل الفعل (أنهك) في عدة معان فهو يأتي للمبالغة في أشياء كالعقوبة يقال: أنهكه السلطان أي بالغ في عقوبته. والمبالغة في الغسل، يقال أنهكوا أعقابهم: أي بالغوا في غسلها وتنظيفها، والإجهاد الحس للوجه، يقال: أنهكوا وجوه القوم، أي أجهدوهم، واسم المفعول منه مُنْهَك.

أما الفعل (نهك) المبني للمعلوم، و(نُهك) المبني للمجهول فيعني الضنى والهزال والجهد. يقال: نهكته الحمّى: أي أضنته وهزلته وجهدته، وبالبناء للمجهول كعُني، معناه: تعب وضني. ونهكه الشراب: أضناه واسم المفعول منها: منهوك.

فالتعبير الصحيح أن يقال: نهكه العمل فهو منهوك. لا مُنْهَك.

★ يقال: وعدته بعقاب شديد وأوعدته بالخير.

هنا يخلط الكتّاب والمثقفون بين (وعد) و(أوعد) فيستعملونها في الخير والشر على سواء، ولكن اللغة العربية ـ في تعابيرها الصحيحة ـ تفرق بين استعمال كل منها، فالفعل (وعد) وتصرفاته يستعمل غالباً في الخير، والفعل (أوعد) وتصرفاته يستعمل في الشر. ففي المعاجم اللغوية:

وعده الأمر وبه يعده عدة ووعداً وموعدة وميعاداً ويكون هذا في الخير، كما قال الله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾[1].

ويمكن أن يستعمل في الشر كما قال تعالى ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ﴾[2]، ومصدر الفعل (وعد) إذا استعمل في الشر هو الوعيد.

أما الفعل (أوعد) وتصرفاته فيستعمل في الشر كما قال تعالى ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ﴾[4]. وكما قال الشاعر:

أوعدني بالسجن والأداهم
[الأداهم: القيود]

وكذلك الفعل (توعد) ومصدرهما: الإيعاد والتوعد.

فإذا لم يذكر المفعول في الكلام فيختص الفعل (وعد) بالخير، والفعل (أوعد) بالشر، كأن نقول (وعدته) فيكون الموعود به خيراً و(أوعدته) فيكون الموعد به شراً.

★ يقال: استعرض القائد جنده. بمعنى: أمرّهم عليه ونظر في أحوالهم.

ولكن كلمة (استعرض) بالمعنى الشائع لا تجري على النسق العربي الوارد عن الفصحاء.

فهذا الفعل (استعرض) له عدة معان منها:

استعرض القوم: قتلهم، ولم يسأل عن حال أحد.

واستُعرضت الناقة باللحم: سمنت.

واستعرض الوادي: أتاه من جانبه عرضاً.

وغير ذلك من المعاني التي لا تتناسب مع المعنى المقصود في العبارة التي معنا.

والاستعمال الصحيح أن يقال: (عرض القائد جنده أو اعترضهم) فكل من الفعلين ـ عرض واعترض ـ يؤدي المعنى المقصود. يقال في اللغة: عرض الجند عرض عين: أمرّهم عليه، ونظر ما حالهم، أو من غاب ومن حضر، ويقال ـ أيضاً ـ: اعترض القائد الجند: عرضهم واحداً واحداً لينظر من غاب ومن حضر.

الهوامش

★ يراد بمصطلح (تصويب) هنا: الإتيان بالرأي الصائب المبني على أصول اللغة العربية، وأحكامها، بالنسبة لبعض الأخطاء الشائعة، وذلك ليستقر الصواب ويثبت ويشيع وينتشر مكان الخلل الذي طرأ بالخطأ.

جاء في لسان العرب (٢/٢٢، ٣٣)، أصاب: جاء بالصواب، وأصاب: أراد الصواب، وصوّبه، وجاء في أساس البلاغة للزمخشري أن استعمال الصواب والتصويب في الرأي من المجاز، قال: أصاب في رأيه، ورأي مصيب، وصوّبت رأيه.. إلخ (الأساس ٣٦٣). وأرجع أحمد بن فارس مادة (صوب) إلى أصل معنوي واحد يدل على نزول الشيء واستقراره قراره.

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩.
(٢) سورة التوبة، الآية ٦٨.
(٣) سورة الأحقاف، الآية ٣٥.
(٤) سورة الأعراف، الآية ٨٦.



يسعد مجلة «الفيصل» أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي.

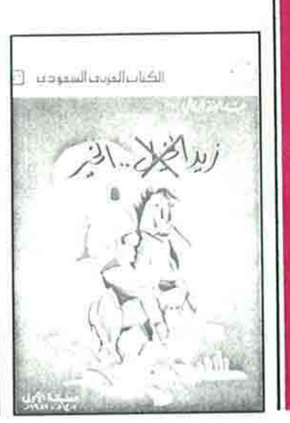
ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد.. والله الموفق.

- الكتاب: زيد الخيل... الخير.
- المؤلف: عبد العزيز الرفاعي.
- الناشر: تهامة ـ جدة ـ سلسلة الكتاب العربي السعودي رقم ٥٦، ط ١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ١٠٩ صفحات.

يضيف الأستاذ الرفاعي ـ بكتابه هذا ـ إلى تراثنا الأدبي والتاريخي صفحة مضيئة جديدة. وهذا دأبه الدائم مع التراث، إذ قدم من قبل من خلال سلسلة «المكتبة الصغيرة» مجموعة كتب تراثية مثل: توثيق الارتباط بالتراث، وكعب بن مالك، وأم عمارة، وعبد الحميد الكاتب، والحج في الأدب العربي، وضرار بن الأزور، وخولة بنت الأزور، وأرطاة بن سهية.

ويعيش القارئ مع كتاب [زيد الخيل.. الخير] أوقاتاً ممتعة وهو يلتصق بتلك الشخصية العربية الفذة التي صورها لنا الأستاذ الرفاعي من كل جوانبها، والتي تشمل العناوين التالية: (نسبه، أسرته، وصفاته، والخيل في حياة زيد الخير، أبناؤه، وقائعه، وفادته ووفاته، مع معاصريه، فصاحته ونثره). ويخرج القارئ من تلك الموضوعات، وقد رسخت في ذهنه صورة كاملة من صور فرسان العرب الشعراء. فهو ينتمي إلى قبيلة طيء القحطانية، من أبيه وأمه، ولقب بزيد الخيل «لكثرة ذكره الخيل في شعره لا لكثرة أفراسه.. ولكثرة الطراد على ظهور الخيل». وكان طويل القامة وسيماً مهيباً، شجاعاً كريماً فارساً يحسن الحروب كراً وفراً، وماهراً في الرمي، وطموحاً سيداً، يكره قتال ذوي القربى، وذكر له الرسول خصلتين هما: الأناة والحلم.

وكان شعره القليل فيه الكثير من ملامح تلك الشخصية العظيمة، وبما أنه فارس، فقد ذكر أيضاً في شعره شيئاً عن مطيته في الفروسية، وأشهر خيوله: الهطال، والكميت، والورد، وكامل، ودوول، ولاحق. ويذكر لنا الأستاذ الرفاعي بعض الأخبار عن أبنائه وهم: مكنف، وحريث، وعروة، وحنظلة، ومهلهل. وكذلك وقائعه وغاراته مع بني عامر وتغلب، ومع بني مرة وفزارة. مكللاً فيها بالنصر والفوز والغنائم. وتكمل شخصية زيد الخيل بوفادته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وإسلامه ووفاته إثر العودة من المدينة.. وإن موضوع (وفادته ووفاته) ممتع، فيترك آثاراً عميقة في وجدان القارئ.. ويكاد يكون أهم موضوعات الكتاب، لا سيما أن الأستاذ الرفاعي كان متجاوباً بانفعال مع قصتي إسلامه وموته: أو ربما كان بسبب دور الرسول بهذينك الحدثين، وما أضفاه عليهما من مشاعر وقيم، ولنسمع من الأستاذ الرفاعي قصة وفادة زيد الخيل إلى المدينة مع قومه، وكان سيدهم، وبعد أن يعلقوا رواحلهم بفناء المسجد، ويدخلوا مستمعين لحديث الرسول: «فلما أبصر بهم قال صلى الله عليه وسلم: إني خير لكم من العزى ولاتها، ومن الجمل الأسود الذي تعبدون من دون الله عز





★ عبد العزيز الرفاعي ★

وجل ، ومما حازت مناع (أجا) من كل ضار غير نفاع .. فقام زيد الخيل وكان من أعظمهم خلقاً وأحسنهم وجهاً وشعراً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه : الحمد لله الذي أتى بك من سهلك وحزنك ، وسهّل قلبك للإيمان . ثم قبض على يده ، فقال : من أنت ؟ فقال : زيد الخيل بن مهلهل ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله . فقال له : بل أنت زيد الخير . ثم قال : يا زيد ما خُبِّرت عن رجل شيئاً قط، إلا رأيته دون ما خبرت عنه غيرك . فبايعه وحسن إسلامه ، وكتب له كتاباً على ما أراد ، وأقطعه قرى كثيرة منها فيد ، وكتب لكل واحد من رجال الوفد على قومه إلا وزر بن سدوس ، فقد قال (أي وزر) : إني لأرى رجلاً يملكن رقاب العرب ، ولا والله لا يملك رقبتي عربي أبداً . ثم خرج إلى الشام وتنصّر وحلق رأسه » .

ويقف أيضاً الأستاذ الرفاعي من قصة موت زيد الخيل موقفاً شيقاً مؤثراً ، إثر إصابته بالحمى ، وإرساله راحلته خالية من صاحبها ، فتتفجر عواطف الثورة والغضب في نفس الزوجة ، ثم تشعل النار في الرحل ، وتقول :

ألا إنما زيد لكل عظيمة
إذا أقبلت أوب الجراد رعالُها
لقاهم فما طاشت يداه بضربهم
ولا طعنهم حتى تولى سجالها

كما يورد شعراً لزيد الخيل في نهايته المحزنة . ثم يلقي نظرة خاطفة في كتاب « الأغاني » ليقف على أخبار زيد الخيل مع بعض معاصريه ، وفي مقدمتهم بجير وكعب ابنا زهير ، والأخبار التي تتفق على ما قيل فيها من أشعار . ثم مع الحطيئة وطفيل الغنوي وحاتم الطائي .. وغيرهم . ثم يختم الأستاذ الرفاعي كتابه بفصاحة زيد الخيل ونثره ، ونماذج تمثل فنه النثري وبعض خصائصه التعبيرية منها : « يا رسول الله ، إني قد أتيتك من مسيرة تسع .. أنصبت راحلتي ، وأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، لأسألك عن خصلتين أسهرتاني .. » .

ولقد كان المرجع الأساسي في دراسة وبحث الأستاذ الرفاعي كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، بالإضافة إلى المراجع العربية الأخرى التي تجاوزت الستين مرجعاً ، ويجدها القارئ مثبتة في نهاية الكتاب .

كما أن المؤلف عرف كيف يعرض شواهده الشعرية المنتقاة التي يدلل بها على تأكيد الكثير من قضاياه وأفكاره وآرائه .. كما أنه قد يقف من تلك النصوص موقف المحلل المستنبط لبعض الخصائص الجمالية والوجدانية والتعبيرية .

على أننا كنا نتمنى لو وقف الأستاذ الرفاعي طويلاً عند شعر زيد الخيل ، وخصه بموضوع مستقل مثل صنيعه بموضوع (فصاحته ونثره) .

ولكن كتاب [زيد الخيل] قد كشف لنا جوانب عديدة من الحياة القبلية التي كانت تعيشها الجزيرة العربية في عصره .. كما يقول المؤلف في مقدمته .

ويمثل كتاب (زيد الخيل) للأستاذ الرفاعي نافذة مشرقة نطل منها على التراث العربي المضمخ بالبطولة والفروسية والمروءة ، والشعر الأصيل والقول الفصيح .



● الكتاب : الحجاز بين اليمامة والحجاز

● المؤلف : عبد الله محمد بن خميس

● الناشر : تهامة ـ جدة ـ سلسلة (الكتاب السعودي ٤٦) في ٤٤١ صفحة قطع كبير ، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) ط ٢ .

من يقرأ هذا الكتاب وهو موسوعة جغرافية تاريخية ـ يحس إلى أي حد حرص الأستاذ عبد الله محمد بن خميس على بذل





★ عبد الله بن خميس ★

جهده الرائع في تحصيل مادته . وعلى الرغم من أنه يصرح في مقدمته بأن الكتاب قصة هواية وثمرة تجربة ، بجانب أنه دفقة وفاء بحق المنازل التي نزلها في الجزيرة العربية أو تجوّل فيها ، نراه يتحرى الصدق ويعتمد المراجعات العلمية - مستمداً إياها من بطون الكتب ودواوين الشعر - لتحديد الربع لدراسته والمرتع لتعيين مداه وما روى عنه من أخبار وأشعار .

وإذا كان للعلامة حمد الجاسر فضل على نشر تراث الجزيرة محققاً مدروساً فلابن خميس محاولات ناجحة في تقويم أسبابه ، بعد أن تبيّن أن ما رصده ورثه الآباء والجدود يبدو في جملته قاصراً على كثرته ، كما ينقصه الدقة والشمول ، وإن يكن ثمة من حقّق ودقّق .

وفي الجانب الذي برع فيه الجدود - وهو الوقوف على المنازل والضرب في مسالك الجزيرة وشعابها - اجتمعت حصيلة رائعة من علوم العرب وأيامهم وأخبارهم . وهذا في حد ذاته بجانب إثارته همة الدارسين إلى الدرس ، نقطة الانطلاق عند ابن خميس ، مع فائدة في جانبه .. لأنه ابن المنازل والمسالك الموصوفة ، والآخرون أهل تفصلهم عن هذه المرابع المسافات الهائلة ، والخبرة العملية ، والفهم الذي يشوّهه - أحياناً - وهم المخيلة . ولقد نعى بعض المتقدمين في القرن الرابع على شعراء عصرهم تغنّيهم بوحش وجَرة ، وتساءل : هل رأى الشعراء هذا الوحش - ظباء وبقر - ليصفوه في شعرهم كما وصفه لبيد :

زجلاً كأن نعاج توضح فوقها
وظباء وجرة عُطّفاً آرامُها

وفي الوحش نفسه قال امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية - ولعل القصيبي يغضب لهذه الإمارة - وهو يتغزل ويصف محاسن صاحبته :

تصدّ وتبدي عن أسيل وتتقي
بناظرة من وحش وجرة مطفل

أترى رأى المتأخرون وجرة ووحشها ، أم ذلك - في إطار الطلليات - ضرب من التوهم وأخذ بأسباب المذاهب المتقدمة على سبيل التقليد الفني .

إن المحدثين الذين كتبوا عن مثل وجرة تنقصهم الممارسة العملية ، نقصد ممارسة الرؤية ودراسة المكان ومعرفة القبيلة أو القبائل التي تعيش فيه ، وربما ركوب الإبل أيضاً كما ركبها الأولون .. وبها ساروا وئيداً ، فاستطلعوا ، وأطالوا التأمل ! .

وعلى هذا النحو كانت بواعث تأليف « المجاز » قد تكاملت عند ابن خميس ، وسماه كذلك من « جاز الطريق » إذا قطعه الجائز أي العابر الذي يبصر أعلام الأمكنة أثراً كان أو جبلاً أو وادياً أو عين ماء أو بلداً . وهو - اي ابن خميس - لم يكتف بالرؤية فحسب ، وإنما راجعها أيضاً على ما تحويه المراجع وما يؤكده الرواة ويفضي به الأدلاء ، بادئاً باليمامة وجبلها الذي يعد من أشهر جبال الجزيرة .

وابتداؤه باليمامة اقتضاه منهج الكتاب ، لأن الإقليم أحد طرفي المجاز - والطرف الآخر مكة - وفيها جرت أحداث أقدم يوم من أيام العرب التي حفظها لنا فيمن حفظ أبو عبيدة معمر بن المثنّى .. لأنه عن الزرقاء في قومها طسم ، وكانوا سكنوا من جديس جوّا أو العروض ، فلما ملكتها سميت باسمها .

واليمامة من ناحية أخرى امتدادها إلى الغرب نجد - وبعض القدماء مدها إلى جزء من اليمن وجزء آخر من الحجاز - وفي نجد عاشت أكبر قبائل العرب ، وفيها ظهر أعظم الشعر .. بدليل إفراد ابن سلام الجمحي المتوفي سنة ٢٣٢ هجرية أول قسم في طبقات فحوله لشعرائها جاعلاً امرأ القيس في رأس أول أربعة شعراء ، والشعر ديوان حكم العرب ومناط مجدهم .

ومن ثم كان التقديم فيما نتصور ، ونضيف من أسبابه - فيما ذكره ابن خميس - موقعها الجغرافي المتوسط بين اليمن والعراق من ناحية ، والحجاز والبحرين من ناحية أخرى . ووجود جبلها الشامخ المنتصب بوديانه العظيمة وشعوبه ونخيله حصناً منيعاً يقي سكان اليمامة شرّ المغيرين ، وفيه وفي اليمامة قال عمرو بن كلثوم الشاعر الفاتك الذي قتل عمرو بن هند أعتى ملوك العرب قديماً :

فأعرضت اليمامة واشمَخَرَّت
كأسياف بأيد مصلتينا

وفي اليمامة قال ابن خميس شعراً ذكره ، ومن القدماء تغنى بها ابن أم كلثوم والأعشى وعروة بن حزام والفرزدق والمتنبي . وفيها أيضاً وجدت عاصمة البلاد اليوم . نقصد الرياض ، أحد ثلاثة عشر إقليماً فيها ، ومنطلق الفتوحات السعودية ، وسكانها «حملة الراية وشوكة الحرب وجند الوفاء» كما يقول ابن خميس ، ويتبع ذلك بالشعر ، ذاكراً أن اسم الرياض قديماً كان حَجَراً التي ذكرها أبو ذؤيب الهذلي بقوله :

كأن حدوج المالكية غدوة
حدائق نخل القادسية أو حجر

وإذا كنا أطلنا الوقوف مع ابن خميس في اليمامة والرياض فلكي نحدد منهج ابن خميس أو طريقة تأليفه للمجاز . فهو خليط مستطاب من المشاهدة والمعارف الجغرافية ، وأخبار التاريخ ، والروايات الشفهية ، والمقتطفات الشعرية من قديم الشعر وحديثه ، ومن ذلك ما أنشده فنانو الشعب الذين هم الضمير الصادق المرهف .

وفي فصل آخر تغنّى ابن خميس بذكر وادي حنيفة ، فالوشم والمروت ، ثم الدوادمي إلى عفيف وظلم ، إلى الطائف ومكة عابراً بالنير وسجا وخنثل ومران ووجرة . وهنالك يتساءل قبل أن يقف متأملاً دارساً في المشاعر المقدسة وما حولها : ما حدود نجد وقد أشرف على تخوم الحجاز ؟ .

ثمة بعض أعلام عكاظ ، ومن خلف تعرض جبال الحجاز ـ السروات ـ وقد أخذت الطبيعة تختلف وكذلك الجو والنباتات . وإذن فما خلف عكاظ وما صاقبه شمالا وجنوباً مما يمر به طريق رحلته ـ وهو يرحل فعلاً من الشرق إلى الغرب ـ حجازي . ولما كانت الشواهد الشعرية من المواد الأساسية في الكتاب ، راح يستدل بها ويستشهد وبخاصة أن ما أنشده الشعراء في نجد كثير ومتنوع ، ولم يكن كثيراً ـ من ثم ـ أن يسجّل المؤلف بعض هذا الشعر في ثماني صفحات متتالية .

وبعد هذا يدخل المؤلف إلى عكاظ ـ وهو على عدوة من ماء يقال لها نقعاء في تدوينات البكري ـ زاعماً أنها اتخذت سوقاً بعد حادثة الفيل بخمس عشرة سنة ، وبها يتصل بلد يسمى ركبه ، وتبعد من ناحية أخرى عن الطائف بنحو خمسة وثلاثين كيلومتراً ـ يجعلها ابن بليهد أربعين ـ ومركزها جبل الخلَص ، وبعد الخلص قرى وبساتين ونجوع إلى العرج فالطائف أشهر المدن أصالة وقدماً وملتق طرق نجد واليمن والحجاز ، وجل أهلها ثقيف وحمير وبعض قريش .

ويضرب المؤلف بعد ذلك بأسلوبه المشرق فيما بين الطائف ومكة مجتازاً العقيق إلى مسرة فالسروات سكنى هذيل ، وفيها كبكب أبرز جبل خلف عرفات ، وكان لهذيل كما كانت عرنة ، وخلف عرنة ذو المجاز .

وهنا يصل المؤلف في مجازه إلى المشاعر المقدسة واصفاً ومدققاً ومعلقاً إلى أن يحط الرحال في مكة . وقبل أن يودعها ليضع القلم ألمَّ خطفاً بإقليم الحجاز ، فهو يحجز تهامة ونجداً ، وإذا كانت مكة تهامية والمدينة والطائف حجازيتين فإن ذلك لم يمنع من أن يصطلح الناس على أن في الحجاز مكة والمدينة وينبع وجدة ، وما جاورها يمناً وشآماً .

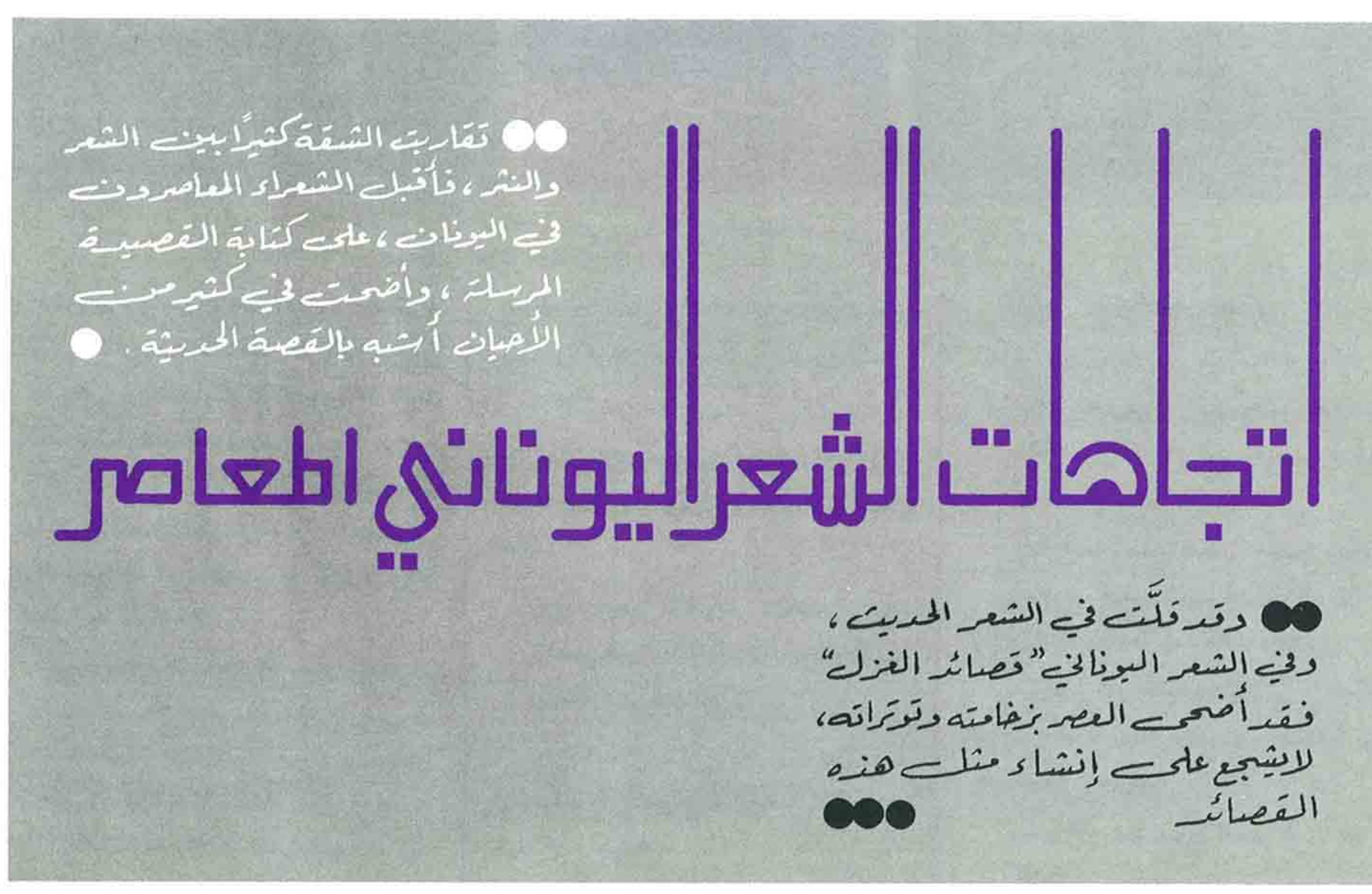
فما الحكم على هذه الرحلة التي اكتفت برصد ما على طريق صاحبها ؟ .

إنها أساساً رحلة في قلب نجد ، ولم يغير الرحالة قط طريقه المتجه غرباً ، وإذا تشعب ذلك الطريق اختار الأقصر ، لأنه ـ فيما يحسّ القارئ ـ لم يهتم بأن يكون جغرافياً ، تماماً مثلما حرص كل الحرص على ألا يكون مؤرخاً .

وإذن فما بين أيدينا وصف طريق تذكّر المؤلف أعلامه بأمور فيعرض لها ، وكان أهم ما فيها الشعر دون إسراف ـ إلا في بعض المواضع ـ حتى لا يشغل القارئ عن متابعة بقية الأعلام .

والخطة على ذلك النحو محكمة ، بل لعلها في صالح كل قارئ متخصص يريد العلم المحقق ، وطالب متعة ذهنية يريد الأنس والراحة ، ثم شاد يريد أن يتعلم كيف يتعامل صاحب قلم مع مادة معقدة يضفي عليها من نفسه الحيوية والجمال .

هذا هو كتاب «المجاز بين اليمامة والحجاز» للأستاذ عبد الله بن خميس ، نقدمه للفئات الثلاث المذكورة وبين أيديهم ـ في نهاية الكتاب ـ الفهارس المفصلة كأنها المرشد الأمين في تلك الرحلة الماتعة .



بقلم : د. نعيم عطية

في مواجهة أمواج اليأس السوداء التي تغلب لا على الشعر اليوناني فحسب بل وعلى الشعر الأوروبي كله ، نجد في الشعر اليوناني المعاصر تياراً معارضاً يتشبث بصخرة الأمل ، ومن المعبِّرين عن هذا التيار الشاعرة **أولغا فوستي** ، التي تريد أن تصد عن قلب الإنسان سواد اليأس المدلهم . فتقول في إحدى قصائدها :

في تجاويف صدري ، في سيول الطوفان الجارفة ، في مغارة قواي المتآكلة ، أحاول أن أخبئ المولود .

أحاول أن أرضع الوجود ، أن أعطيه شكلاً ، بالأحلام والطين والدموع ، بالدم والأجنحة ، بدفقات النور .

هذا الوجود ، انتفاضة نصر وألم ، طعنة نصل لامع ، وهو يهجم كل مرة ، بقوة على صدر إنسان ليثبت فيه .

وفي قصيدتها « **القمم** » تقول الشاعرة :

يا أيتها القمم العملاقة الشامخة ، يا أيها الصمت الكثيف الذي ينحدر من أنهار الأبدية ، أرواحنا لم تمت ، وهي دائبة الصعود إليكم .

مثل أجنحة نسور غير مرئية ، ترفرف الروح تسبِّح لله . . في السكون العميق الذي يخيم عليك .

يا أيتها الوجوه العامرة بالسعادة ، يا أيتها الينابيع النابضة بالفرح ، فلتسمحوا لنا أن نستحم في بحيرتكم الخيرة .

لا أريد أن أخطو داخلة إلى أبواب أخرى .

يكفيني هذا ، يكفيني أن أتريث هنا حيث انفطر من الفيض قلبي ، وبطعنة سكين حلوة انتزعتم منّي كل الكلمات ، فما عدت بقادرة أن أنطق بشيء .

يا رجفة الروح ، يا أيتها الدنيا الوطيدة الأركان ، يا من توجدين مثل الشجر والمياه ، يا بحيرة الخلاص ، يا عصب البراءة الأزرق ، لا تبتعدوا عن حدودنا الفقيرة ، لا تتركوا مخلوقاتكم المنسحقة .

فليكن لنا مكان تتكئ عليه سواعدنا ، ويضيء مثل إكليل من النور في الليل ، فتفيض بالضياء والدموع قلوبنا ومآقينا .

نجد هذا اليأس مقصياً عن كلمة الشعر ، وقد حل محله رجاء بعيد المدى ، رجاء يتدعم بإيمان عميق في الله الذي تسعى إليه القلوب ، باحثة عن الضياء والراحة والتطهر من الأدران والهداية في ليل الحياة . **وتقرن الشاعرة الرجاء والإيمان برؤى من طبيعة شامخة أبدية مقدسة .**

وهذه الطبيعة التي تبشر بالرجاء والخير تختلف عن الطبيعة في شعر **سيفيريس** السابق حيث نجد صور الطبيعة تتأرجح بلوعة يأس



اتجاهات الشعر اليوناني المعاصر

دفين مبهم ، وسعي إلى ما لا يُنال ، وانتظار لما لا يجيء . **وربما كان تغيير ظروف المسرح التاريخي في الثلاثينات والأربعينات حيث كان ينشد فيها سيفيريس أشعاره عن الظروف التي بدأت تشرق على الأجيال الجديدة من الشعراء في الستينات والسبعينات هي السبب في تغير الرؤية الشعرية للطبيعة .**

ولئن كان الغالب على الشعراء اليونانيين أنهم يستقون رؤاهم من الطبيعة ، وهي في بلادهم طبيعة شديدة الثراء تجمع بين البحر والجبال والسهول ، إلا أن ثمة تياراً راح يقوى إزاء زحف المدينة وأخذها بخناق الإنسان ، وقد انطفأت في قصائد هذا التيار رؤى الطبيعة ، واقتصرت على الشدو بأشجان الإنسان الذي تحجب الأسوار عنه خط الأفق ووجه السماء وأديم البحر وهامات الجبل . وقد كان من أوائل الشعراء الذين قصروا قصائدهم على الإنسان المحاصر بعمائر المدينة **كافافيس** ، وقد راحت أصداؤه تتردد في قصائد كثير من شعراء الأجيال اللاحقة . ومن هؤلاء **يورغوس مانوساكيس** في قصيدته «**تغيير محل الإقامة**» التي يقول فيها :

لا أستطيع أن أتأقلم بعد ، وهذا البيت .

بناء عار ، من أنفاس الروح خال .

أتخبط بالحوائط ، أتعثر في الأركان ، وبالأبواب أنحشر .

دخلتُ قوقعة ، لا يناسبني حجمها . لو رفعت هامتي ،

اصطدمت أفكاري بالسقوف الواطئة .

تنحبس العواطف في غرف ضيقة .

وتضحى الأحلام جليداً على السطوح الباردة .

أفحص الحيز المجهول محاولا الإحاطة به ، فقد وجب عليَّ الآن أن أتجاوب معه ، وأن أشرع فأودع في جنباته ، بذور حياتي الجديدة .

وتذكرنا هذه القصيدة بانطباعات من قصيدة **كفافيس** بعنوان «**النوافذ**» حيث يقول :

«في هذه الغرف المظلمة التي أمضي فيها أياماً ثقالا أروح وأغدو باحثاً عن النوافذ . . .»

ومن الشعراء الذين ترددت أصداء المدينة في قصائده **خريستوس فالفانيذيس** الذي يقول في «**ليليته**» :

في أمسيات الصيف ، أطفئ أنوار البيت .

تفد من بعيد نسمة تلاطفني .

أترك النوافذ مفتوحة ، وأجلس في الشرفة سارح البصر وحدي دائماً .

بداخلي تتردد نغمة ملحة .

تضيء الأنوار ، فتشتعل في دمي حرائق .

شرفات ونوافذ في كل مكان تعذبني **(أفضلها ما كان مطفأ الأنوار أعرف ذلك)** .

أدخل البيت ، وأعود بمنظار مكبِّر .

الليل من حولي بحر ، والبيوت أصداف ولآلئ .

خاتمة مطافي أن أجد بمكان ما مشهداً مستقبلياً ، فأرقد على أجنحة الملائكة البيضاء .

أجل ، ليالي الصيف رائعة ، تريح على نحو ما الجرح الذي بداخلي .

ولنر الآن للشاعر نفسه وصفاً لنزهة بعض من أهل المدينة إلى شاطئ البحر :

جاءوا بالبولمان . نزلوا منه صاخبين . جلسوا بجوار أشجار الصنوبر .

لم ينزلوا إلى البحر . كان الماء ملوثاً بالقار .

بسطوا أطعمتهم . أكلوا وغنوا بمصاحبة الإرسال الإذاعي ثم غلبهم النعاس فناموا تحت ملاءاتهم .

رأوا جميعاً حلماً واحداً . حلموا بأنهم صرعوا ، أطبقت عليهم السيارة الزرقاء . وألقت بهم معاً في حفرة عميقة .

استيقظوا على صوت الكلاكس . جمعوا أشياءهم . نادوا أولادهم . صعدوا إلى السيارة وانصرفوا .

يطفو الآن على سطح البحر كيس من النيلون .

ويرى السمك الآن صحيفة مبسوطة ، استقرت في القاع ساكنة

ونلمح في هذه القصيدة أن الشاعر لم يحلق بنا في آفاق خيالية أو مثالية بل عُنِيَ بأن يظل ملتصقاً بالأرض ، وبالبشر العاديين في حياتهم اليومية ، وتعمد استخدام ألفاظ مثل **الكلاكس وكيس النيلون وبقايا الأطعمة والقار الذي يعكر مياه البحر ، والبولمان ، ونفايات نزهة ألقيَ بها بسوقية واضحة لتلوث البيئة الطبيعية . وهذه كلها من مقومات الاتجاه الواقعي الذي غزا الشعر اليوناني .**

وتنبع الروح الشعرية في مثل هذه القصائد على الأخص من دقة الملاحظة وصدقها . ويعول الشاعر في بناء قصيدته الواقعية على حواسه ، وبالأخص عينيه ، فتبدو القصيدة كصورة ملتقطة بعدسة كاميرا دقيقة لا يغيب عن نظرتها الجارحة عيب اجتماعي أو مثلب إنساني .

على أنه لدى بعض الشعراء الآخرين يبدو

العالم الواقعي مرتعشاً يذوب سريعاً في عالم خيالي. إنك لا تكاد تمسك في القصيدة التي تقرأها بزمام بعض التفاصيل الواقعية حتى تجد نفسك قد جُررت إلى ما يبدد عن هذه التفاصيل واقعيتها، وترى أن ما بين يديك أطيافاً ملونة، أحالت الواقعية المادية إلى ما يمكن أن نسميه «**بالواقعية السحرية**».

ولنقرأ في هذا المقام بعضاً من أبيات من قصيدة **نيكيفورس فريتاكوس** بعنوان «**مرثية من سبع مقاطع**»:

يريد أن يتخيل العالم، كما كان.

آنذاك: عندما كان يجري في الغرف الفسيحة،

ذات النوافذ التي تجعلك تظن أنها الأفق.

متعقباً فراشة رقيقة ملونة،

كانت تحمل بدورها الإحساس بالسماء في البيت،

أو مقتفياً أثر طائر كان يزوره.

- ليس في وقت محدد، بل حينما شاء -

يطوف مثل ملاك صغير في الغرف.

(جبال عالية ومتناسقة في الأعماق،

وأدغال خضراء،

لا بيوت على الإطلاق.

غربان أو سحب صغيرة عابرة.

وأجراس ترن من قطيع جديان هنا وهناك. ولا شيء غير ذلك).

هذا العالم بالضبط كما كان آنذاك، يريد أن يتخيله، ممسكاً رأسه بين يديه.

مملوءٌ بالذكريات، والشمس، والنغمات،

مطلاً إلى حيث تصطخب وتمور الهاوية المظلمة.

وتتعاون على بناء هذه «**الواقعية السحرية**» الذكريات والخيالات والمنولوجات الداخلية والأحلام. ومع بقاء الصور المقدمة للقارئ من العالم الخارجي، إلا أنها تكون قد غمست في العالم الداخلي للشاعر ومرت بأنابيبه الذاتية قبل أن تدبج على الورق وتصير قصائد يقرأها الغير.

ويتعامل الشاعر **يورغوس كوتسيراس** مع «**الطبيعة**» تعاملاً صريحاً ومباشراً، فيبني قصيدته على وصف مشاهدها لذاتها، دون أن يودع وصفه رمزاً أو إيحاء، وفي قصيدته «**الجمال أبدي**» يقول:

رق البحر، وسكن عند الأفق.

ومثل قرنفلة متفتحة دائبة الغوص في الأعماق، راح النور الإلهي يلمع مثل الفضة هناك، ينطفئ ويعود فيضيء، بانتظار أن يطلع الجمال إلى الأمواج من جديد.

يمتد الشاطئ الرملي على مرمى البصر، مثل ثوب من القماش ترتسم عليه الثنيات، وتلمع قطع الحصى.

الأعشاب عطشى إلى قطرة رطيبة، تنتظر كل يوم أصواتاً قديمة منسية، من طيور ضاعت عند الأفق.

راحت الشمس تغيب في لون برتقالي، ومن بعده في لون أحمر دام، لتختبئ في غابات جنة لم ترها عين، حيث تغدو وتجيء أطياف طاهرة في نشوة فرح من رحيق الفراولة!

ويبتل وجهك. بالرذاذ المتطاير شذى عطراً من صفعات الموج ينعشك من حر أغسطس وقد انتصف، كتحية رطيبة من نوارة البحار التي رحلت بثوبها الأبيض إلى الظلمة في هدوء بأمل أن تبزغ من الأعماق ويطلع على الموج في الغد جمالها من جديد.

على أن هذا التعامل المباشر مع الطبيعة، الذي يقتصر على أن يسجل معالمها ويحلّيها ببعض الزركشات التعبيرية، قد هُجر من الشعراء المحدثين في اليونان. ولجأوا إلى وصف للطبيعة أكثر ابتكارية، ينفث في ظواهرها وتفاصيلها خيالا يحملها إلى آفاق أبعد مدى بكثير، يحقق في قلب القارئ متعة الدهشة لما يميط عنه الشاعر اللثام من وجه الطبيعة الخفي، بإيماءاته البارعة وبإيحاءاته الذكية. ويبدو في هذا الوصف الابتكاري جهد أكبر مما في مجرد الوصف التقليدي بتسجيليته وصفته المباشرة. ولنعط مثلاً على هذا الوصف الابتكاري بقصيدة «**أسرار الصخور**» للشاعر **ذيمتريس ليكوريتيس**، حيث يقول:

على ظهر الصخر، يتكئ المحيط ويستريح.

كيف تحتمل الصخور هذا العبء الثقيل ولا تغوص في أغواره.

للصخور أدراج سرية تخبئ فيها أجنحة، ترتديها وتطير،

عندما يلقي المحيط عباءه عليها كل ليلة.

ولما كانت اليونان بلد التماثيل والآثار والمتاحف فقد تركت هذه البيئة بصماتها على قصائد شعراء معاصرين. فنجد **أندونيس فوستيراس** يقول في قصيدته «**الطفل في المتحف**»:

ينام في المتحف طفل، منذ أربعة آلاف من السنين.

تشققت من البرد عظامه، وانحفرت فيها ثقوب من ضغط الزمن الذي لا يقاوم.

ينهض الطفل في الليل من فراشه، يفتح الستائر في وجه القمر. أفزعه الضوء

اتجاهات الشعر اليوناني المعاصر

الشرس ، سار على السقف نائماً ، وكاد يصعد بعد قليل إلى السحب .

كذب ، كذب ، ينام في المتحف طفل . السنين في أعماقه !

خرير ماء شديد البرودة ، السنين حول حشيته نمل ، وفي عقله صوت مثل طنين النحل .

يكاد الطفل يمزق بعد قليل ستائر نومه .

سينهض لنتعانق ونذرف الدموع .

وقد اكتسب كثير من الشعراء اليونانيين خبرات من هجرتهم للإقامة ببلاد أخرى مثل **الولايات المتحدة الأميركية** . وأتاح لهم ذلك أن يطعموا حركة الشعر اليوناني الحديث بتيارات أسرعت بنبضه وإيقاعه . ومن هؤلاء الشعراء **ذيمتريس كاكافيلاكيس** الذي عاد من أميركا مشحوناً بتصورات دينامكية . فما عاد الخيال من حق الغارقين في أحلام الرومانسية القاصرة ، بل أضحى ابتداع الرؤى الجديدة ، وتشكيل الصور المبتكرة إلى حد كبير من صنع العلماء والتقنيين . وقد أتى **كاكافيلاكيس** في قصائده الجافة برؤى كثيرة من بلاد السرعة المجنونة ، وناطحات السحاب ، والإنتاج الكبير ، والسلع الاستهلاكية والرادار ، والعقول الإلكترونية ، والبنوك الضخمة ، والتخصصات الدقيقة ، وأفلام الرعب والإثارة ، **وكل ذلك جعل من صور الشاعر صوراً تتجاوز السريالية ، مفعمة بألغاز ميكانيكية وإليكترونية ، تقود إلى ابتعاث شحنات جمالية جديدة في أرض الشعر اليوناني الحديث** ، مما يعد تجديداً ليس في المضامين فحسب ، بل وفي الأسلوب أيضاً . فقد أضحى حاداً متوتراً ، طنَّاناً لاذعاً . ولنقرأ قصيدة **لكاكافيلاكيس يقول** :

في **سان فرانسيسكو** ، يأتي الظلام ، ليفرغ حمله .

عندما تكتسي التنهدات ألواناً رقيقة باهتة ، تتضخم أثداء جنيات الخيال ، وتحت وطأة السياط تتسلح أو تلقي بالسلاح .

تقتات القبلات بالنيران

يدخن العمال

طباقاً صينياً

وتضحي أنت شخصية تراجيدية ، أو ملهمة إليكترونية ، برغبات متناقضة ، وعظمة صباحية .

لكن كفاك دقاً فالباب مفتوح ، وليس له مخالب ، يمزق بها الظلمة .

أما الشاعر **أنيستي أفانجيليو** فيهتم بالإنسان ، ويوجه إليه خطاباً فيه عتاب وتأنيب ، وفيه دعوة واستحثاث ، وفيه نصح وتصويب ، ولنقرأ قصيدته **«لتكن الآن متواضعاً»** :

لتكن الآن متواضعاً ، اترك حكمة الكتب الفانية ، وتعلم من مدرسة الخبرة العملية .

سترى ، كم تتضاءل السنوات التي أضعتها تجمع المعارف ، وكم يبدو فقرها . أوراقك كلها لا تزن شيئاً في الميزان العادل الذي سنوزن به جميعاً في النهاية .

وهو ليس ذلك الميزان المستعلي بل الآخر ، الأكثر تواضعاً ، الذي نوزن به رغم ذلك كل يوم .

— أوراقك كلها لا تزن قدر ما تزنه لفتة عون واحدة بسيطة نحو إخوتك ، لفتة من فاعل خير مجهول بين الآلاف من لفتات فاعلي الخير المجهولين من حولك .

أعني لا تزن أوراقك كلها قدر ما يزنه فعل من أفعال التضحية .

وفي قصيدته **«حان الوقت»** يقول **أنيستي إيفانجيليو** :

الآن وبيتك يحترق ، وترى كل ما تملك أضحى رماداً وأكواماً من الهشيم يتصاعد منه الدخان .

الآن وقد أمسكت النار بثيابك أيضاً ، ووجدت نفسك على قارعة الطريق عارياً ، وأينما امتد بصرك رأيت المدينة تحترق ، وسكانها يقفزون من العتبات مرتاعين عرايا مثلك مطاردين .

حان الوقت أن يتوهج عقلك ، حان الوقت أن ترى ، أن تفهم الأسباب في النهاية .

وقد اتجه كثير من الشعراء المحدثين في اليونان إلى أسلوب مركز في كتابة قصائدهم ، وفي أبيات قليلة مكثفة يحاولون أن يقولوا ما كان يقوله سابقوهم في قصائد مستفيضة . ومن هؤلاء الشاعرة **إيمبيا كارايورغا في قصائد «الحياة والحب»** حيث تقول :

كف عن البكاء ،

خارج أسوار الموتى ، إنها تتكاثر كل يوم .

والموتى هنا بداخلها ينكسون الرؤوس وينامون .

لم تعد **أندروماك** تبكي عليك أنت وحدك .

وقد تقاربت الشقة كثيراً بين الشعر والنثر . فأقبل الشعراء المعاصرون في اليونان على كتابة القصيدة المرسلة . وأضحت في كثير من الأحيان أشبه بالقصة الحديثة ، فهذه بدورها قد تأثرت بالشعر . وتحقق بذلك التلاقي بين ضروب الأدب المختلفة . ونجد دواوين الشعراء المعاصرين في اليونان حافلة بقصائد نثرية ، لا يميزها إلا الحفاظ على جوهر الشعر

لا على أنه صياغة وشكل بل على أنه مضمون من نوع معيّن . وسوف يتأكد لنا ذلك من قراءة أعمال الشاعرين **تاسوس ليفاذياس وتاكيس سينوبولوس** والشاعرتين **ماريالاينا وثيوذورا نداكوه** ، وأعمال هذه الأخيرة أكثر طولا وتتخذ شكل المذكرات ، بينما يعمد الشاعر **يانيس كوندوس** إلى تقليد الأعمال السينمائية ويفرغ تصوراته الشعرية فيما يطلق عليه هو نفسه « **المونتاج** » ولنقف في هذا المقام أمام إحدى قصائد **ماريا لاينا** :

في كل مرة ، ترقد لتنام ، يخرج من جسدك قلب أحمر . يقف في فراغ الغرفة ، يتنفس من تلقائه . لا يكترث حتى بنفسه ، لأنه يتغذى بدهشة مطردة . لا شيء هناك ولا مكان . طوال هذا الوقت تعبر عنكما ابتسامة صغيرة تتأرجح على خيطين أبيضين رفيعين . لأن هذا الذي أنتما عليه يوجد حتى قبل أن توجدا . ويظل منسياً .

ولنقرأ الآن قصيدة من هذا الاتجاه أيضاً **لتاسوس ليفانياس** يقول فيها :

كان عارياً . في المدينة ، كانوا يرجمونه بالحجارة ، ويصرخون فيه قائلين : « **ارحل** » وكان يرحل ، مخلفاً قطرات الدم وراءه . كان الحكماء يقولون « **يريد أن يبدو مظلوماً** » ولكن عندما وجدناه ميتاً ، في الحقول خارج المدينة ، رأينا على صدره العاري الطائر الكبير مرسوماً ينهش آخر مزقة من ثيابه .

وقد قلت في الشعر الحديث وفي الشعر اليوناني « **قصائد الغزل** » فقد أضحى العصر بزخامته وتوتراته لا يشجع على إنشاد مثل هذه القصائد ، وغرق الشاعر الحديث في هموم قتلت فيه الرغبة في الغزليات وصار مطارداً برؤى أكثر ضراوة من التغني بمفاتن الحبيبة والبكاء على أطلالها إذا ما رحلت أو غابت . **وكيف يمكن للشاعر وهو نبض العصر وعرّافه أن يقف عند انشغال فردي مثل هذا والبشرية كلها تقف عند حافة هاوية مظلمة القرار؟** وهو ما جعل الشاعرة **أوليمبا كارايورغا** تقول في قصيدتها السابق الإشارة إليها مخاطبة **هيكتور** : إن **أندروماك** ما عادت تبكي عليه ، فمن تذرف عليهم الدموع قد تعاظم عددهم حتى صار من المتعذر أن تقصر دموعها عليه .

ولئن كان الغزل قد انكمش مجاله في الشعر المعاصر ، فلا زال الموت يؤرق الشاعر في مختلف مظاهره وأصدائه . ولنستمع إلى قصيدة **لنيقوس فوكاس** بعنوان « **الميت** » يقول :

فجر جاف . أزرق .

مت منذ قليل .

ينظر أصدقاؤك وأقاربك إلى جثمانك مندهشين . نحن أغراب بالنسبة لك . لا تشعر بنا . لا تشاطرنا الأحزان . شبح أنت تجمد في وضع لا يتبدل .

كم يبدو الإنسان ذاته قليل الجدوى !

إنك لا تعرف اليد التي أغمضت عينيك ، ولا العصافير التي عند النافذة بأعلى صوت تزقزق ، وقد راحت أشجار السرو تخفق بشدة . لا تعرف أصوات الأطفال الذين يلعبون في الفناء

كل هذا حدث بعدك وبدونك

أيها العزيز ، إن الدنيا تمضي في الطريق .

وفي قصيدة « العودة » يتحدث **تاناسيس باباثاناسوبولوس** عن عزلة الإنسان أينما كان ، سواء في المدينة أو غيرها . فيقول :

عاد من الجزيرة الجدباء . لكنه هنا أيضاً في المدينة ، لا زال يعاني قطرات العذاب .

لا زال مختنقاً بوجوم أسرته ، محاصراً بأمه المحرومة ، وابنه العاري ، وزوجته العدوانية الناقمة ــ كل شيء يطرده .

وهو في الطرف هناك مثل كلب مضروب يحاول استرجاع هدوء البال .

يقرأ ما بأعماقه وينقر على الدوام وبآلية ذاته الجميلة الحجرية التي لا تتغير .

ويبلغ **ميناس ذيماكيس** قمة اليأس في قصيدته « **بريام ، صاحب طروادة** » لكنه على أي حال يأس شاف من كثير من الأوهام . فيقول :

يا صاحب طروادة ، يا من تبحث بين الأموات .

يا أيها الصاحب ، كفاك بحثاً عن هيكتور المقتول .

الدنيا خواء مترامية الأطراف وأرواحنا أيضاً كذلك .

يا صاحب طروادة ، يا من تتوسل وتذرف الدموع لن يبكيك أحد ولن يذرف من أجلك الدموع .

ينهدم القصر علينا كل لحظة ، أحياء أموات ، بلا أحد يبكينا بلا قبور .

ما عاد لمصمم القصر وجود . اندثر منذ عهود غابرة ، أو ربما هو ضائع في غمار من سيأتون مع الفجر الذي طال انتظارنا له ولا أمل .

مصمم القصر غائب عن الوجود والكل ماتوا معك ،

يا أيها الصاحب كفاك استجداء للأموات .



أبداً..!

شعر: سعد البواردي

أبـدأ.. لن تـُخرس للحـق شـفاهُ
لن يمـوت الحـق.. أو يفـنى صـداهُ
لن يهـون العقـلُ.. لن تخبـو رؤاهُ
مـدى التـاريخ.. والعمـر مـداهُ

* * *

قد يـكون العمـر شـيئاً مسـتباحْ
تعصـف الآلام فيـه.. والـريـاحْ
قد يطولُ الليـلُ.. قـد تقسو الجراحْ
ويمـوت الليـل في وهـج الصـباحْ

* * *

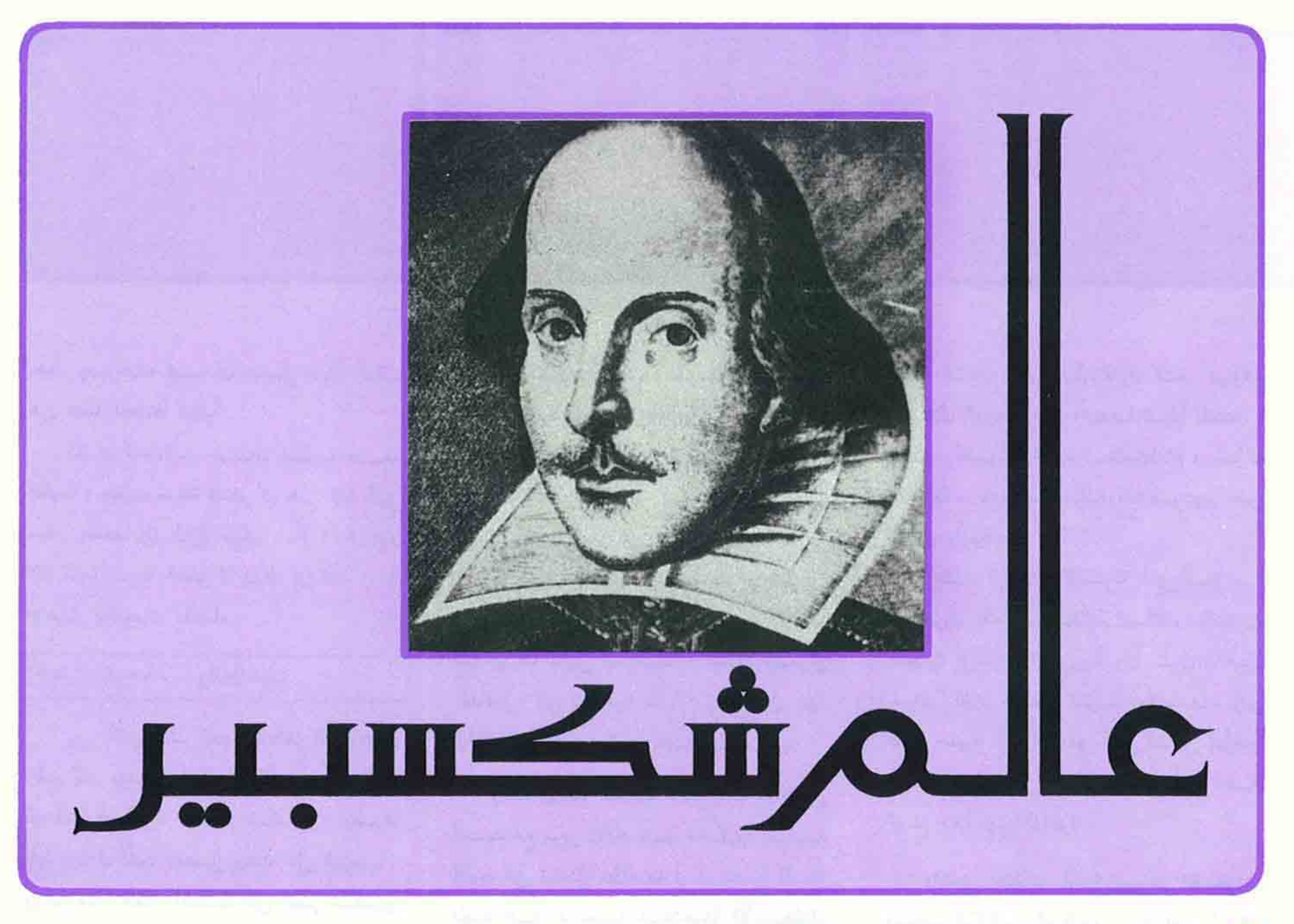
قد يجفُّ الـزهر مـن لسع الصـقيعْ
وتـروي الخـد زخـات الـدموعْ
ويتيـه الحـر في تيـه الـوضيعْ
ويعب الجـوع مـن ثـدي الـرضيعْ

* * *

أبـدأ.. لن تـُطفأ في الـديجور شمعـه
أبدأ.. لن تـُهزم في العينـين دمعـه
إن سـوط الفـرد لن يقهـر جَمْعَه
الحيـاة الحـق.. لن تـرهب قمعـه

* * *

أبـدأ.. لن يحفـلَ عصـفور يغـني
فـأنا منـه نشـيدأ.. وهـو منّي
يتسامى فـوق شكـّي.. فـوق ظنـّي
سيغنـّي كل فـألي.. سيغنـّي



عالم شكسبير

تطابق عصر الشاعر وليم شكسبير مع فترة من أعظم فترات التاريخ الإنجليزي، حينما كانت ملكة عظيمة هي الملكة «أليصابات» متربعة على العرش، محاطة بولاء شعبها. ولقد صدُ الغزو الإسباني في الوقت الذي كان أعظم الملاحين الذين عرفهم العالم يرتادون شواطئ البلاد المكتشفة حديثاً. وازدهرت الفنون، وغدت الكتب أيسر منالا بعد أن كانت قبل ذلك تكتب باليد.

بقلم: د. عيسى المصو

كان عصراً أصبحت إنجلترا فيه دولة لها صولة ونفوذ في العالم. إلا أننا اليوم نعتبر أن من أعظم إنجازات ذلك العصر كان عمل وليم شكسبير. ولكي نستطيع تفهم عبقرية الشاعر يتوجب علينا أن نتفهمه في إطار عصره الذي عاش فيه، وأن نلم ببعض مظاهره، ونواحي الحياة اليومية السائدة آنذاك.

عالم شكسبير

ولد الشاعر وليم شكسبير عام ١٥٦٤م، ومات عام ١٦١٦م، واشتهر في عالم المسرح كممثل ومؤلف. وما إن بلغ الثلاثين من العمر حتى أصبح شريكاً لأصحاب المسرح، وهي شراكة درّت عليه أرباحاً طائلة. وسرعان ما تجمعت لديه ثروة أتاحت له أن يمتلك البيت الرئيسي في **مسقط رأسه (ستراتفورد أبون إيفون) في مقاطعة وركشير.**

استظل الممثلون بحماية البلاط، وببعض النبلاء المتذوقين للفن المسرحي، ولولا تلك الحماية لعجز الممثلون عن تقديم المسرحيات، ولاضطر شكسبير أن يتعاطى مهنة أخرى، ذلك أن الكثيرين من كبار طبقة التجار في حي رجال الأعمال بلندن، ورجال الدين اعتبروا المسرح وكراً تفسد فيه الأخلاق، مطلقين عليه تسمية **«مصنع الشيطان»**، مستهينين بمكانة الممثل، ولكن الطبقات الفقيرة، وبعض الأغنياء، أولعوا بالتردد على المسرح.

ولا يجب أن يذهب بنا الاعتقاد أن الشاعر اشتهر في عصره نظراً لذلك الصيت الهائل الذي اقترن باسمه فيما بعد، فقد طالما عبّر الناس عن دهشتهم من أن موته لم يثر مشاعر أمته، ولم يعقبه حداد عام أو جنازة رهيبة كما حدث لدى وفاة الروائي **شارلز ديكنز** بعد قرنين ونصف من وفاة الشاعر. وما السبب في ذلك سوى بطء المواصلات في عصر **الملكة أليصابات** الذي عاش فيه الشاعر، وهو بطء من العسير تفهمه اليوم. ففي زمن الشاعر كانت الأخبار تنقل بسرعة الخيول. وساد عصر شكسبير وحشة نكاد لا نفقه عنها شيئاً، ولكي نتفهم

عالم شكسبير

حياته ومسرحياته يجب أن نتخيل عالماً يختلف عن عالمنا اختلافاً عظيماً .

كانت المسافات حينذاك تسبب مشقة عظيمة ، وبقيت سرعة السفر كما هي لمدة ألفي سنة . فعندما ولد شارلز ديكنز عام ١٨١٢ م ، كان معدل سرعة السفر لا يزال كما كان زمن الإغريق والرومان القدماء .

إنجلترا المرحة .. والطاعون

ومن آفات ذلك العصر انتشار **الطاعون** الذي كان يفتك بالناس فتكاً ذريعاً . وأورد **توماس ديكر** ، معاصر شكسبير ، وصفاً للطاعون في لندن بتفصيل يبعث على الرعب . ورغم هذا فلقد أطلقت على عصر شكسبير تسمية « **إنكلترا المرحة** » . والواقع أن شكسبير نفسه رسم في مسرحياته متناقضات عصره بدقة . ففي ملاهيه عالم يعيش أحلام السعادة الحلوة ، على أنه في مآسيه يميط اللثام عن قسوة الناس وجرائم المجتمع . ولئن قيل إن ملاهيه يفترض أن تكون غالباً قد وقعت في بلاد أجنبية ، وفي عصور أقدم عهداً ، إلا أن التواريخ والأمكنة ليست ذات أهمية في هذا الصدد ، إذ إنه كتب عما شاهده وشعر به من مظاهر بيئته ، تبعث السرور في النفس أحياناً كما تبعث الاشمئزاز أحياناً أخرى .

كان الزمن زمن سلام بعد الحروب الأهلية التي كانت قد عصفت بالبلاد في القرن السابق . ولا مراء في أن الشاعر كان يؤيد بحماسة قيام ملكية ثابتة الدعائم ، قادرة على أن تستقطب عناصر الأمة من حولها . فهو يدعو باستمرار في مسرحياته التاريخية إلى توطيد أركان الاستقرار في ظل ملك حازم يفرض سيطرته على أسر النبلاء المتناحرة . فرسالته النهائية في إحدى مسرحياته الأولى ، وهي « **الملك جون** » تهيب بمواطنيه على الإخلاص لبلادهم ، فهو يقول :

« لن يؤدي أي شيء بنا إلى الأسف
ما دامت إنجلترا مخلصة لنفسها »

وهي رسالة ظل يتردد صداها حتى أواخر مسرحياته مثل مسرحية « **الملك هنري الثامن** » التي يتنبأ فيها بالسلام والأمان في عهد الملكة أليصابات ويشيد بفضائلها .

وكان في هذا كسب عظيم للأمة التي أحست مع مرور الأيام بقيمة الحكومة المركزية القوية التي تتمثل مظاهرها في شخصية الملكة المهيبة التي لم يصد ملاحوها **الأسطول الإسباني الجبار المعروف بالأرمادا** عام ١٥٨٨ م ، فحسب ، بل وأنقضّوا على ميناء قادس الإسباني مدمّرين أسطولا عظيماً آخر كان يتأهب لمهاجمة إنجلترا .

الرحلات .. والاكتشفات الجغرافية

وكان الملاحون روّاداً ومكتشفين أيضاً ، فبنما شكسبير لا يزال تلميذاً على مقاعد الدراسة طاف (**فرنسيس أريك**) حول العالم ، وكان بذلك أول إنجليزي يحقق هذا الإنجاز . وعندما نتصور اليوم حجم تلك السفن الصغيرة التي كانوا يجوبون بها الآفاق متجشمين المشاق العظيمة ، حاملين أرواحهم على أكفهم فإننا لنعجب بمنجزاتهم ومهارتهم البحرية .

ومن مميزات العصر كون الكثيرين من هؤلاء المغامرين من أمثال (**ولتر رالي**) رجال قلم أيضاً ، إذ كان الكلام الجميل يتدفق على ألسنة الشباب الذين تهيأوا لقول الشعر تهيؤهم لاستلال السيوف من أغمادها شوقاً للقتال . فكانت عقولهم محبة للاستطلاع ، توّاقة للمعرفة ، بقدر ما استشعرت نفوسهم حس الجمال وتذوقته .

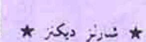
جلبت الرحلات البحرية التي قام بها المغامرون الأموال الطائلة للبلاد ، وانتشرت التجارة الإنجليزية في أوروبا وفي الشرق ، حول شواطئ البحر الأبيض المتوسط وما بعدها . ومن هناك جاءت البهارات التي أولع الناس بمزجها في طعامهم ، ومن هناك جاءت المواد الخام لصنع ملابسهم الفاخرة .

وابتنت الطبقات الغنية البيوت الفاخرة ، وشادت الكنائس العظيمة . ويشاهد الزائر لمدينة ستراتفورد بقايا **قلعة كنلورث** التي استضاف فيها **اللورد لستر** أحد أحظياء البلاط الملكة أليصابات عام ١٥٧٥ م ، بكل مظاهر الأبهة والحفاوة البالغة . ولا بد أن شكسبير الذي كان عندئذ ما زال حدثاً يافعاً قد سنحت له الفرصة لمشاهدة المسرحيات وسماع الموسيقى في هذه المناسبة .

مدينة لندن

واستروح معاصرو شكسبير من جمال الحدائق والمناظر الطبيعية ، فعمدوا إلى تشذيب الأشجار على أشكال جميلة ، تلتف من حولها الممرات والأسيجة ، وهو أمر يفسر ركون الشاعر في حبكته الروائية إلى إخفاء أشخاصه في هذه الممرات واستراقهم السمع فيها . وتباينت هندسة البناء بتباين المواد المتوفرة من حجر وخشب وقرميد . وسادت مظاهر البساطة



★ شارلز ديكنز ★ ★ والتر رالي ★

الأثاث حتى في البيوت الملكية . واكتست الجدران بالأقمشة المدهونة ، وأما الجدرانيات المزركشة ، والصور الموضوعة في أطر ، فقد كانت وقفاً على بيوت النبلاء ، ولم تتوفر السجاجيد إلا عند قلة من الأغنياء .

وظهرت ملامح الازدهار في عصر الملكة أليصابات في العاصمة الإنجليزية ، فقد **قدر عدد سكان لندن بمئة ألف شخص عندما اعتلت الملكة أليصابات العرش** ، وبمئتي ألف نسمة لدى وفاتها . وأقيمت في **وايتهول ، القصر الملكي الرئيسي** ، الحفلات التمثيلية بأمر ملكي .

وتجمعت المدينة قرب نهر التيمس غير ممتدة بعيداً إلى الداخل . **فما يعرف اليوم بجي بيكادللي في وسط لندن لم يكن سوى منطقة ريفية** . أما الطرق فقد كانت ضيقة ومكتظة بعربات المرور من مختلف الأنواع . ولكن رغم ما اكتنفها من ظروف بدائية إلا أنها كانت تستثير الإعجاب ، بفتنتها ، فلا غرابة أن تغنّى الشعراء بنهر التيمس الفضي ، وقد تدفق بالحياة بما يمر فيه من قوارب وسفن . كما شاعت الملابس الزاهية ، وإن كانت ثقيلة الوزن في معظمها . وفي كتابات الشاعر إشارات متعددة لأنواع الأقمشة السائدة في عصره .

افتقد الناس حينذاك إلى رياضات منظمة تشاهدها الجماهير كما هو الحال في الوقت الحاضر ، مع أن نوعاً من **الكريكت** كان يمارس منذ بعض الزمن .

ورغم أن شكسبير أشار إلى معرفته **بكرة القدم** . وكانت تعقد في الريف اجتماعات للسباق والرياضة . واستهوى الناس القنص وصيد الأسماك والسباحة ، بحيث غدت تسليات شائعة .

المسرح والتمثيل

وتوفرت في المدن الإقليمية فرص كثيرة أمام الجمهور لمشاهدة الممثلين المتجولين ، واستطاب للنبلاء تشكيل فرق تمثيلية خاصة بهم . وخلا المسرح من مظاهر البذخ والترف ، والمناظر المسرحية ومن ستار . وأعطيت أدوار النساء في هذا العصر في الغالب للأولاد ، وهذه عادة قديمة . فقد تضمن المنهج المدرسي في صلبه حينذاك أن يتعلم الأولاد التمثيل وأن يتدربوا عليه .

وتباينت طبقات النظارة من الملكة حتى العوام . وازداد الميل لمشاهدة المناظر المسرحية المتسمة بطابع العنف ، وقويت الرغبة في سماع البيان الجميل والشعر القوي ، واجتذبت الموسيقى الجمهور إلى حد أن صيت العازفين والمؤلفين الموسيقيين تجاوز حدود البلاد إلى خارجها . **ومن الطريف أن الأدوات الموسيقية كانت تقوم مقام المجلات اليوم لتسلية أولئك المنتظرين أدوارهم عند الحلاقين** .

المدرسة .. والدراسة

أما مواد المنهج المدرسي فكانت ضيقة النطاق رغم أن اليوم المدرسي كان طويلاً ، يبدأ في السادسة صباحاً صيفاً والسابعة صباحاً شتاء . وجنح النظام المدرسي إلى الشدة . وتدل الإشارات للمدارس الواردة في أعمال شكسبير الأدبية أنه لم يستمتع بأيامه المدرسية .

لقد كان تيار الحياة يجري بسرعة ، ولئن كنا اليوم نسمع الكثير عن الشباب ومعضلاته إلا أن معنى الشباب في ذلك الوقت لم يكن واضحاً تماماً ، فلقد كان من هم في سن المراهقة اليوم يعتبرون حينذاك رجالا ونساءً لنضوجهم في سن مبكرة ، واعتبرت سن الأربعين سن الشيخوخة .

علم الطب

أما علم الطب فتعاطاه بعض أصحاب الكفاءة من الرجال الذين درسوا في جامعات أوروبا ، وحصلوا على كل المعلومات المتوفرة آنذاك . لكنهم بالطبع افتقروا إلى الخبرة والعدة والعقاقير المتوفرة اليوم . فالسن المعطوبة كان يقتلعها الحلاق دون التمكن من حشوها أو استبدالها . وافترض في الشيخوخة أن تخلو من أسنان . وفي عهد لم يعرف مسكنات الألم كانت آلام المخاض عند الأمهات عظيمة ، كما ارتفعت نسبة الوفيات بين الأطفال .

لقد عَمُر عالم شكسبير بالنشاط والابتكار والعطاء ، إذ كان عالماً حراً للمجدين المكدين الذين يستثمرون عقولهم . فاستعذب رجال الفكر عرض نتاج قرائحهم بأسلوب مؤثر جذاب . ومن المستحيل على المرء مشاهدة مسرحيات تلك الفترة أو مطالعتها دون أن يدرك أن الجمهور كان يملك القدرة على نسيان مشاكله من خلال مرحه . ولقد مدح زوّار لندن بناياتها ونهرها ، واستعراضاتها الملونة ، مندهشين من أمة وثقت بنفسها ، وفطنت لقدراتها .



أضواء على النقوش

في مواطن متعددة من الجزيرة العربية نشأت مدنيات قديمة على أرض اليمن، وعلى جانبيْ صحراء النفوذ والدهناء، وعلى شواطئ الخليج العربي. ثم انقرضت تلك المدنيات وخلّفت وراءها آثاراً لعل من أهمها الكتابة المحفورة في الصخور، التي أطلق عليها العلماء اسم «النقوش العربية» و«عربي قديم».

«.. والتسمية الأخيرة اختارها (**ديتلف نيلسُن**) لسائر النقوش العربية التي سبقت ظهور الإسلام، وذلك بعد أن عثر (**أوتينج**) في شمال البلاد العربية على نقوش «**معينية**»، وقد سجل نيلسن هذه التسمية في بحثه الذي تقدم به للحصول على إجازة التدريس»[1].

وفي سياق كلام **الجاحظ** عن مسألة اهتمام العرب بالكتابة، قال:

«.. وكانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور، ونقشاً في الحجارة، وحلقة مركبة في البنيان، فربما كان الكتاب هو الناتئ، وربما كان الكتاب هو الحفر إذا كان تاريخاً لأمر جسيم، أو عهداً لأمر عظيم، أو موعظة يرتجى نفعها، أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره، كما كتبوا على قبة (**غمدان**) وعلى عمود (**مارب**) وعلى (**المشقر**) وعلى (**الأبلق الفرد**) وعلى باب (**الرُّهَا**) وعلى (**القيروان**) وعلى (**سمرقند**). يعمدون إلى الأماكن المشهورة والمواضع المذكورة فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور، وأمنعها من الدروس، وأجدر أن يراها من مرَّ بها، ولا تنسى على وجه الدهر»[2].

أما عن القلم الذي كتبت به النقوش العربية في عصور ما قبل الإسلام، فالغالب عليها القلم «**المسند**» والأقلام المشتقة منه.

والمسند كما يقول الزبيدي: «.. رأيت بالمسند مكتوباً (كذا) وهو خط بالحميري مخالف لخطنا هذا كانوا يكتبونه أيام مُلكهم فيما بينهم، قال أبو حاتم: هو في أيديهم إلى اليوم باليمن.

وفي حديث عبد الملك أن حجر أوجد عليه كتاب بالمسند، قال: هي كتابة قديمة، وقيل هو خط حِمْيَر..»[3].

وأورد ابن خلدون في مقدمته، قوله:

«.. وكان لحمير كتابة تسمّى المسند، حروفها منفصلة، وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بإذنهم..» ص (٣٣٢).

هذا، **ويجمع العلماء على أن القلم المسند هو أقدم الأقلام التي عرفت حتى الآن في الجزيرة العربية**، وتنقسم النقوش المدوّنة به والمشتقة منه إلى عربية جنوبية، وعربية شمالية. وتشمل النقوش الجنوبية عدة لهجات أهمها «**المعينية**» و«**السبئية**» و«**القتبانية**» و«**الحضرمية**» و«**الأوسانية**».. أيضاً تشمل النقوش الشمالية المشتقة من القلم المسند عدة لهجات أهمها «**الثمودية**» و«**الصفوية**» و«**اللحيانية**»، أما النقوش الشمالية التي هي أقرب لهجة إلى لغة القرآن الكريم فيعتقد أنها كتبت بقلم قريب من الخط النبطي المشتق من القلم الآرامي المتأخر.

وقد اصطلح العلماء على تصنيف تلك النقوش إلى ثلاث مجموعات، هي:

الخربشات

لُغَةً: لفظ (خربش) قال، الليث: خربش (الكتاب) خربشة (أفسده)، وكذلك خربشة العمل (إفساده)، ومنه يقال كتبت كتاباً مخربشاً أي فاسداً، وكذلك الخرمشة[4].

والخربشات كتابة رديئة ينقشها الرعاة ـ غالباً ـ والقليل منها على كثرتها يمكن الاستفادة منه في التعرف على أسماء الأفراد وأسماء آلهتهم التي يعتقدون بها.

القبوريات

هي الشاهد الذي يوضع على القبر منقوشاً عليه اسم صاحبه واسم قبيلته، وأسماء آلهته، وجملاً تتضمن تحذيره للأحياء من الناس أن لا يعبثوا بقبره وإلا حل بهم غضب الآلهة.

ومن بين القبوريات الشاهد الذي عُثر عليه بالقرب من بلدة «**القطيف**» **بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية** على قبر «**شبام بنت صَحَاز بن عنهل ابن صامت**»، وكان مكتوباً بالقلم المسند[5].

والشاهد الذي عثرت عليه بعثة **جامعة الملك**

العربية

إعداد:
حسن بن أحمد البهكلي

سعود بالرياض أثناء تنقيبها في « **الفاو** » ويختص بـ« **معاوية بن ربيعة** » **ملك قحطان ومذحج**[٦] .

وجدير بالملاحظة أن الفاو كانت فيما مضى تعرف باسم « قرية » وهي غير القرية الخضراء خضراء حجْر حاضرة « **طسم** » ، وهي أيضاً غير قرية **بني سدوس بن ذهل بن ثعلبة** والتي تعرف اليوم بـ« **سدوس** » وتقع شمال غربي **بلدة « العيينة »** ، وقد أتى « **الهمداني** » على ذكر هذه القرى في كتابه « **صفة جزيرة العرب** » صفحة ٢٨٤ و٢٨٥ و٢٩٧ : تحقيق **القاضي محمد علي الأكوع** ـ منشورات دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة : الرياض ـ .

وورد في تحقيق موجز نشرته **مجلة اليمامة** بالعدد (٧٢٢) للسنة (٣١) ٣ ـ ٩ محرم عام ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٢٠ ـ ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٨٢ م ، بعنوان « قرية الفاو . آثارهم تدل عليهم » ، أن :

« .. كتابات ونقوش تاريخ جنوب الجزيرة العربية تشير إلى قرية تسمى (**قرية ذات كهل**) ، وكهل هذا آثاره موجودة في « قرية » الفاو كتابة ورسماً على سفوح **جبل طويق** ، وعلى جدران سوقها ومنازل سكانها ومباخرهم ، و« قرية » هذه كانت عاصمة لدولة (**كندة**) ، وقد تعرضت لغزو ملوك سبأ وذي يزن » .

ويحدد لنا التحقيق موقع قرية الفاو ، بأنه :

« .. يبعد حوالي (١٠٠) كيل إلى الجنوب الغربي من **بلدة (السُليل)** و(١٥٠) كيلاً إلى الجنوب الشرقي من **بلدة (الخماسين)** **عاصمة وادي الدواسر** و(٢٨٠) كيلاً إلى الشمال الشرقي من **مدينة (نجران)** في المنطقة التي يتداخل فيها وادي الدواسر ويتقاطع مع جبال طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى بالفاو ، ومن هنا جاءت نسبتها حديثاً إلى الفاو تعريفاً بها وتمييزاً لها عن باقي القرى المجاورة . وتشرف « قرية الفاو » على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي ، وتبعد حوالي (٧٠٠) كيل إلى الجنوب الغربي عن مدينة الرياض » .

النقوش

وتأتي أهميتها في مقدمة مصادر التاريخ القديم للعرب ، وبواسطتها تمكن العلماء الذين ارتادوا الجزيرة العربية في فترات مختلفة ابتداءً من منتصف القرن الثامن عشر للميلاد ، من الحصول على معلومات قيّمة عن اللغة واللهجات والأقلام ، وعن المعتقدات والطقوس الدينية والآلهة ، وعن الحكومات والأسر الحاكمة ونوع الحكم ، وعن التشريع والإدارة ، وعن وسائل الري والزراعة ، وعن الهندسة المعمارية وبناء السدود ، وعن الفنون الشعبية وغير ذلك من المعلومات التي تنتظم حلقة في سلسلة التاريخ العربي لعصور ما قبل الإسلام .

وجدير بالذكر أن أكثر النقوش التي تم العثور عليها حتى الآن عربية جنوبية نورد منها على سبيل المثال لا الحصر :

● **النص القتباني** (Glaset. 1601/1602) الذي اشتمل على قواعد بموجبها تم جباية الضرائب ، وتحصيل الأموال المقررة للدولة .

● **النصين** (REP.EPIG. 4325 و 4337) تضمَّنا قواعد بموجبها يسمح للقتبانيين بمزاولة التجارة خارج الأراضي القتبانية ، وقواعد بموجبها تجيز حكومة « قتبان » للغرباء حق مزاولة التجارة في أسواق قتبان[٧] .

● **النص السبئي** (Glaset. 542) وكتب في عهد **الملك (شمريهرعش ٣١٦ ـ ٢٨٥ للميلاد)** وقد تضمن قواعد حددت بموجبها حكومة سبأ :

★ تنظيم البيوع بالمواشي والرقيق .

★ حق التاجر في أن يضيف إلى التكلفة الأصلية للسلعة . مصاريف وأجور النقل[٨] .

● **النص القتباني** (Glaset. 1606) للملك « **يدع أب ذبيان بن شهر** » في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد . قال عنه ، د . جواد علي :

« .. إن هذه الوثيقة على جانب كبير من الأهمية لأنها قانون من القوانين الجزائية المستعملة في مملكة قتبان ، بل هي في الواقع من الوثائق العالمية ، ترينا أصول التشريع وكيفية إصدار القوانين عند العرب قبل الميلاد . فيها روح التشريع وفلسفة التقنين »[٩] .

أما فيما يختص بأخبار الحروب فقد اخترنا من بين النقوش السبئية ، النصوص (574 و575 و Jamme. 590/5) وتعود للملك « **إل شرح ـ يحضب** » الذي اختلف الباحثون في تحديد فترة حكمه فعَدَّها بعضهم بين (١٢٥ ـ ١٠٥ ق . م) وعدَّها آخرون بين (٥٠ ـ

٣٠ ق . م) ، ويـرجع سبب اختيـارنا لتلك النصوص إلى كونها تضمنت خبراً يتعلق **بسياسة الرهائن** ، إذ هي بعد أن أتت على ذكر ما كان من خبر الحرب التي وقعت بين الملك السبئي وبين خصومه الأحباش وما كان من انتصاره عليهم ، أتت على ذكر الرهائن :

« .. ثم إنه عاد إلى مدينة **(هجرن صنعو** «**صنعاء**» وحين وصوله إليها جاءه رُسُل **(تنبلتم)** و **(جمدن)** ومعهم أطفالهم يريدون أن يضعوهم ودائع عنده تعبيراً عن طاعتهم لـه ، وإقراراً بخضوعهم لحكمه ، فحفظهم رهائن عنده »[١٠] .

مما تقدم يتبيّن أن سياسة الرهائن ليست كما قال الكاتب المعاصر الأستاذ « **رضا لاري** » في سياق الكلام عن الرهائن الأمريكان الذين احتجزتهم حكومة « إيران » . إن أول من ابتدع نظام الرهائن في الحياة السياسية **الإمام أحمد حميد الدين ـ إمام اليمن في العهد السابق**[١١] ـ . ذلك أن سياسة الرهائن التي طبقها في اليمن الإمام أحمد وغيره من أئمة وملوك اليمن ، ومارسها **الإمام محمد بن علي الإدريسي** أثناء حكمه للمخلاف السليماني ـ منطقة جازان حالياً ـ ، كانت معروفة قبل ذلك ـ كما أسلفنا ـ فقد كان **للنعمان بن المنذر** أحد ملوك الحيرة خمس كتائب من بينها **كتيبة « الرهائن »** وكانت خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب ، يقيمون على بابه سنة ثم يذهبون وتجيء خمسمائة أخرى ، وكان يغزو بهم ويوجههم في أموره[١٢] .

ومن بين نقوش **الملك شمريهرعش** نأتي على ذكر النقش (CIH. 407) ويتعلق بخبر الحرب التي قام بها في شمال غربي اليمن :

« .. وامتدت رقعتها حتى شملت « عكَمْ » و « دوأت » و « سَهَرْت » و « حَرت » و « صحر » ووادي « ضَمَدْ » و « صـبية » و « عـكوتن » وساحل [illegible] . وقدم للإله « المقه ثهون بعل أوام » تمثالين من الذهب وتمثالا من الفضة لأنه منّ عليه بالنصر في الحرب .. »[١٣] .

ويرجع سبب اختيارنا للنقش (407) إلى الشك في صحة اللفظ « دَوْأت » وسنأتي على بيان ذلك فيما بعد .

القبائل والمواقع في النقش

★ **عكَم** : المقصود به « عَك » القبيلة المشهورة في تهامة اليمن ـ حرف الميم للجمع في قواعد المسند ـ ومنازل عك الأودية « سَهَام » و « سُرْدُدْ » و « مَوْر » ـ صفحة ٢٥٨ : صفة جزيرة العرب . للهمداني .

أي أنها تمتد من جنوبي مدينة « زبيد » وحتى حدود وادي مور شمالا .

★ **دوات** : بالإضافة إلى النقش 407 ورد ذكرها في نقشين أحدهما برقم (Jamme. 649) للملك نفسه والثاني برقم (Jamme. 616) للملك « نشاكرب » ، نفهم منها أنه بسبب امتناع دوات عن دفع الضرائب تم تجهيز حملة عسكرية لتأديبهم ، وأن منازلهم تقع في أسفل وادي « خُلُبْ »[١٤] . وبالرجوع إلى « صفة جزيرة العرب » **للهمداني** ، والمعجم الجغرافي : **للعقيلي** ، لم أجد فيها كتباه عن بلد « حكم ـ المخلاف السليماني » ذكراً لدوات .

ولما كنت قد أمضيت نحواً من شهرين مقيماً في بلدة « **سامطة** » ومتنقلاً بين قراها وكان هذا سنة ١٣٧٢ هـ ، فإنني ما زلت أذكر أن ثمة جماعات يطلق عليهم « **بنو أمدوح** » ـ أم أداة تعريف ـ . ولدى الاستعانة بالمعاجم اللغوية تبيّن لي أن لفظ « دوأت » يأتي قريباً من لفظ « دوحة » والأخير يطلق على الشجرة العظيمة ذات الفروع الممتدة من أي الشجر كانت . جمعها : دوح . وأدواح جمع الجمع (صفحة ١٣٧، جـ٢ : تاج العروس . الزبيدي) .

أيضاً وجه الشبه بين « دوات » و « دوحة » يلتقي في رسم اللفظ بالقلم المسند . هكذا :

د و ح ت   د و أ ت

والذي يبدو لي أن ورود حرف الألف في الترجمة العربية قد حصل خطأ عند ترجمة اللفظ من القلم المسند إلى الإنجليزية أو العربية ، وإما أن تكون حروف النقش غير واضحة بسبب عوامل التعرية الزمنية ، لذا كان عليّ أن أستعين **بالكاتب الأخ الأستاذ علي العمير** بوصفه أحد أبناء « سامطة » وعملاً بالمثل السائر : أهل مكة أدرى بشعابها . وقد تكرم مشكوراً فأوضح بأن (بنو أمدوح) عرفوا بهذا الاسم بسبب أن بلادهم كانت فيما مضى كثيفة الشجر ، وأن منازلهم في الوقت الحاضر موزعة بين قرى « أمْحنيني » و « أمدُريعيَة » و « أمسْعَدْية » جنوب غربي سامطة .

وهكذا لم يعد ـ من وجهة نظري ـ ثم مجالا للشك في أن اللفظ « دوات » جاء محرفاً وأن حقيقته « دوحت » القبيلة التي نطلق اليوم على أحفادهم : بنو أمدوح . والله أعلم .

★ **سهَرت** : المقصود به « سَحَرْت » : قبيلة . قال ، عُمَارة : « هم بطن من الحبشة منهم **مفلح الفاتكي** أحد قادة دولة آل نجاح[١٥] : وأورد **الحسن بن أحمد الحيمي** ، قوله :

« .. وكان سفرنا حتى خروجنا من بلاد [أنْدرته] ـ بالحبشة ـ ثلاث مراحل ، ثم وصلنا إلى بلاد « السَّحَرْت » وتلقَّانا أمير تلك البلاد .. »[١٦] .

على أساس ما تقدم يمكن القول إن عشائر من سَحَرْت قد نزحت من أرض الحبشة إلى أرض اليمن ونزل بعضهم **وادي سِهَام ووادي مَوْر** وهم الذين حاربهم الملك « إلشرح ـ يحضب »[١٧] . في حين نزل بعضهم ساحل بلد « حكم ـ المخلاف السليماني » وهؤلاء ورد ذكرهم في النقشين 407و 649 وهم الذين حاربهم الملك شمريهرعش ، وقد أتى النقش الأخير على ذكر منازلهم وأنها تقع غربي أراضي « دوحة » : [illegible] **وادي «لية»** وهو غير وادي لية الذي يقع جنوب مدينة الطائف[١٨] .

★ **حرت** : المقصود به قبيلة « الحُرُث » ـ بالثاء ـ وتقع على الحدود الجنوبية الشرقية

للمملكة العربية السعودية مع اليمن الشمالي، ومركزها الإداري بلدة «الخوبه»[19].

★ **صَحَرْ**: المقصود به قبيلة «صَحَار» ويقع قسم منها داخل الأراضي السعودية جنوبي بلدة «**العارضة**» وقسم داخل اليمن الشمالي (صفحة ١٦٧ : المصدر نفسه).

★ **ضَمَدْ**: أتى على ذكره «الهمداني»، قال: «.. ثم الهَجَرْ: قرية ضمد (صفحة ٧٦)، ووادي ضمد (صفحة ١٢٦ : صفة جزيرة العرب. تحقيق الأكوع.

ضمد: واد متسع مخصب كثير القرى والعمران قريب من جازان ونسب إليه جماعة من أهل العلم (صفحة ٤٠٦، جـ٢ : تاج العروس).

والضَّمْد: بفتح فسكون (الرطب واليَبْس) من الشجر.

ضَمَدْ: واد عظيم فيه قرى كثيرة آهلة بالسكان، ونُسب إلى «ضمد بن يزيد بن الحارث بن علة بن جَلَدْ بن مذحج.. كما خرج منه حملة أقلام ورواة أخبار ورافعو أعلام - حاشية صفحة ٧٦ : صفة جزيرة العرب -.

ضَمَدْ، وصُدًا: «قبيلتان من مذحج. وضمد بلدة تسمى باسم وادي ضمد: أما قرية ضمد الحالية فالمشهور أنه أول ما أُعتُمر في زمن القاضي محمد بن علي بن عمر الضمدي - من أعلام القرن العاشر الهجري -، وبلدة ضمد القديمة كانت بموضع قرية «مختارة» - صفحة ١٤٦ و١٤٧ : المعجم الجغرافي: العقيلي -.

★ **عكْوتَن**: هما: العكوتان، تثنية عكوة - بالضم - جبلان منيعان شرقي صبيا (صفحة ١٦٥ : المصدر نفسه).

أما الحصن الذي توجد أطلاله على الجبل الجنوبي - عكوة اليمانية - فقد أشار «عُمَارة» في سياق روايته لخبر الحرب التي نشبت بين الملك «**علي بن محمد الصليحي**» (٤٥٩ - ٤٣٨ هـ) وبين صاحب المخلاف السليماني، قال: إن الحصن يخص جدي «أحمد بن محمد» وفيه أجار ألف رجل من السودان من فلول جيش «ابن طرف» (صفحة ١٢٤ : تاريخ اليمن: عمارة. تحقيق الأكوع).

★ **صبية**: المقصود به «صبيا» - بألف في آخره - ويطلق الاسم بوجه عام على وادي صبيا (صفحة ١٢٦ : صفة، الهمداني). أيضاً صبيا المدينة المعروفة اليوم بصبيا القديمة تميزاً لها عن صبيا الجديدة التي تقع في الجهة الشرقية منها، وقد أشار «العقيلي» في: المعجم الجغرافي (صفحة ١٤٢) أن أول من اختطها كان **الأمير دريب بن مهاوش الخواجي**، سنة ٩٥٨هـ.

★ **عسير**: أتى «الهمداني» على ذكر أوديته وشعابه ومدنه وقراه (صفحة ٢٥٥ و٢٥٦ : صفة) وعاصمته حالياً مدينة «**أبها**» أما الموضع الذي على أرضه التقى جيش الملك شمريهرعش بقبائل من عسير فقد تعذر علينا معرفته بسبب أن النص لم يتطرق إلى ذكر معالمه ولا إلى أسماء القبائل. وإلى هنا نكون قد أتينا على ذكر البلدان والقبائل والأودية التي اشتمل عليها النقش.

* * *

بعد هذا أنتقل بالقارئ إلى الحديث عن نقوش «ماسل جمح» التي سبق أنني زرت موقعها وشاهدتها على الطبيعة عله يجد بين السطور بعض ما ينشده.

ماسل جمح

أتى على ذكره «الهمداني» في سياق الكلام عن صفة العروض من جزيرة العرب، قال: «.. وماسل جمح: لبني ضنَّة من بني غير (صفحة ٣١١ : صفة جزيرة العرب).

وكان «**فيلبي**» في سنة (١٩٥٠م)، قد عثر عند مدخل وادي ماسل جمح على نقوش بالقلم المسند وسمها بين مجموعته بالأرقام (philby. 227 و 228 و 229 و 230 و 231). ويذكر فيلبي أن أول شيء استرعى انتباهه النقشين الرئيسيين 227 و 228 فقد كانت حروفها متلاصقة جداً كما وأن تساقط الأمطار وتقلبات الطقس أحدثا تشققاً في الصخور التي كتب عليها النقشين.

أما فيما يختص بالنصوص التي اشتملت عليها تلك النقوش فيمكن تلخيصها فيما يلي:

● النقش 227 : يعود للملك (أب كرب سعد) - أسعد الكامل - وولده (حسان يهأمن)، ويتضمن أنهما شيَّدا حصناً في ماسل جمح «.. ليكون معقلاً تقيم فيه قوات سبئية لحماية الطريق من هجوم القبائل وتعرضها للقوافل التي تسلك الوادي محملة بالبضائع بين اليمن ونجد..» (صفحة ٥٧٣، جـ٢ : المفصل).

● النقش 228 : قال عنه فيلبي:

«إن النقش يرجع إلى عام (٦٣١ من الحقبة السبئية = ٥١٦ب.م) وأنه سُجِّل من قبل ملك غير معروف حتى الآن - باللقب الملكي الكامل - يدعى «**معد يكرب - يعفر**» الذي يجب أن يكون الخلف المباشر للملك المدعو «**ذونواس**» من أنساب نجران الذين انتهى حكمهم سنة (٥٢٥ب.م) حين تغلب الأحباش على «سبأ».

وهنالك شخص يحمل نفس الاسم منقوشاً على مخطوطة لنائب ملك الحبشة (**أبرهة**) في «**مارب**» مؤرخه (٥٤٣ب.م) ولكنه من غير المحتمل أن يشير الاسمان إلى شخص واحد. ولكن من المحتمل أن يعرف الشخص الثاني حامل الاسم نفسه، ويشخَّص بأنه (**معد يكرب بن سميفع أشوع**) الذي كان قد عين ملكاً من قبل الأحباش بعد هزيمة ذي نواس سنة (٥٢٥) بينما يحتمل أن يكون (معد يكرب - يعفر) الأول هو الشخص ذاته الذي يحمل اسم (معد يكرب - ينعم) الذي يظهر في قائمتي والذي كان يحكم في فترة بين (٥١٠ - ٥٩٠ب.م)، وفي هذه الحالة يجب أن يمتد ملكه إلى سنة (٥١٦) على أقل تقدير.

إن اللقبين يتشابهان في النقوش السبئية وهذا يمكن أن يؤدي إلى نتيجة هي أن «ينعم» قد يكون قُرئ خطأ (يعفر) لا بالعكس لأن القراءة والتسجيل في هذه المخطوطة مؤكدان، وأن الاحتمال الوحيد يمكن أن يكون على افتراض أن (معد يكرب - يعفر) كان اسم (ذي نواس) الحقيقي،

الذي يظهر بأنه عُرف بأسماء مختلفة عديدة : مسروق ، زرعة ، ويوسف مثلاً) .

● النقش 229 : أقل أهمية ، يحتوي على ست عشرة كلمة من بينها اسم (أب كرب سعد) .

● النقش 230 : غير مقروء ويحتوي على سطرين أو ربما كان ثلاثة أسطر ليس فيها من الأحرف التي يمكن قراءتها سوى اسم (سام . يافع) .

● النقش 231 : يحتوي على أسماء (ياريم رهو ـ سخيم) و (يرحب رهو ـ سو (خم ؟) وهي التي تشكل فقرات (ب philby. 231) التي جاء بها أيضاً أسماء (خولي) و (سعد) (صحيفة الرياض : العدد الأول : السنة الأولى ، ١ : محرم سنة ١٣٨٥ هـ ، الموافق أيار (مايو) ١٩٦٥ م) ، انتهى .

* * *

في الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٨٦ هـ ، قمت بزيارة لـ « ماسل جمح » وكانت المسافة بين مدينة « الرياض » ـ مقر إقامتي آنذاك ـ وبين بلدة « **الدوادمي** » (٢٣٥ كيلاً) عبر طريق (الرياض ـ الطائف) . وفي بلدة الدوادمي استبدلنا السيارة الصغيرة بسيارة (وانيت ـ فورد) ، وبسبب تعرج الطريق بين الدوادمي وبين ماسل جمح لأنه لم يكن بعد قد تم تمهيده وتعبيده فقد كانت المسافة التي قطعناها حتى قرية « عروى » (٥٥ كيلاً) ، وعند وصولنا عروى اتجهنا إلى بيت أمير القرية للسلام عليه وللحديث معه عن رغبتنا في مشاهدة النقوش وتصويرها ، وبعد أن تناولنا القهوة العربية والشاي أمر أحد رجاله بمرافقتنا إلى مدخل وادي ماسل جمح حيث شاهدنا النقوش التي كان فيلبي قد عثر عليها . وكانت كتابة حروف النقشين الرئيسيين كما وصف : (الشكل أدناه) .

أيضاً قمت بتصوير نقش يحتوي على كلمات تبيَّن لي بعد قراءتها أنه النقش الذي وسمه فيلبي برقم (231) (الشكل أدناه) .

هذا وقد كانت الحروف المقروءة من النقش : هي :

ي ر م (فاصلة) ذ سُ

خ ي م

ج م ر ن

خ و ل ي

س ع د ي ط آ ع

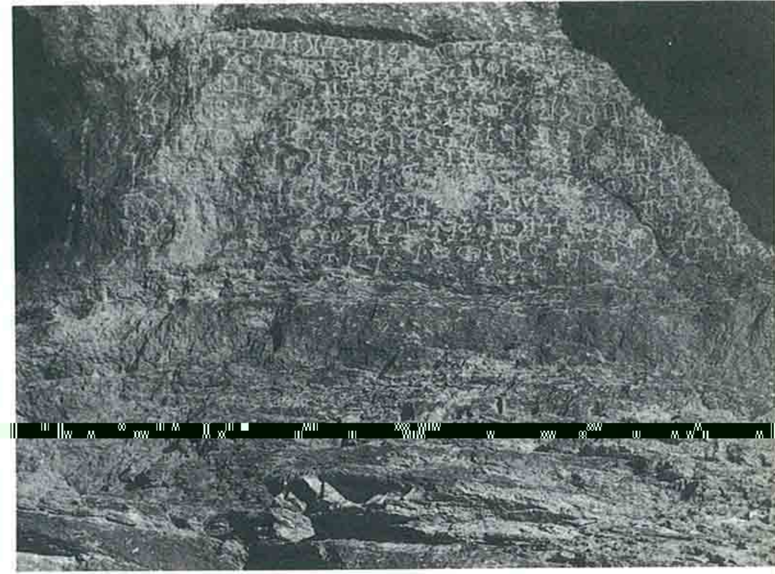
★ « حرف الألف غير مقروء في النقش وقد وضعناه اجتهاداً . وللعلم فإنهم يسقطونه متى ورد في وسط الكلمة » ★

ذ م ط ر ح

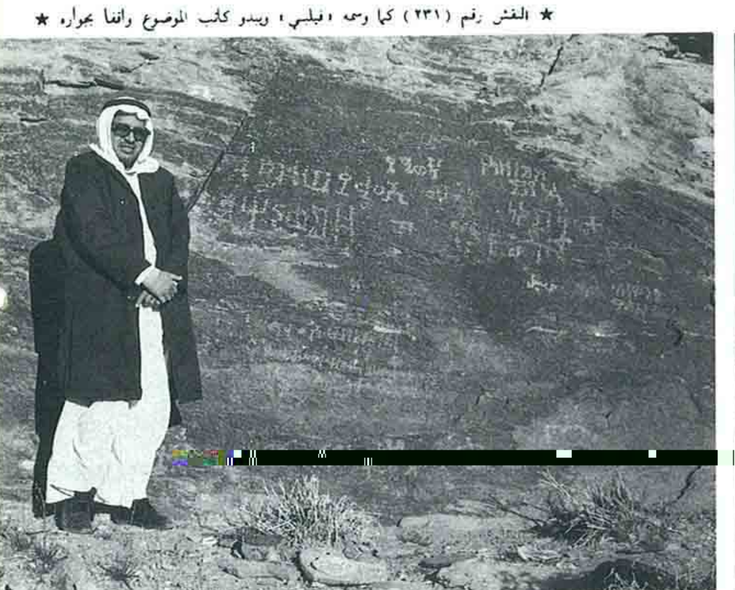
قبل أن نتكلم عن معنى النص ، جدير بالملاحظة أن ننبه إلى قول « الهمداني » إن كتبة حِمْيَر يكتبون بحذف الألف إذا وقعت في وسط الحروف ، وقفاهم المسلمون في كتابة المصاحف فطرحوا ألف « الرحمٰن » وألف « الإنسٰن » [٢٠] .

وقياساً على ما تقدم فإن لفظ « يرم » في أول النص نقرأه « يارم » : اسم .. وحرف « H : ذ » في العربية الجنوبية ، ترد بمعنى (صاحب) : للتمليك ، وصاحب الشيء . وأيضاً تأتي بمعنى « من » للتبعيض كقولك : من قبيلة (كذا) ،

★ أحد النقوش المكتشفة في مدخل وادي ماسل جمح ★



★ النقش رقم (٢٣١) كما وسمه « فيلبي » ويبدو كاتب الموضوع واقفاً بجواره ★



وبمعنى (رب) للتمليك وليس للعبودية كقول عبد المطلب: أنا رب إبلي وللبيت رب يحميه. يليه لفظ «سُخيم»: قبيلة يمنية[21].. يلي ذلك لفظ (جرن): المقصود به (جَمَرَ)، قال الأصمعي: «وتجمرت القبائل إذا تجمعت: وجَمَّرَ الأمير الجيش إذا أطال حبسهم بالثغر ولم يأذن لهم في القفل إلى أهاليهم وهو التجمير..».

وروى الربيع، أن الشافعي أنشده:

وجمرتنا تجمير كسرى جنوده
ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا

وفي حديث عمر رضي الله عنه: لا تجمروا الجيش فتفتنوهم، قالوا: تجمير الجيش جمعهم في الثغور وحبسهم عن العودة إلى أهليهم[22].. يليه لفظ «خولي». جاء في مادة (خول): والخال (لواء الجيش). وهؤلاء خول فلان: إذا قهرهم (صفحة ٣١١ و٣١٣، جـ٧: المصدر نفسه).

وقال الفراء، في قولهم: القوم خول فلان، معناه أتباعه. وقال: خول الرجل (الذين يملك أمرهم). وخولك الله مالا: أي ملكك.

الخَوَل: حشم الرجل وأتباعه، ويقع على العبد والأمة، وهو مأخوذ من التخويل والتمليك، وقيل من الرعاية[23].

يلي ذلك لفظ «سعد»: اسم الملك «أب كرب سعد» ـ سعد الكامل ـ.

بعده، لفظ: «ي ط ا ع ـ يطاع» ومعناه في العربية الجنوبية «قَيْل»: ملك. والقيل، والأقيال: الملوك التابعة من حمْيَر.

يليه لفظ «ذ: مطرح» ومعناه (صاحب المطرح)، و(رب المطرح): والمطرح «البناء رفعه وأعلاه.. (صفحة ٥٢٩، جـ٢: المصدر نفسه).

ويبدو أن المقصود بالمطرح: الحصن الذي شيده الملك (اب كرب سعد) وولده (حسان).

خلاصة القول، إن النص يقرأ، هكذا:

«يا ريم صاحب سُخيم ـ أو من سُخيم ـ جَمَّرَ خول سعد الملك رب المطرح».

ومعناه أن يارماً الذي ينتمي إلى قبيلة سخيم (أو الذي يرأس قوة من قبيلة سخيم)، والذي نعتقد بأنه أحد القادة في جيش الملك (سعد)، قد أصدر أمراً يقضي بأن ترابط قوة من أتباع الملك سعد في «ماسل جمح».

هذا وقد سبق الإشارة إلى أن الغرض من تشييد الحصن في ماسل جمح هو لتقيم فيه قوات سبئية منوط بها أمر حماية الطريق من هجوم القبائل وتعرضها للقوافل التي تسلك الوادي محمّلة بالبضائع بين اليمن ونجد.

كيف نستفيد من النقوش

على أية حال علينا أن لا ننظر إلى النقوش العربية كمصدر تاريخي فحسب، بَلْ يتعين أن نستفيد منها في:

● وضع معجم لغوي وتصنيفه إلى أبواب مثل: أسماء القبائل، أسماء الأفراد، الكواكب والنجوم، الإنسان، الحيوان، النبات، الجماد، الألفاظ ذات العلاقة بالمعبودات والمعتقدات والتشريع والإدارة، الزراعة، السنين والشهور والأيام، فصول السنة، المواسم، التجارة، العمارة، التعدين، الملاحة، الفنون، الأدوات التي يستخدمها الإنسان في حياته اليومية وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكره. مع بيان الأقلام التي كتبت بها تلك النصوص، وبيان القواعد والإعراب، ورد تلك الألفاظ إلى جذرها، وبيان الألفاظ الدخيلة، وبيان الأرقام الحسابية وطريقة استخدامها.. إلخ.

● وضع معجم جغرافي بالبلدان والأودية والجبال والمواضع التي اشتملت عليها تلك النقوش، وبيان مواطن الآثار والمسافات ونوع الخدمات التي يحصل عليها السياح في الوقت الحاضر متى كان ذلك ممكناً.

● توجيه نفر من الشباب الجامعي بحيث تكون أطروحاتهم موضوعها أحد عناصر الثقافة العربية القديمة، مثل: نوع الحكم، التشريع، الإدارة، وسائل الري والزراعة، التجارة، طرق القوافل والمحطات التجارية، الملاحة والموانئ، الصناعة والتعدين، الأشغال اليدوية، الفنون، العادات والتقاليد، مدى تأثر العرب بغيرهم ومدى تأثيرهم في غيرهم من الشعوب؟.

الهوامش

(١) التاريخ العربي القديم، هومل ونيلسن، ترجمة واستكمال د. فؤاد حسنين علي، ص (٥١ و٥٢).

(٢) كتاب الحيوان: للجاحظ، ص (٥١)، ط٢، الناشر دار صادر، بيروت.

(٣) تاج العروس، للزبيدي، ص (٣٨٢) ج٢.

(٤) المصدر السابق، ج٤، ص (٣٠٤).

(٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي، ج٨، ص (٢٠٦).

(٦) ندوة بالتلفاز السعودي مساء يوم الاثنين ١ ربيع الأول سنة ١٣٩٩ هـ، بعنوان (سوق الفاو.. والتل الكبير، د. عبد الرحمن الأنصاري.

(٧) د. جواد علي، المصدر السابق، ص (١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠) ج٢، ص (٢٣١) ج٧.

(٨) نفس المصدر، ص (٥٤٠، ٥٤١).

(٩) نفس المصدر، ج٢، ص (١٩٢)، وج٥، ص (٢٤١، ٢٤٢).

(١٠) نفس المصدر، ج٢، ص (٤٢٦، ٤٢٧).

(١١) مجلة «اقرأ» العدد (٣٠٧) تاريخ ٢٣ ربيع الأول ١٤٠١هـ، جدة.

(١٢) جمهرة الأمثال: للعسكري، ج١، ص (٢٥٣).

(١٣) د. جواد علي، المصدر السابق، ج٢، ص (٥٤١، ٥٤٢).

(١٤) نفس المصدر، ج٢، ص (٤٦٢).

(١٥) تاريخ اليمن، عُمارة الحكمي اليمني، تحقيق القاضي الأكوع، ص (٢١٥).

(١٦) سيرة الحبشة، تحقيق د. مراد كامل، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، ص (٩٥).

(١٧) المصدر السابق، د. جواد علي، ج٢، ص (٤٢٦).

(١٨) د. جواد علي، المصدر السابق، ج٢، ص (٥٤١، ٥٤٢)، الهمداني، صفة جزيرة العرب ص (١٢٥).

(١٩) المعجم الجغرافي، محمد أحمد العقيلي، ج١، ص (٩٩، ١٦٧).

(٢٠) الإكليل، الهمداني، تحقيق محب الدين الخطيب، ج١٠، ص (١٦).

(٢١) نفس المصدر، تحقيق الأكوع، ج٢، ص (٣٨٣).

(٢٢) تاج العروس، ج٣، ص (٣٠٨)، طبع دار الحياة، بيروت.

(٢٣) لسان العرب، لابن منظور، ج١١، ص (٢٢٥)، طبع دار صادر، بيروت عام ١٣٨٨هـ.



نبع من الرضى.. إلى أمي رعاها الله..

شعر: عبد الرحمن صالح العشماوي

رأيت بعينيك المحبَّة والعطفا
وشاهدت ـ يا أمَّاه ـ في وجهك اللُّطفا

حنان، وإشفاق عليَّ، ولوعة
لبعدي، فما أغلى الشعور، وما أوفى

تحسِّين بالآلام حين أحسُّها
وتشفَيْن من آثارها عندما أشفى

يؤنِّبني فيك الضمير لأنَّه
يرى: أن شعري فيك لم يبلغ الوصفا

وذلك حق، لو وقفت قصائدي
وكل كتاباتي عليك لما وفَّى

حديث شعور، ظل يستعجل الخُطى
فأخَّره سيرُ الخُطى، فامتطى الحرفا

وجاء نشيداً، فيه فيض مشاعر
هي الصَّفْوُ ـ يا أمَّاه ـ أو أنَّها أصفى

فؤادك ـ يا أمَّاه ـ نبع من الرضى
سقيت به نفسي، وباركتُه ألْفا

رعاك إلهي، تبذلين سخيَّة
ولم تطلبي أجراً، ولم تقصدي زلْفَى

أرى تحت رجليك الجنان وقد غدا الـ...
ـتراب بها في ناظري، ذهباً صرفا

إذا كان موج العمر يُضمر لي أذىً
فعيناك ـ يرعاها الله ـ ليَ المَرْفا

بقلم :
كارول ويلسون
عرض وتلخيص :
عدنان عضيمة





تحتل « مسألة الطاقة » مكانة بارزة من اهتمامات الدول الصناعية المتقدمة . إذ تتميز هذه المسألة من وجهة النظر الاقتصادية بحساسيتها البالغة من حيث ارتباطها بالنمو . والتطور . وبمشاكل البطالة . والتضخم . والقلق على المستقبل الاقتصادي بشكل عام . ولم تعد مسألة الطاقة تنحصر بجانب توفر مصادرها . بل تعدت ذلك إلى النتائج المترتبة على استغلال هذه المصادر . كالتأثير في البيئة . وأمن استخدامها . ومدى إمكانية الاعتماد عليها على المدى البعيد . أو مدى امكانية الانتقال التكنولوجي السريع من استغلال أحد مصادرها إلى استغلال المصادر الأخرى .

ولقد أدت مجموعة الظروف التي طرأت خلال العقد الماضي على السوق الدولي للبترول والغاز ، من حيث ارتفاع الأسعار وتقنين الإنتاج إلى بروز ظاهرة : « حمّى البحث عن بدائل الطاقة » في الدول الصناعية الكبرى ، إذ لجأت هذه الدول لتخصيص ميزانيات ضخمة للأبحاث العلمية والاقتصادية التي تهدف منها في النهاية إلى تخفيض اعتمادها على البترول والغاز الذي تستورده من دول « **الأوبيك** » ، أو حتى إلى إلغاء استيرادها له تماماً .

وهذا الكتاب « **الفحم ... جسر إلى المستقبل** » يكتسب أهمية خاصة في هذا الصدد ، فهو يمثل أول دراسة شاملة علمية واقتصادية **للفحم الحجري** كأهم بديل مستقبلي للبترول والغاز ، وكحل لمشكلة

تزايد الحاجة إلى الطاقة في خلال ما تبقّى من القرن العشرين .

وتشتمل مواد الكتاب على مجموعة التقارير التي أفرزتها أبحاث مفصلة قامت بها « **الهيئة العالمية لدراسة الفحم** World Coal Study » ، والتي شاركت فيها (١٦) دولة[1] من أكثر دول العالم إنتاجاً واستهلاكاً للفحم الحجري . وقد مثَّل هذه الدول في الهيئة (٨٠) عالماً من المتخصصين في مسائل الطاقة والبيئة والاقتصاد ، وقام بجمع هذه التقارير وتبويبها « **كارول ويلسون** CARROL WILSON » الذي تبوَّأ عدة مناصب علمية حسَّاسة في الولايات المتحدة ، حيث شغل منصب « **المدير العام لوكالة الطاقة الذرية** » عام ١٩٤٧ م ، ومنذ عام ١٩٦٠ م ، ترأس عدة فرق علمية عهد إليها القيام بدراسات مختلفة أهمها « **الدراسات المتعلقة بمسألة البيئة** » ، ومسائل الطاقة ، ودوَّن دراساته في عدة مؤلَّفات صدر أغلبها في السبعينات . واليوم يشغل منصب **أستاذ محاضر في قضايا « التكنولوجيا المعاصرة » في مدرسة الهندسة التابعة لمعهد « ماساشوستس MASSACHUSETTS » التكنولوجي ، إلى جانب مهمته كمدير للهيئة الدولية لدراسات الفحم** .

ويقع الكتاب في (٢٤٧) صفحة ، وهو مقسَّم إلى جزءين . عنوان **الجزء الأول : « الحاجة إلى الفحم »** وهو عبارة عن خلاصة تقارير الهيئة الدولية لدراسة الفحم ، ويتضمَّن النتائج الأساسية للدراسة . **والجزء الثاني : تحت عنوان « بناء الجسر »** ، وهو عرض مفصَّل للدراسات العلمية والاقتصادية التي قامت بها الهيئة . ويشتمل الجزء الثاني على ثمانية فصول تتعلق بمسائل **التنبؤ بمستقبل الطاقة ، وتحليل للتوقعات الفحمية في العالم ، ثم تحليل للسوق العالمي للفحم ، وتأثير استخدام الفحم على البيئة والصحة وأمن استخدامه** . ثم بحث حول مصادر الفحم ومكامنه وإنتاجه ، وتطوير أساليب الإنتاج والنقل ، وتجهيز موانئ التصدير والاستيراد ، وكذا تقنيات استخدام الفحم ورؤوس الأموال الواجب توظيفها في مجال الإنتاج والاستغلال . وأخيراً الخاتمة التي تتضمن ملخص المشاريع المتعلقة بالفحم في دول الهيئة .

نظرة متشائمة

يعتبر كارول ويلسون من مؤيدي فكرة الاعتماد على الفحم الحجري كبديل لمصادر الطاقة المختلفة الأخرى ويبرر موقفه هذا بعدة أسباب أكدتها الدراسة جعلت « من غير الحكمة » الاعتماد على بترول دول « الأوبيك » لتغطية حاجة الاستهلاك في الدول الصناعية ويقول ويلسون :

« **لقد سبق لي أن توقعت في أحد تقاريري التي نشرت عام ١٩٧٧ م ، تحت عنوان ـ التنبؤات الكونية GLOBAL prospecs ـ أن العالم سيواجه مشاكل اقتصادية حادة نتيجة تحديد الكميات المصدرة من بترول دول الأوبيك في الثمانينات ، ولقد وصف تقريري هذا بالتشاؤم المفرط حينذاك ، أما اليوم فإننا نجد أنفسنا في هذا الوضع فعلاً . . . !** » .

كما سجل تزايد في استهلاك البترول والغاز الطبيعي خلال سنوات معدودة وصل إلى الضعف . ولقد تم تعويض ثلثي هذه الزيادة في دول **مجموعة التنمية والتعاون الاقتصادي** « O.E.C.D. » بالبترول ، أما في دول أوروبا الغربية واليابان فلم يغط البترول سوى ٨٠٪ من هذه الزيادة ، وفي الدول النامية تمت تغطية الزيادة بأجمعها بالبترول ، وإذا ما استمرت معدلات تزايد الطلب على البترول على نفس الوتيرة فسيكون من غير المتوقع أن تتمكن الدول المصدرة من تلبية حاجة السوق الدولي .

ويبلغ حجم التعامل التجاري الدولي بالبترول (٣٥) مليون برميل يومياً ، أي ما يعادل ٥٥٪ من مجمل الاستهلاك العالمي ، وتبلغ حصة تصدير دول الأوبيك من هذه الكمية ٨٠٪ يأتي أغلبها من منطقة « الخليج العربي » . ويضيف ويلسون :

« لا يوجد حتى الآن ما يضمن نوعاً من الارتباط بين زيادة الطلب وزيادة الإنتاج ، كما أن الظروف التي أفرزتها الأحداث السياسية في **إيران** جعلت من مسألة استمرار تدفق النفط إلى مواقع الاستهلاك أمراً مشكوكاً فيه ، يضاف إلى هذا **مشكلة الشرق الأوسط** التي تلعب دورها في هذا الشأن والتي لا يبدو أنها قد تُحلُّ في المستقبل القريب . ثم إن قرار الدول الأساسية المصدرة للبترول في دول الأوبيك **كالمملكة العربية السعودية والكويت** « بتقنين الإنتاج ضماناً لمستقبلها ، ونظراً لكون العائدات الحالية لبترولها وفق مستويات الإنتاج والأسعار الحالية تفوق مقدار الاستثمارات التي يمكن توظيفها لبناء اقتصادها الوطني ، جعل من مجموع إنتاج دول الأوبيك يبقى ثابتاً في مستوى ٣٠ مليون برميل يومياً » .

ثم يتطرق « ويلسون » إلى قضية **الغاز الطبيعي** فيقول : إن الاحتياطي الدولي للغاز يماثل احتياطي البترول إلا أن استعمالاته أقل

بكثير، نظراً لتكاليف الاستهلاك العالية من حيث احتياجه إلى معالجة خاصة «**كالتسييل** Liquidification» وضرورة نقله عبر الأنابيب، وللمطالب المتزايدة للدول المنتجة له من حيث ربط أسعاره بعجلة «**المعادل البترولي** Oil Equivalent». لذا لا يتوقع أن يشهد الطلب على الغاز تطوراً كبيراً خلال الفترة القادمة.

وبشأن مصادر الطاقة الأخرى تُبيِّن الدراسة أن **الطاقة النووية سجلت تراجعاً من حيث أهميتها وإمكانية تعميمها بنسبة ٦٠٪ في العشرية الماضية، كما خفضت مشاريع إنتاجها بنسبة أعلى من هذه للفترة التي تمتد حتى نهاية القرن العشرين**. ويعود هذا لاعتبارات سياسية واقتصادية، ومع هذا فلا زالت الطاقة النووية تلعب دوراً هاماً في إنتاج الطاقة الكهربائية في بعض الدول الصناعية كالولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية، وفي بعض الأحوال تمثل ٣٠٪ من مجموع الطاقة المستخدمة في توليد الطاقة الكهربائية.

وتبق **الطاقة الشمسية** من أهم مصادر الطاقة المستجدة، ولكن نشر استخدامها على نطاق واسع يبق مرتبطاً بالمزيد من التقدم التكنولوجي في مجال تطبيقاتها حتى يصبح استخدامها معقولا من الناحية الاقتصادية، وحتى تتمكن من مزاحمة أسواق الطاقة الأخرى. ويختتم ويلسون نظرته المتشائمة حول مستقبل الطاقة بقوله:

«إن هذا الخلل الذي تشهده الحضارة الصناعية الحديثة بين ما تحتاجه عملياً من الطاقة وبين الحد الأعلى الذي تتمكن من الحصول عليه، جعل من الضروري العمل «وبشكل سريع» على مد الجسور نحو المصادر الأخرى المتاحة من الطاقة وخاصة الفحم الحجري».

مستقبل الفحم

يمثل الفحم ٢٥٪ من جملة مصادر الطاقة المستخدمة حالياً في العالم. ويتميز بوجود احتياطي عالمي هائل يقدر بعشرة أضعاف الاحتياطي البترولي، كما أن أسعاره أقل بكثير من البترول، وقبل هذه الأبحاث التي قامت بها **الهيئة العالمية لدراسة الفحم** لم تكن هناك دراسات جدية لمعرفة مدى إمكانية الاعتماد عليه، والمشاكل والفوائد التي ترتبط بتعميم استعماله كبديل للبترول. ويستنتج ويلسون من خلاصة التقارير والأبحاث أن:

«أي تضاؤل يطرأ على إمكانية التزود بالطاقات البديلة للبترول والغاز، وبأسعار معقولة، لا بد أن يؤدي إلى تزايد أهمية الفحم، وبالرغم من أكثر التنبؤات تفاؤلا حول مستقبل انتشار استخدام الطاقة النووية والزيادة المتوقعة في إنتاج الطاقة من المصادر المختلفة الأخرى، فإنه من الواضح أن الفحم سيلعب دوراً حاسماً في قضية مستقبل الطاقة في العالم».

ولقد بلغ الإنتاج العالمي من الفحم عام ١٩٧٧م (٣٤٠٠) مليون طن متري. ويساوي هذا المقدار «بالمعادل البترولي» ٣٣ مليون برميل في اليوم، وبذلك يتفوق الفحم على كافة مصادر الطاقة الأخرى ما عدا البترول.

وتشمل استعمالات الفحم عدة أوجه أهمها:

إنتاج الطاقة الكهربائية، والتعدين، والتصنيع، وتجارة البقايا الناتجة عن إحراقه، وتحضير الوقود التركيبي Synthetic Fuel.

وحتى عام ٢٠٠٠م، ستبق نسبة ٦٠٪ من الفحم تستهلك في توليد الطاقة الكهربائية مثلما هو الحال اليوم في **دول مجلس التعاون والتنمية الاقتصادي**. وبيَّنت التنبؤات المستقبلية للهيئة العالمية لدراسة الفحم أنه إذا بقي معدل الزيادة في استهلاك الطاقة الكهربائية على نفس وتيرته الحالية فإن هذا الاستهلاك سيرتفع من ٣٥٠ جيفاواط[٢] «Giga Watt» حالياً إلى ٨٢٥ جيفاواط عام ٢٠٠٠م، ويوافق هذا التطور زيادة في الطلب على الفحم المستخدم في توليد الطاقة الكهربائية وحدها من ٦٠٠ مليون طن متري عام ١٩٧٧م، إلى ١٣٢٥ مليون طن متري عام ٢٠٠٠م. بينما تتوقع الدراسة أن تزداد طاقة الإنتاج والتصدير والاستيراد فيما بين دول الهيئة بمقدار ١٨٦٥ مليون طن متري في العام. مما يوحي أن الفحم يستطيع أن يواجه كفاية السوق الدولي.

وتعد صناعة التعدين ثاني أهم أسواق الفحم إذ تبلغ طاقة استخدامه في هذا المجال في دول الهيئة ٢٥٠ مليون طن متري في العام أي ما يعادل ٢٥٪ من مجمل الاستهلاك وستبلغ هذه الطاقة ٣٧٥ مليون طن متري في العام عند نهاية هذا القرن.

وتثبت خلاصة الدراسات التي أجرتها الهيئة أنه حتى عام ٢٠٠٠م،

ستسجل زيادة في الطلب على الفحم في دول مجلس التنمية والتعاون الاقتصادي مقدارها ١٠٠٠ مليون طن متري في العام . وبما أن الدراسات تتضمن أيضاً استراتيجية العمل التي تضمن إعطاء الفحم حجمه المنتظر كأهم بدائل الطاقة فلقد أوصت الهيئة دول المجلس « بضرورة العمل السريع على زيادة استهلاك الفحم ، والتحضير لمرحلة تكنولوجية جديدة يشكل الفحم فيها المزود الرئيسي بالطاقة » .

كما تتوقع التقارير أن يطرأ ارتفاع معقول على أسعار الفحم في المدى المتوسط يرجع لعدة أسباب أهمها زيادة الطلب ، وإعادة النظر في تجهيز المناجم تكنولوجياً لكي نتمكن من تطوير إنتاجها ، ثم لمواجهة المشاكل الخطيرة الناتجة عن تأثير تزايد إحراق الفحم على البيئة ، وكذلك لزيادة أجور الأيدي العاملة .

ويرى كارول ويلسون أنه « **لكي تبق أسعار الفحم مقبولة في الفترة القادمة فإنه يجب تطوير سلسلة كافة الأجهزة المكلفة بالإنتاج والنقل والتصدير والاستيراد ، لأن أي انقطاع في هذه السلسلة سيؤدي بالضرورة إلى زيادة الأسعار لدرجة يصبح معها مشروع الاعتماد على الفحم خطة فاشلة** . وهذا يقتضي قيام اتفاق يتمثل في إبرام عقود طويلة الأجل بين مختلف هذه الأجهزة من شأنها أن تؤدي إلى نظام مستقر يضمن بقاء الأسعار في حدود معقولة » .

تأثير الفحم على البيئة

نظراً لما ينطوي عليه استخدام الفحم الحجري على نطاق واسع من تأثيرات خطيرة على البيئة فقد أفرد له فصلاً كاملاً يتضمن التقارير والدراسات والإحصائيات التي قام بها خبراء البيئة المتخصصين في الهيئة . ولقد قسِّمت هذه التأثيرات إلى « مباشرة » وهي تلك التي يظهر ضررها في البيئة على المدى القريب وتشمل انطلاق الغازات الحمضية كثاني أوكسيد الكبريت وأكاسيد الأزوت المختلفة NOx والتي تسبب الأمراض التنفسية وتؤدي إلى تشكل الأمطار الحمضية[٣] ACID RAIN ذات التأثير الخطير على البيئة .

ثم « التأثيرات غير المباشرة » التي لا يظهر ضررها إلا على المدى البعيد وتنتج بالدرجة الأولى عن انطلاق غاز ثاني أوكسيد الكربون CO_2 بكميات كبيرة الذي ازدادت نسبته في جو الأرض لدرجة جعلته يلعب دوراً خطيراً في تغيير مناخ الأرض نظراً لقدرته على عكس **الأشعة تحت الحمراء** Infrared Radiation التي تشعُّها الأرض فيعيدها إليها مرة أخرى وبهذا يعمل على تناقص سرعة تبرد الأرض بالإشعاع الحراري . وتبقى دراسة تأثير تزايد نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون على جو الأرض أكثر تعقيداً من حيث تأثيرها البعيد المدى على جو الأرض . ويذكر التقرير أن هذه النسبة قد ازدادت بمقدار ١٥٪ خلال القرن الماضي ، أما الآن فإنها تتزايد بنسبة ٠,٤٪ سنوياً . ومما يزيد في حدة هذه المشكلة هو تناقص كثافة الغطاء النباتي الأخضر لسطح الأرض في الوقت الذي تعد فيها الأوراق الخضراء للنباتات من أهم عوامل اختزال ثاني أوكسيد الكربون من الجو .

وينتهي تقرير الهيئة الدولية لدراسة الفحم والمتعلق بالتأثير على البيئة إلى توصية تؤكد على ضرورة القيام بالمزيد من الأبحاث لمعالجة هذه المشاكل ، ومحاولة حلها بالسرعة الممكنة لأن عهد استخدام الفحم أصبح وشيكاً ، ولا خيار لنا في دخوله .

ويبدو من هذا التقرير أن تفاقم مشكلة « التلوث » التي ستنجم عن تعميم استخدام الفحم وضعت الدول الصناعية بين خيارين لا ثالث لهما :

فإما طاقة بلا بيئة . . . وإما بيئة بلا طاقة . . . !!

وأمام الخيار الأول يقف المتحمسون لحماية البيئة أو ما يدعى « بالبيئيين » بكل ثقلهم لتقويض فكرة الاعتماد المستقبلي على الفحم . . كما أنهم يميلون حتى إلى العمل على تضييق مجالات استخدامه الحالية . وأمام هؤلاء يقف أولئك الذين يديرون عجلة الصناعة وهم ينظرون بمنظار واحد هو الربح والسيطرة حتى ولو كان الثمن هو الحياة نفسها .



الهوامش

(١) الدول التي تمثلت في الهيئة هي : أستراليا ـ كندا ـ الدانمارك ـ فنلندة ـ فرنسا ـ ألمانيا الفيدرالية ـ الهند ـ أندونيسيا ـ إيطاليا ـ اليابان ـ هولندا ـ بولندا ـ السويد ـ المملكة المتحدة ـ الولايات المتحدة ـ وشاركت الصين كعضو ملاحظ .

(٢) واحد جيقاواط يساوي مليون كيلو واط .

(٣) راجع في العدد (٦٩) من مجلة « الفيصل » مقالا مفصلاً عنها .

تأليف : صلاح الدين حافظ
عرض : علي راضي

صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي

عندما نتحدث عن العنف السائد في منطقتنا ، علينا أن نحاول الوصول إلى أعماقه وجذوره ، رغبة في استجلاء الحقيقة ووضعها أمام الضمير العربي الإفريقي ، المعذب بالتخلف والممزق بالقهر والمثقل بآلام الأزمات . نعم ، فالجذور عميقة ضاربة في أرض الصراع ... جذور تعود إلى العصور الاستعمارية الأوروبية القديمة ، بكل ما خلّفته من عقد وصراعات محلية وقبلية ، وما غرسته من قيم متناقضة ، ومن عداوات وحزازات نازفة ، حتى جاء الاستعمار الجديد ـ بوجهيه الاقتصادي والثقافي ـ وبأسلحته ومعداته الحديثة ليعمّق كل هذه المخلفات وينمّيها لتتزايد ثرواته ويتسع نفوذه يوماً بعد يوم .



بهذه الفقرة بدأ صلاح الدين حافظ كتابه (**صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي**)، الذي نشره **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت**، ضمن سلسلة **عالم المعرفة** مع مطلع شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٢م.

أما ساحة البحث التي غطاها الكتاب فجزيرة العرب وبقية المناطق المطلة على البحر الأحمر، مع تركيز الرؤية على منطقة القرن الإفريقي. وأما زمان البحث فقد بدأ مذ كانت علاقات مسجلة ومعروفة بين جزيرة العرب والقرن الإفريقي، إلى يومنا هذا، مع تركيز واضح على الفترة التي بدأت بها إمبراطوريات أوروبا تقتسم العالم الإسلامي وتتحكم في مقدراته، حتى نهاية عام ١٩٨١م.

ومنذ الفصل الأول يبدأ الكاتب بإثبات عروبة القرن الإفريقي. وعلى طريقة الباحث الهادئ يستحضر الكاتب شهوده من أعماق التاريخ، ومن خارج حدود الوطن العربي. **فهذا المؤلف الإفريقي صاحب كتاب (الكشاف البحري)** يسجل في القرن الأول للميلاد ظاهرة التزاوج العربي الإفريقي، وما يتبع ذلك من اختلاط الدماء والأنساب، ثم بروز إنسان عربي إفريقي منذ فجر التاريخ، ملمحاً بذلك إلى قدرة العرب على التكيُّف مع البيئة الإفريقية المخالفة تماماً لطبيعة بيئتهم الصحراوية في جزيرة العرب. ويمضي ببحثه المدعم بالوثائق والشهود ليثبت أن **البحر الأحمر** لم يكن يمثل عقبة أمام انتقال العرب من شرق البحر إلى غربه، وأن بلاد **اليمن** كانت مصدراً لهجرات عديدة أثَّرت تأثيراً بالغاً في الهضبة الحبشية وأعالي **النيل الأزرق والعطبرة وأريتريا وسواحل السودان الشرقية**.

ومن طريف ما يذكر **أن اسم الحبشة إنما كان نسبة إلى قبيلة حبش العربية القديمة التي هاجرت من جنوب الجزيرة العربية لتستقر في شمال القرن الإفريقي وتختلط بالسكان الوطنيين هناك، صانعة معهم سلالة بشرية جديدة، يختلط فيها الدم العربي بالدم الإفريقي. وما أصل اللغة الحبشية القديمة إلا من لهجة تلك القبيلة.**

ثم يأتي الإسلام، فيحافظ على تلك الجسور الممتدة عبر البحر الأحمر، بل يقويها ويؤصل دورها الإنساني منذ سنيه الأولى. فإلى الحبشة كانت أول هجرة للدعوة الإسلامية الناشئة في مكة. لتتلوها بعد ذلك موجات من الهجرة أو الانتقال السهل بفضل انتشار الإسلام في تلك الديار. بل لقد صار القرن الإفريقي في عهد بني أمية وبني العباس أرضاً للصراع السياسي على السلطة، أو ملجأ لمن لم يرض بنظام هذه الدولة أو تلك. وكأنه امتداد طبيعي للوطن العربي.

ثم أطل القرن السادس عشر الميلادي بما يحمله من مطامع أوروبية في الشرق الإسلامي. وفي البداية تمكَّن **البرتغاليون** من احتلال مواقع على القرن الإفريقي. إلا أن التعاون العربي الإفريقي أدى إلى إنهاء الاحتلال الأوروبي، وتحرير منطقة القرن الإفريقي في مرحلة مبكِّرة من عهد الاحتلال الأوروبي.

لكن أوروبا مصرة على أن يكون لها موضع قدم في القرن الإفريقي، لأسباب لا تبدو اقتصادية أو أمنية. فمنذ عام ١٨٨٤م، والإمبراطوريات الأوروبية المتنازعة، تتفق بل تتنافس على رعاية الحبشة، وتحويلها إلى إمبراطورية. ففي **مؤتمر برلين** عام ١٨٨٤ ــ ١٨٨٥م، اتفقت الدول الأوروبية التوسعية على تقسيم العالم فيما بينها، وجعلت للحبشة نصيباً في تلك المأدبة، فسلمتها المناطق الداخلية من **الصومال** لتحولها إلى إمبراطورية على يد **منليك الثاني (عام ١٨٨٩ ــ ١٩١٣م)، مؤسس أثيوبيا الحديثة.**

ومهما كان خيال القارئ محدوداً، فإنه



★ هيلاسي لاسي ★

لا يملك وهو يقرأ الصفحات الخاصة بتأسيس أثيوبيا الحديثة، إلا أن يتذكر **إسرائيل**، ومبررات قيامها، وخطوات تأسيسها وتوسيعها، ورعاية الغرب لها. بل إن المواقف والتفصيلات لتتشابه رغم ما يفصل بين التجربتين من زمن يصل إلى بضعة عقود من السنين. فمثلاً نقرأ أن منليك الثاني يكتب إلى رؤساء الدول الأوروبية سنة ١٨٩١م، قائلاً: «إذا كانت هناك قوى قادمة من الخارج تعمل على اقتسام إفريقيا، فلا يمكن أن أقف موقف المتفرج». ولا تملك إلا أن تضحك عند هذا الموقف خاصة عندما تعلم أن إمبراطورية منليك هذه ليس فيها قطعة سلاح واحدة، إلا أن تكون هدية من إحدى دول أوروبا. ثم تصحو من السخرية لتتذكر بعض مواقف إسرائيل وهي تتمرد على الولايات المتحدة، بل تتدخل بالشؤون الداخلية لبعض دول أوروبا، وهي لا تستغني عن عون الغرب يوماً واحداً.

ويسأل الناس عن سر هذه العلاقة التي تتناقض مع المصالح العاجلة للغرب، ولا يجرؤ أحد على إجابة واضحة. ولكن الكتاب الذي بين أيدينا يورد تفصيلات عن تأسيس أثيوبيا، قد يكون في قراءتها وتحليلها جواب ما!

ثم يعقد الكاتب فصلاً عن أهمية البحر الأحمر جغرافياً وسياسياً. هذا البحر الذي يحتوي على ٣٧٩ جزيرة ثلثاها يتبع دولا عربية، وقد كان المفروض أن يكون البحر كله بحيرة عربية. وكذلك كان لقرون طويلة. لكن المطامع القديمة مهدت الطريق أمام المطامع الجديدة، ليصير البحر الأحمر محور صراع دولي لا يملك العرب تجاهه إلا سماع أخباره، وأحياناً قليلة المشاركة بهذا الصراع كقوى مؤيدة لهذا الطرف أو ذاك.

وإذا كان الصراع في بداية عهد التوسع الأوروبي من أجل الحصول على التوابل ظاهراً، وغزو الإسلام عقر داره باطناً. فإن الصراع الحالي قد استبدل البترول بالتوابل. ونظراً لأهمية بترول المنطقة الذي يصل إلى الغرب عن طريق البحر الأحمر، فقد أنسانا ضجيج أهميته الغرض الأصلي لما سمي بحركة الاستعمار، وما تبعه من تأسيس دولتين على طرفي البحر الأحمر، لتكونا رأسي حربتين في نحر العروبة والإسلام.

وإذا كانت إمبراطوريات التوسع الأوروبي (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) في القرن التاسع عشر، قد تنافست على البحر الأحمر والقرن الإفريقي بالذات رغم أنها على مبدأ واحد، واستطاعت رغم اتفاقها أن تقنع السكان المحليين للقرن الإفريقي أنها تتنافس لمصلحتهم. وحاولت كل إمبراطورية أن تقنع فئة ما من سكان القرن أنها تعمل لحمايتها وحماية مصالحها ضد الإمبراطوريات التوسعية الأخرى. فإن قوى الصراع الحديثة (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) في غنى عن هذا التمثيل لما بينهما من عداء ظاهر. وما دامت القضية قضية البحر الأحمر فإن الأمور تبدو طبيعية تماماً، والصراع ضروري لبقاء الإمبراطوريتين فيه «فإذا تمركزت أميريكا جنوباً، عند القرن الإفريقي، في أثيوبيا مثلاً، سارع السوفييت إلى تثبيت أقدامهم شمالا عند السواحل المصرية، وإذا انتقل السوفييت إلى الصومال سارع الأميريكيون بتقوية وجودهم عند الطرف المقابل. وإذا نجحت أميريكا في تغيير موازين القوى، خاصة بعد طرد مصر للخبراء السوفييت عام ١٩٧٢م، سارع السوفييت إلى تثبيت أقدامهم في أثيوبيا بعد ثورة سنة ١٩٧٤م»[1].

ثم نصل إلى الفصل الثالث، أطول فصول الكتاب، ورغم طوله إلا أنه يشد القارئ شداً. فالأحداث المطروقة فيه، ما زالت حيَّة في الذاكرة. وقد سردها المؤلف وبوَّبها بأسلوب شائق جميل، استفاد فيه من مهنته كصحفي، وأتقنه كأديب. فرصَّعه بمعلومات من خبرته الشخصية التي حصل عليها كصحفي زار مناطق الصراع مراراً والتقى بأطراف المعركة أو ببعضهم.

وسبب حروب القرن الإفريقي ـ حسب رأي المؤلف ـ هو التوسع الأثيوبي، الذي استمر عملياً حتى سنة ١٩٦٢م، عندما قامت أثيوبيا بضم أريتريا إلى أراضيها. بل إن شهية أثيوبيا ما زالت مفتوحة لضم أجزاء أخرى كجيبوتي لو استطاعت.

لكن أثيوبيا بعد الانقلاب العسكري اكتفت من حلفائها الجدد (الاتحاد السوفييتي وكوبا) أن يساعدوها على تثبيت حدودها القديمة، كي تتمكن من هضم الولائم السابقة (الأوجادين الصومالية التي استلمتها أثيوبيا من بريطانيا سنة ١٨٩٧م، ثم أريتريا التي ضمَّتها سنة ١٩٦٢م، وكانت قد انتدبت عليها سنة ١٩٥٥م).

وأريتريا تكافح من أجل استقلالها قبل أن يضمَّها **هيلاسي لاسي**. فقد تشكلت **جبهة تحرير أريتريا** عام ١٩٦١م. وقد استطاع ثوار جبهة تحرير أريتريا بعد سبعة عشر عاماً من الكفاح أن يحرروا كل ريف أريتريا، ومعظم مدنها، حتى أنه لم يبق في يد الجيش الأثيوبي المحاصر سوى العاصمة **أسمرة** وأربع مدن



صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي

رئيسية أخرى . وصار حلم الاستقلال قريب المنال مع نهاية عام ١٩٧٧م ، وبداية عام ١٩٧٨م . لكن الهجوم الأثيوبي المضاد الذي ركزت فيه أديس أبابا كل قوتها العسكرية بعد أن فرغت من حرب الأوجادين ، بدد هذا الحلم مؤقتاً على الأقل ، وأضاع جهد سبعة عشر عاماً .

ويقف المؤلف موقفاً معتدلا من دور كوبا والاتحاد السوفييتي في القضاء على ثورة أريتريا ، وحرمان شعبها من الاستقلال ، ولكنه لم يستطع أن يتجنَّب ذكر بعض الحقائق المعروفة للجميع . فالسوفييت والكوبيون حاربوا مع أثيوبيا ضد الصومال ، ومكّنوا أثيوبيا من استعادة الصومال الغربي ، وأن الجنود الكوبيين والخبراء السوفييت كانوا موجودين في أثيوبيا أثناء الحرب الأثيوبية الأريترية ، وأن السلاح السوفييتي والخطط العسكرية السوفييتية هي التي أحبطت آمال شعب أريتريا بالاستقلال .

أما الفصل الرابع فينتهي بحديث عن **جيبوتي** . هو أقرب إلى توصية خبير ، منه إلى سرد أحداث . فالمؤلف يرى أن **جيبوتي بحاجة إلى الدعم العربي لكي تحافظ على استقلالها** ، بل لتنتمه ، فهي مازالت تحمي حدودها بجيش فرنسي . **إذا لم يقدم العرب لجيبوتي الدعم الإقتصادي والمالي ، فإنها قد تقع فريسة للمطامع الأثيوبية ، وبعون من الفقر وعوامل محلية أخرى .**

وفي الفصل الخامس والأخير يرى المؤلف أن استمرار الصراع أمر حتمي ، مادامت المعطيات العالمية لم تتغير . فوجود قوتين عظميين تتنافسان على المراكز الاستراتيجية في العالم ، وبالمقابل ضعف الأمة المسؤولة عن حماية هذه المواقع ، وعدم سيطرتها على أمورها وأراضيها ، كل هذا سيشجع الصراع بل سيزيده لهيباً . وكأنما الكتاب جاء ليقول لنا إن الصراع حول القرن الإفريقي أو البحر الأحمر أو أي أرض عربية لن يتوقف حتى تعود للأمة هيبتها ، وتقف بأمورها وحدها ، وتستغني عن عون الآخرين بالأمور الاستراتيجية على الأقل .

هذه بعض أبرز الأفكار التي طرحها الكتاب . أما لغة الكتاب وأسلوبه فهما من النوع الذي لا يطمع القارئ بأفضل منهما في هذه الأيام . فالترتيب متقن ، والفقرات ملتزمة بحدودها ، واللغة بسيطة سهلة ، والتراكيب تنساب بنعومة تدل على تمكُّن الكاتب من صنعته . أما عن الدقة اللغوية فهي مما لا نحلم به ونحن نقرأ مقالا صغيراً لأديب أريب ، أما أن تجد كتاباً بحاله يتكون من مائتين وستين صفحة يكاد يخلو من الأخطاء اللغوية ، إلا ما شاع منها بين كبار الأدباء ، فهذا أمر نادر هذه الأيام .

أما الأخطاء اللغوية الشائعة التي وردت في الكتاب فهي قابلة للحصر واذكرها للفائدة :

(١) **توالي حروف العطف** : وهذا خطأ لا يكاد يخلو منه مقال في أفضل الدوريات العربية . وتوالي حروف العطف لا يجوز في لغة العرب . فلا يجوز أن تقول مثلاً (بل و . .) أو (حتى و . . .) أو (فحتى) إلخ . . . ولم يظهر هذا الخطأ على امتداد الكتاب كله سوى سبع مرات .

(٢) **تَعلُّق ظَرْفَيْ مكان أو ظرفي زمان بمتعلق واحد** : وهي أيضاً من الأخطاء التي لا ينتبه إليها الكتَّاب وقد وردت في الكتاب مرة واحدة في الصفحة التاسعة عشرة ، إذ قال المؤلف (نقلاً عن الحضارة السومرية في وادي الفرات المجاورة لهم) . فوادي الفرات ، والمجاورة لهم ، ظرفا مكان تعلقا بكلمة الحضارة .

(٣) **اسم النسبة من الجمع** : وهذه فيها خلاف بين المعاصرين ، لكنها لم ترد أبداً على لسان القدامى وهي اشتقاق اسم النسبة من الجمع كقوله : (عقائدي) في أكثر من موضع في الكتاب . والأصح عند بعضهم أن يقول (عقيدي) .

(٤) أما الرابعة فهي مما علق بذهن الكاتب من اللهجة المصرية . إذ كان يستعمل كلمة التواجد بمعنى الوجود أو الحضور . وهذا استعمال شائع في مصر ، ولكنه استعمال غير صحيح ، فكلمة تواجد تعني إظهار المحبة أو الوجد ، وهي ليست من الوجود كما توهَّم الكاتب . وقوانين اشتقاق العربية لا تسمح باشتقاق التواجد من الوجود (حسب علمي) .

وأرجو ألا يغضبه تعرضي لأخطائه اللغوية ، فأنا أعلم علم يقين أن تجنب الأخطاء اللغوية في كتاب مثل حجم كتابه ، أمر مستحيل علينا أبناء هذا الجيل ، إلا بضعة متفردين من أعلام اللغة . وقد يكون في مقالتي هذه من الأخطاء اللغوية أكثر مما في كتابه وأنا لا أدري ، ويرحم الله عبداً يهدي إليَّ عيوبي .

الهوامش

(١) ص ٩٣ من الكتاب موضوع الدراسة .



موضوع خاص



بقلم: عبد الرّحمن حريتاني

الأذن عضو السمع جهاز دقيق للغاية مهمّته الرئيسية التقاط أمواج الصوت Sound Waves من العالم الخارجي وإيصالها إلى مراكز السمع Auditory centeres في الدماغ لتعبّر وتفهم كلغة وكلام يهدف لمعاني وأمور. وتتكوّن الأذن من ثلاثة أجزاء هي:

(١) الأذن الخارجية (The external ear): هي الجزء الظاهر من جانبي الرأس، وتتكوّن من **صيوان الأذن الخارجي The auricle** و**القناة السمعية الخارجية external auditory canal** التي تلي الصيوان مباشرة، وهي على شكل ممر منحن تسري فيه موجات الصوت التي لمّها الصيوان من الهواء المحيط، وتعبر منها إلى الأذن

★ رسم نموذجي للأذن تظهر فيه جميع أقسامها الرئيسية ★

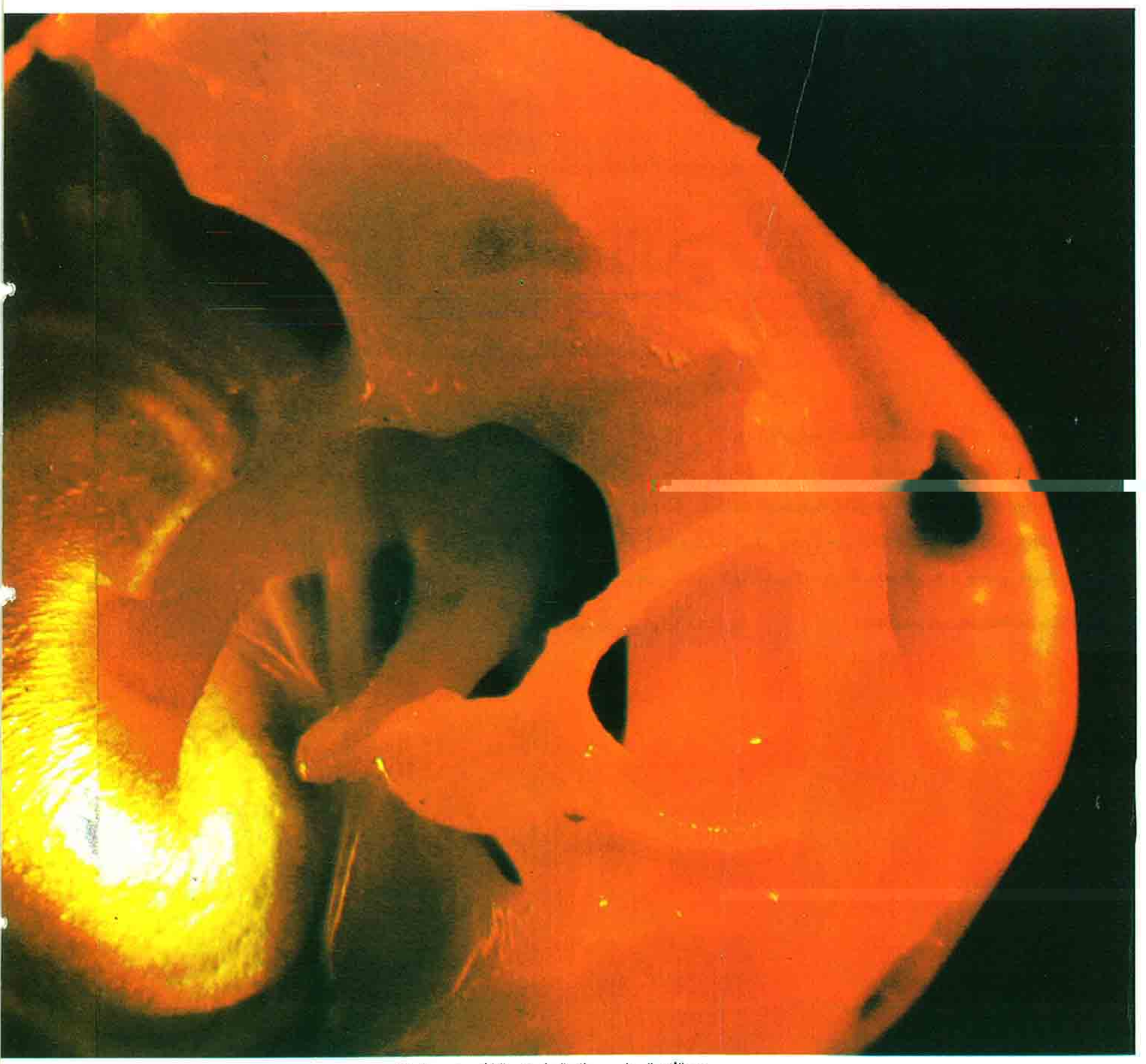
L'oreille, ses lésions, ses prothèses

القنوات الهلالية

oreille externe — oreille moyenne — oreille interne

1. pavillon الصيوان — 2. conduit auditif القناة السمعية الخارجية — 3. tympan الطبلة — 4. étrier الركاب — 5. trompe d'Eustache قناة استاكيوس

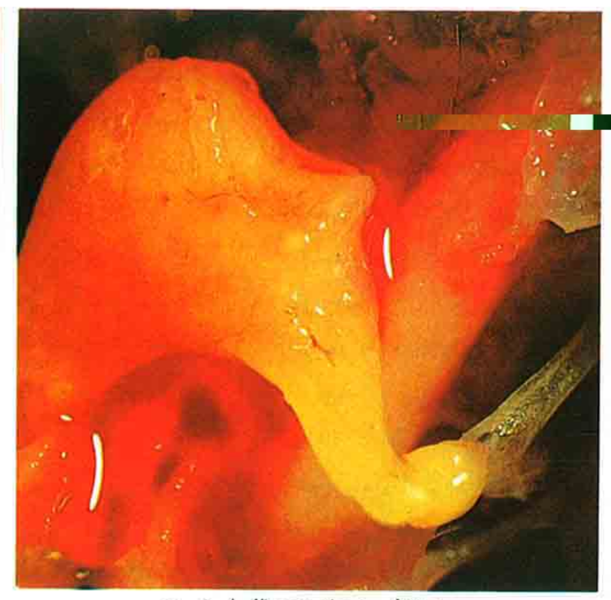
6. cochlée القوقعة — 7. nerf acoustique العصب السمعي — 8. fenêtre ovale النافذة البيضاوية — 9. enclume السندان — 10. marteau المطرقة



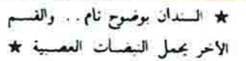
★ الأذن الوسطى .. وإلى اليسار تبدو الطبلة بوضوح تام ★

الوسطى عبر طبلة الأذن ، وتفرز مئات الغدد glands الخاصة الموجودة في بطانة جلد **القناة السمعية الصملاخ** earwax الذي هو عبارة عن مادة دهنية تتكثّف لتمنع وصول جزيئات الغبار الدقيقة والحشرات الصغيرة إلى داخل الأذن ، وفي نهاية القناة السمعية توجد **طبلة الأذن** eardrum التي هي عبارة عن غشاء رقيق من نسيج ضام وتكون على شكل قوس منحن (وغالباً دائري) وهي التخم أو الحد بين الأذن الخارجية والأذن الوسطى . . وتتركّب الأذن الخارجية من غضروف مرن cartilage elastic ونسيج ضام connective tissue وعظم bone .

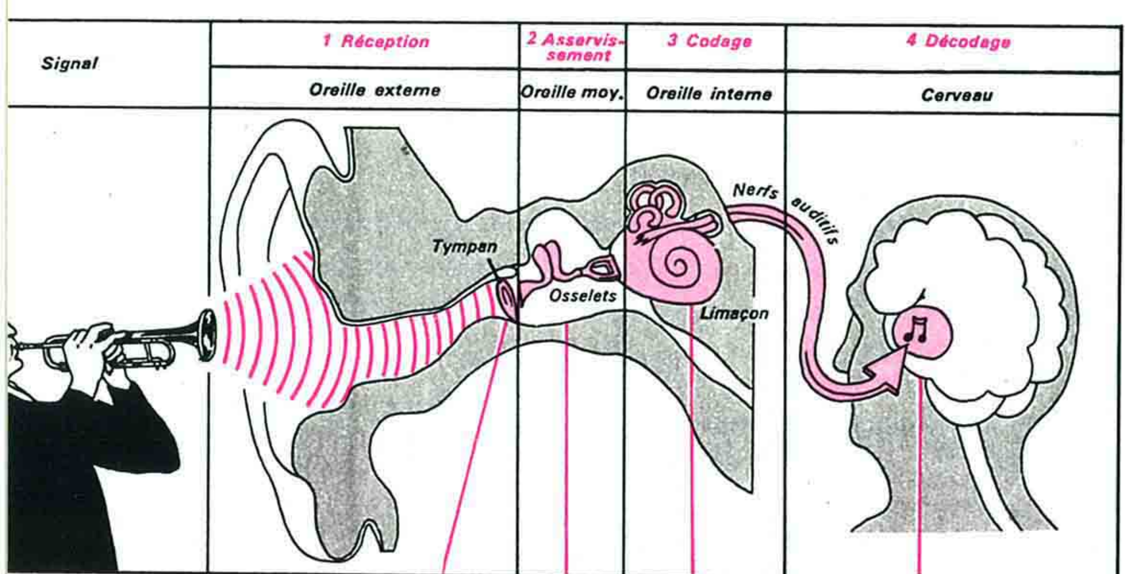
(٢) الأذن الوسطى (The middle ear) : تتوضّع في تكهّفات cavaties صغيرة في **العظم الصدغي** temporal bone في **الجمجمة** skull ، وهي عبارة عن حجرة صغيرة تقع في نهاية القناة السمعية التي يفصلها عنها غشاء الطبلة ، وجدرانها مبطّنة بغشاء مخاطي Mucosa ، واالتكهّفات الصغيرة مملوءة بالهواء وقطرها حوالي (٨) مم ، وعمقها (٤) مم ، وجدارها الخارجي مكوّن أصلاً من غشاء الطبلة ، والجدار الجانبي يفصل ما بين الأذن الوسطى والأذن الداخلية ومكوّن من عظم صلب فيه فتحتين علوية وهي النافذة البيضية The oval window وسفلية وهي النافذة الدائرة The round window ، وتحتوي الأذن الوسطى على **العظيمات السمعية الثلاث الصغيرة** The auditory bones أو (ossicles) وهي **المطرقة** The hammer (malleus) **والسندان** anvil (incus) **والركاب** stirrup



★ الركاب والسندان ينقلان الأمواج الصوتية إلى الأذن الداخلية بعد تضخيمها ★



★ السندان بوضوح تام . . والقسم الآخر يحمل النبضات العصبية ★



(stapes) وهـي مرتّبة بحيث تنقل الموجات الصوتية بعـد أن تضخـّمها من غشاء الطبلة إلى **القـوقعة** cochled عـبر النـافذة البيضـية ، وهـي العناصر العظمية الثلاثة الوحيدة الـتي لا يـزداد حـجمها كبقيـة أعضـاء الجسم ، وتظل على حالها منذ الطفولة ، وقسم من المطرقة يلامس الـطبلة بينما القسم الآخر يتمفصل مع السندان الـذي يتـلامس مع الـركاب ،

وعندما تضرب الأصوات المدوّية العالية طبلة الأذن ، فـإن عضـلتين همـا العضلة الشادّة tensor الـطبلية والعضـلة الـركابية stapeduis تنقبضـا وتكبحا حركة العظيمات من جرّاء الصوت المدوي وتمنعـان بـذلك إتـلاف التراكيب المرهفة الناعمة للأذن الـداخلية ، والعـظيمات السـمعية تحـوّل ضغط الموجات الصوتية الواصل إلى طبلة الأذن إلى السطح الصـغير جـداً للنافذة البيضية بعد أن تزيد من ضغطها بمقدار (٢٢) مرة .

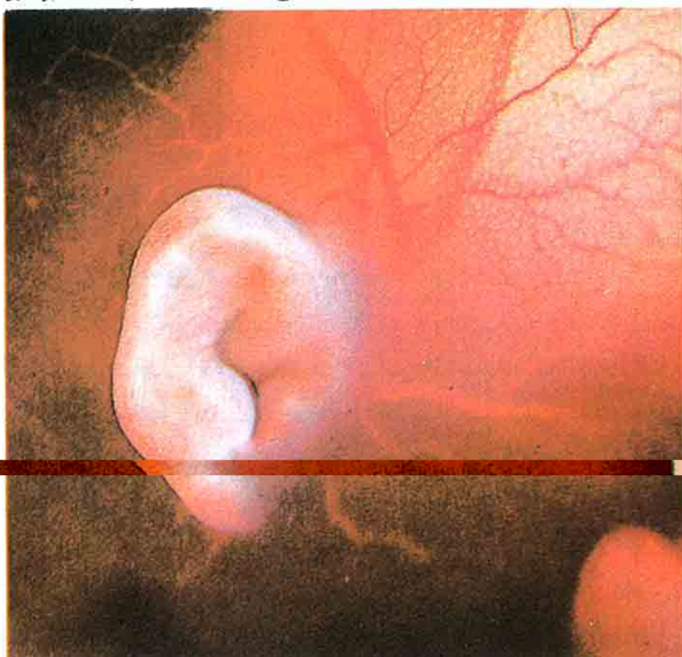
(٣) الأذن الداخلية (The inner ear) : مكونة مـن جـزءين متلاصقين ، أحدهما الجزء الخاص بالسمع ، والثاني الجزء الخـاص بحفـظ التوازن للجسم ، وهـي عبارة عن أكيـاس غشـائية متصـلة مـع بعض وتستقر بإحكام في تكهّفات عميقة في العـظم الصـدغي القـاسي جـداً تسمى **بالتيه العظمي** bony labyrinth الذي يتكون من عـظم مغطّى بنسيج ضام ناعم تشغله القنوات والجيوب ، وداخل التيه العظمي يـوجد التيه الغشائي ، وتحتوي المسافة بين جدار التيه العـظمي وجـدار التيـه الغشائي على سـائل مـائي يسـمى بـ (**الليمف المحيط** Perilymph) ، وأمّا الفراغ الموجود داخل التيه الغشائي فيمتلئ بـ (**الليمف الـداخلي**

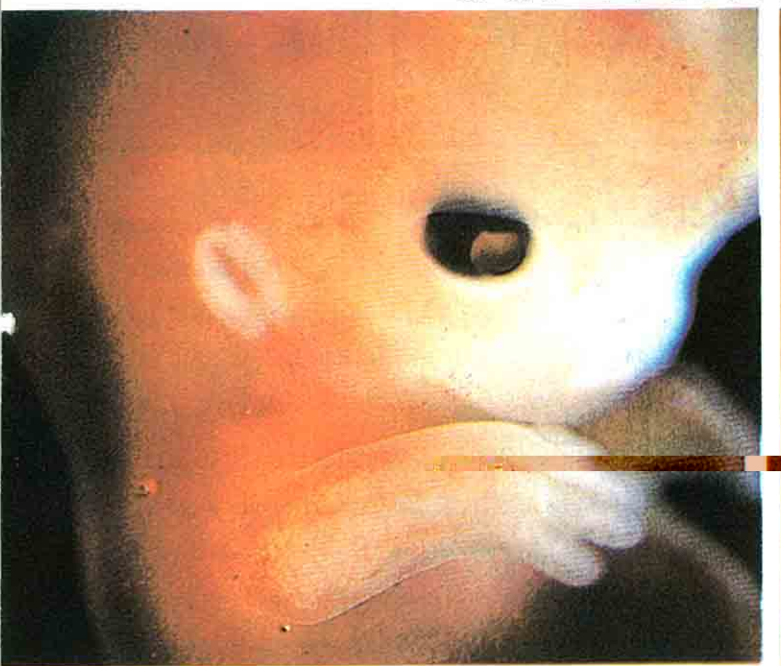
endolymph) الذي يشبه السائل الأمنيوسي ، وجزؤها الأمامي الملتف على نفسه هو **القوقعة** cochlea التي تبدأ من القسم الأمامي للدهليز Vestibule وهي وحدها التي تقوم بوظيفة السمع ، وجزؤها الخلفي يشمل الدهليز **وجهاز التوازن** organ of balance المكون من قنوات شبه دائرية ، والقسم الأوسط من التيه الغشائي يتكون من كيسين يتوضّعان في الدهليز ، أحدهما مدوّر وهو **الجريب** The saccule ، والآخر بيضوي وهو **قُرَيْبة** الأذن الداخلية The utricle ، وكلا الكيسين يمتلكان أنظمة تتكون من خلايا مستقبلة receptor cells وبللورات الكالسيوم calcium crystals التي تستجيب لقوى الجاذبية gravitational وقوى التسارع accelerating وتعطي المعلومات الدقيقة عن وضعيات الرأس .

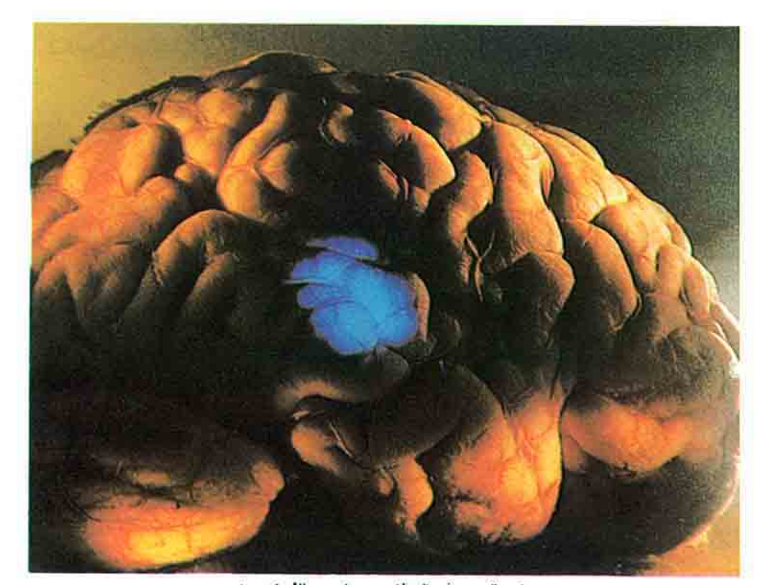
كيف نسمع ؟

يتكوّن الصوت من **موجات** Waves من الضغط compression والانكسار refraction في الهواء ، وتعتمد شدة الصوت على (سعة) الموجات ، كما تعتمد طبقة الصوت على (**تردد** frequencies) الموجات ، وعندما تصل موجات الصوت إلى صيوان الأذن الخارجية تمر عبر القناة السمعية الخارجية لتصل مركزّة إلى **طبلة الأذن** eardrum التي هي عبارة عن غشاء رقيق يقع في نهاية القناة السمعية التي يكون طولها واتساعها مناسباً ليحفظ للطبلة هواء دافئاً متجدداً ويبعدها عن المؤثرات الخارجية ، وطبلة الأذن هذه تنقل أمواج الصوت التي ترددها يقع بين (١٦) ذبذبة في الثانية (ذبذبة/ثا) و (٢٠,٠٠٠) ذبذبة/ثا ، وتتكوّن من سطح خارجي وطبقة أساسية مكوّنة من أوتار ليفية مستقيمة وبيضاوية في تناسق وترتيب معيّن تمتد من الحافة الخارجية للطبلة إلى عظمة **المطرقة** ، ومن الطبلة تنتقل الاهتزازات الصوتية إلى الأذن الداخلية عبر **العظيمات الثلاث** إلى العصب السمعي ، حيث إن تركيب ووضعية هذه العظيمات السمعية تجعلها تكبّر الأمواج الصوتية عشرين ضعفاً ، وتوجد عضلات دقيقة تضم العظيمات بعضها إلى بعض فتصبح كأنها كتلة واحدة مشدودة لتنقل ذبذبات الأصوات الرفيعة ، أو تفككها عن بعض قليلاً لتنقل ذبذبات الأصوات الغليظة ، أو تفكّك العظيمات عن بعض وتثبّت عظمة الركاب فقط لتحمي أعصاب السمع من تأثير الأصوات العالية والانفجارات القوية ، ويرتكز الطرف الداخلي للعظيمات الثلاث على غشاء رقيق آخر يمتد على فتحة الأذن الداخلية وهي **الكوة البيضية** oval window ، ويهتز غشاء الكوة البيضية عند وصول الأمواج الصوتية إليه وينقلها إلى الأذن الداخلية . . هذا وتعتبر الأذن الخارجية والأذن الوسطى أجزاء توصيلية للأذن الداخلية التي تحوي جهاز السمع . . والأذن الداخلية موجودة داخل وعاء عظمي هو أصلب عظم في الجسم البشري كله وهو **العظم الصخري** Petroms bone ، وبه فتحتان ، فتحة عظمة الركاب لدخول الأمواج الصوتية منها ، والفتحة الدائرية ، ومملوء بسوائل تعزل جهاز السمع في الأذن الداخلية كلية عن أي صوت يأتي إلا عن طريق طبلة الأذن ، كما أن العزل الكهربائي محكم إذ إن السائل الخارجي الذي تقوم فيه الأذن الداخلية ذو شحنة كهربائية سالبة تمنع تسرّب أي شحنات كهربية من الخارج إلى داخل الأذن ، ويتكوّن عضو الاستقبال في الأذن الداخلية من مجموعة من الأغشية الدقيقة التي تتواجد داخل **قوقعة الأذن** cochled التي تعتبر أهم أجزاء الأذن الداخلية ، فهي حلزونية الشكل وعلى القاعدة التي تقوم عليها يوجد الغشاء القاعدي أو **نسيج باسال** Basilar membrane العضوي الذي طوله حوالي (١,٥) سم ، وعلى نسيج باسال العضوي يوجد الغشاء السمعي الذي هو عبارة عن مجموعات من الخلايا السمعية المستقبلة مهمتها تحويل الأمواج الصوتية إلى نبضات عصبية كهربية ، وعند وصول الاهتزازات الصوتية إلى أغشية القوقعة ينتقل تأثيرها إلى النهايات

★ نموذج الأذن في جنين عمره ثلاثة أشهر (إلى اليسار) وجنين عمره أربعة أشهر (إلى اليمين) ★





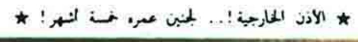


★ مراكز السمع في الدماغ .. (الضوء الأزرق) ★

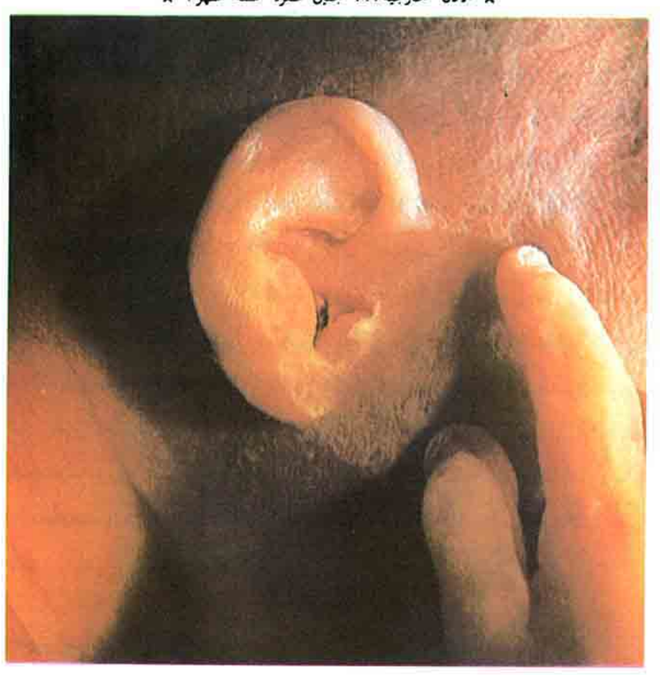
العصبية Nerve endings المتصلة بتلك الأغشية ، وتتجمّع تلك النهايات العصبية لتكوّن العصب السمعي Acoustic Nerve الذي ينقل الإحساسات السمعية إلى مراكز السمع في الدماغ .. **والعالم هلمهولتز** Helmholtz فسّر كيفية تمييز الأذن الداخلية للأصوات المختلفة بعد أن وضع نظرية الرنين ، وقال إن قوقعة الأذن عبارة عن أنبوبة متّسعة من طرف وضيّقة من الطرف الآخر ، وتمتد داخلها حافّتان عظميتان بينهما أوتار ليفية عددها في كل أذن حوالي (٣٥٠٠٠) وتر تكوّن الغشاء القاعدي الذي يقعد عليه جهاز السمع (**جهاز كورتي** corti sorgan) محاطاً بالسائل التيهي الداخلي ويحيطه السائل التيهي الخارجي ، والألياف القصيرة تتوضّع ناحية الطرف الواسع للقوقعة ، مما يجعل الأصوات ذات الطبقة العالية ذات تأثير قوي في الأقسام السفلية من القوقعة ، والألياف الطويلة تتوضّع ناحية الطرف الضيّق من القوقعة ، مما يجعل الأصوات ذات الطبقة الواطئة ذات تأثير في الأقسام العلوية من القوقعة (ولم يتوصل العلم لتفسير هذه الوضعية العكسية) ، وتهتز الألياف تبعاً للصوت الذي يلائم شدّها وتحدث رنيناً يهز أعصاب السمع ، ويعمل السائل التيهي ككاتم للرنين ، فعند انقطاع الصوت تنتهي حركة الغشاء القاعدي ، ولولا ذلك لكنا سمعنا صدى لأي صوت نسمعه من استمرار حركة الأوتار ، وحركة الأوتار حركة تموّجية غاية في الإبداع والدقة ، فقمة الموجة عند مجموعة من الأوتار تحدد نوع الذبذبة التي نسمعها ، واتساع الموجة يبيّن شدة الصوت .

ويتكوّن جهاز كورتي من الغشاء السمعي الذي يتكوّن من **خلايا سمعية شعرية** auditory Hair cells **وخلايا حاملة دعامية** Supporting cells ، والخلايا السمعية الشعرية يوجد في نهاياتها الحرة عدد من **الشعيرات السمعية** Acoustic hairs داخل القناة القوقعية ، ووضع الشعيرات السمعية على الخلايا السمعية له ترتيب محكم وعدد ثابت يتراوح بين (١٠٠ ـ ١٥٠) شعيرة في الخلايا الخارجية و (٤٠ ـ ٦٠) شعيرة في الخلايا الداخلية .. علماً بأن **عدد الخلايا السمعية** حوالي (٢٥٠٠٠) **خلية خارجية** مرتّبة في (٥) صفوف يقابلها صف من حوالي (٤٠٠٠) خلية داخلية متقابلة .. والخلايا السمعية تقوم داخل القوقعة على نسيج باسال العضوي كأنها أطراف تاج تتلقّى الأمواج الصوتية وتنقلها إلى الأعصاب السمعية بعد أن تحولها إلى نبضات كهربية ، وتصل إلى مراكز السمع في الدماغ لتفسّر ككلام له معنى ومغزى ، وداخل أذن كل إنسان يوجد بين (٢٥,٠٠٠ ـ ٣٠,٠٠٠) خلية شعرية سمعية يضعف ويموت بعضها مع تقدم العمر ، ولذلك يضعف السمع عند كبار السن .. وفي عضو كورتي تتحول **ذبذبات الصوت** Sound Vibrations التي تمر عبر القناة القوقعية cochlear duct إلى ومضات عصبية كهربية Nerve impulses تنقل عبر الفرع القوقعي من العصب السمعي إلى الدماغ ، وذلك بعد أن تُحث **الخلايا السمعية المستقبلة** auditory receptor cells ، ويمر العصب السمعي والفرع القوقعي من العصب السمعي عبر قناة في العظم الصدغي تدعى القناة السمعية الداخلية .

والاختلاف في الجهد الكهربائي هو العامل الأساسي في تحويل الموجات الميكانيكية الصوتية إلى نبضات كهربية ، ذلك أنه بقياس الجهد الكهربي وجد أن داخل الخلايا السمعية الشعرية المستقبلة جهد شدته (ـ ٤٠) ميللي فولط ، وخارجها جهد شدته (٥٠) ميللي فولط ، وهذا فارق كبير عبر غشاء رقيق جداً يقوم بشحن الخلايا كهربياً لتعمل عمل البطارية ، وأي تحرك بسيط في وضعية الخلايا أو أي ميل للشعيرات السمعية يسبب تغيّراً في غشاء الخلية ينتج عنه سريان تيار كهربائي ، وذلك نتيجة لاختلاف جهد شدته (٩٠) ميللي فولط عبر عدد كبير من أعصاب السمع ، ويصل التيار الكهربائي هذا إلى مراكز السمع في الدماغ محدثاً الإحساس بالسمع .



★ الأذن الخارجية !.. لجنين عمره خمسة أشهر ! ★



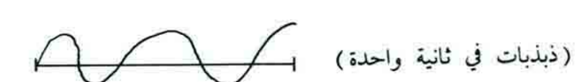
ماهيّة الصّوت

ينشأ الصوت نتيجة لاهتزازات تصدر عن جسم صلب (كالطبل) أو عن سائل (كهدير المياه) أو عن غاز (كالهواء إذا حبس)، والصوت ما هو إلا تتابعات سريعة لموجات من الضغط والتخلخل في الموائع أو موجات من الشد والجذب في الجوامد تتحرك من الشيء المهتز في جميع الاتجاهات، وخير تشبيه له التموجات الدائرية التي نراها على سطح الماء حين نسقط حجراً فيه، فالموجات الصوتية مثل تموّجات الماء تتحرك إلى الخارج في دوائر تزايدية، وعندما يتحرك الجسم المهتز (أي يهتز) تتحرك جزيئات الهواء التي حوله حركة تكفي لإزاحة جزيئات الهواء التي تليها التي تتحرك بدورها حركة أمامية لإزاحة جزيئات أخرى، وهكذا حتى تصل الاهتزازات إلى الأذن وتدخل الصيوان فالقناة السمعية الخارجية وترتطم بطبلة الأذن ثم تدخل الأذن الداخلية لتتحوّل إلى نبضات كهربية تصل مراكز السمع في الدماغ عن طريق العصب السمعي ولتفسّر هناك كأصوات مميزة.

خصائص الموجة

المسافة بين تضاغطين (قمتين متتاليتين) تسمى (طول موجة الصوت) وهذه تختلف فيما بين (٣) سم **للأصوات الرفيعة** و (٣) م **للأصوات الغليظة** في الهواء، ويسمى عدد الموجات التي تصل الأذن في الثانية الواحدة بتردد الموجة (ذبذبة)، وإذا ضرب طول الموجة في ترددها (ذبذبتها) حصلنا على سرعتها في الوسط الذي يحملها، وتختلف هذه السرعة من وسط لآخر، فهي في الهواء نحو (٣٤٠) م/ثا في الظروف العادية، وتزداد سرعة الصوت في الهواء كلما ارتفعت درجة حرارته، وفي الماء ثلاثة أمثال ذلك، وفي الحديد خمسة أمثاله (حوالي ٣ أميال في الثانية)، ذلك أن الصوت ينتقل من جزيء إلى آخر، وبما أن جزيئات السوائل ليست حرة كجزيئات الهواء، فعندما ينتقل الصوت خلالها لا تتحرك كثيراً كجزيئات الهواء، ولهذا ينتقل الصوت في السوائل بسرعة أكبر من سرعته في الهواء، أما في الأجسام الصلبة فالجزيئات أقرب إلى بعضها البعض عنها في حالة السوائل، وبذلك ينتقل الصوت خلالها أسرع.. وكلما ازداد تردد الصوت ازدادت حدّته (أي أصبح رفيعاً) وكلما نقص التردد (الذبذبة) كان الصوت غليظاً، ويتراوح صوت الإنسان في تردداته بين (١٠٠ ــ ٣٠٠) ذبذبة/ثا تقريباً، وتختلف درجات الأصوات، وتعتمد درجة الصوت على عدد الذبذبات في الثانية، وشدة الصوت (جهارته) تحدده (سعة الموجة) أي الفرق بين الضغط والتخلخل في الموجة أو بين (القمة والقاع)، كما أن علو الصوت وانخفاضه يحدده عدد الذبذبات في الثانية، فكلما كان عدد الاهتزازات (الذبذبات) كثيراً خلال ثانية كان الصوت عالياً، والعكس كلما كان عدد الذبذبات قليلاً خلال ثانية كان الصوت منخفضاً.

(ذبذبات في ثانية واحدة)

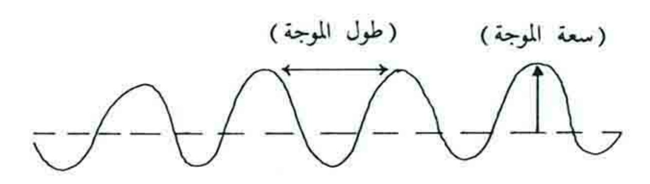


(صوت منخفض)

(ذبذبات في ثانية واحدة)

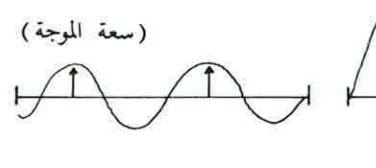
عدد الذبذبات في ثانية واحدة تحدد
طبقة الصوت (علو أو انخفاض)

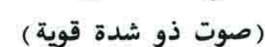
(صوت عالي)



(سعة الموجة)

(سعة الموجة)





(صوت ذو شدة قوية) **(صوت ذو شدة ضعيفة)**

شدة الصوت تزداد
بزيادة (سعة) الموجات

وأمواج الصوت تفقد قوتها كلما ابتعدت عن منبعها، كما أن أمواج الصوت تنعكس (**الصدى**) reflected وتنكسر refracted وتُمتص absorbed.. والفرق كبير بين **سرعة الضوء** (٣٠٠) ألف كم/ثا **وسرعة الصوت** (٣٣٠) م/ثا، ولذا نرى ومضة البرق قبل أن نسمع صوت الرعد بزمن.

تحديد اتجاه الصوت

سرعة الصوت تقدّر بحوالي (٣٣٠) م/ثا، والمسافة بين الأذن والأذن حوالي (٢٠) سم، والصوت يصل إلى إحدى الأذنين قبل الأخرى، فيصل إلى الأذن اليمنى في مدة ١٦٥٠/١ من الثانية قبل أن يصل إلى الأذن اليسرى، وهناك قسم متخصص في الدماغ يربط بين وقت وصول الصوت إلى الأذنين بدقة ويحسب هذه الفروق البسيطة ومن ثم يحدد اتجاه الصوت.

نغمة الصوت

إدراك الأصوات ذات الطبقات المختلفة يتم في **قشرة** cortex المراكز السمعية في الدماغ، فنغمة صوت معيّنة تسبّب ذبذبات محددة لعدد قليل من الخلايا السمعية الشعرية المستقبلة في جزء من عضو كورتي في

الأذن الداخلية ، وكل جزء من عضو كورتي له منطقة معينة من قشرة المراكز السمعية في الدماغ يرتبط بها ، وتتصل ألياف العصب القوقعي بقشرة المراكز السمعية في الدماغ ، وكل ليف منها يرتبط بجزء صغير جداً من عضو كورتي ، الذي يرتبط بدوره بقسم صغير من القشرة الدماغية . . أي أن نغمة خاصة لها ارتباط بخلايا سمعية خاصة التي لها ارتباط بجزء خاص من عضو كورتي الذي له ارتباط بقسم خاص من قشرة الدماغ . . وبهذه الارتباطات تُدرك الاختلافات الطفيفة بين طبقات الأصوات المختلفة . . كما أن هناك مراكز للذاكرة السمعية مكانها في قشرة الفصل الصدغي للدماغ .

لكل مخلوق صوت خاص

مصدر الصوت في الإنسان هو الأحبال الصوتية في الحنجرة التي تتذبذب نتيجة اندفاع الهواء من المصدر خلال فتحة ضيّقة في الحنجرة تحيط بها تلك الأحبال ، وعندما يتكلم الشخص فإنه يتحكّم في اهتزازات الأحبال الصوتية المشدودة عرضياً داخل الحنجرة ــ سنخصّص دراسة شاملة إن شاء الله عن **الحنجرة والكلام** ــ . ويختلف مدى السمع عند الإنسان من أدنى إلى أعلى الطبقات الصوتية بين (١٦ ــ ٢٠,٠٠٠) ذبذبة/ ثا ، ولحكمة أرادها الله (جلّ جلاله) فإن الإنسان لا يستطيع سماع كل الأصوات في الوجود ، ذلك أن حاسة السمع عنده مقصورة على سماع الأصوات التي ذبذبتها تقع بين (١٦ ــ ٢٠,٠٠٠) ذبذبة/ ثا ، فالأصوات التي ترددها أقل من (١٦) ذبذبة/ ثا لا يسمعها ، كما أن الأصوات التي ترددها أعلى من (٢٠,٠٠٠) ذبذبة/ ثا لا يسمعها أيضاً ، بينما نرى أن القطة مثلاً تسمع الأصوات التي ترددها (٥٠,٠٠٠) ذبذبة/ ثا ، والفأر يسمع الأصوات التي ترددها (٤٠,٠٠٠) ذبذبة/ ثا ، **والشمبانزي** (٣٣,٠٠٠) ذبذبة/ ثا ، **والخفّاش** (١٢٠,٠٠٠) ذبذبة/ ثا . . وجميع هذه **الأصوات تسمى فوق صوتية** Ultrasonic ، ذلك أن كل صوت يعلو تردده عن (٢٠,٠٠٠) ذبذبة/ ثا هو فوق صوتي . . كما أن هناك الكثير من الحيوانات التي تسمع الأصوات التي ترددها أقل من (١٦) ذبذبة/ ثا كالخيل والأسماك وغيرها ، ولذا نرى أن هذه الحيوانات تضطرب وتفر مذعورة قبل وقوع الهزات الأرضية أو الزلازل ، فهي تسمع همهمة انزلاق صفائح القشرة الأرضية التي لا يسمعها الإنسان . . ويبدو أن هذا المحيط الذي يحيط بنا مليء بالأصوات المختلفة والكثيرة ، وكل مخلوق يسمع ما يصلح له عيشه ، بواسطة آلة مخالفة صمّمت له خصيصاً لتناسب بُغية خَلْقه ، فيسمع ما لا يسمع غيره (كما يرى ما لا يرى غيره) رغم أن كل ما يُرى ويُسمع موجود وكائن . . ولكن لكل قسم وحصّة من موجود شامل .

وتقاس شدة الصوت (**بالديسيبل**) ، **والديسيبل وحدة القوة الصوتية للسمع** ويدل على أقل شدة يمكن إدراكها في كل صوت (أدنى صوت يمكن أن تسمعه أذن الإنسان) ، وأذن الإنسان تستطيع أن تدرك الأصوات التي شدتها من ديسيبل إلى (١٢٠) ديسيبل ، وما فوق ذلك هو ضوضاء يزعجها أو حتى يصمّها .

الضوضاء

الضوضاء أصوات مزعجة للأذن تنشأ عن أصوات غير منتظمة وذات شدة عالية ، والفرق بين صوت نغمة موسيقية وصوت ضوضاء يكمن في عدم انتظام الذبذبات [∿∿∿∿ ذبذبة صوت نغمة موسيقية] والضوضاء تقاس (بالديسيبل) الذي هو أدنى شدة صوت يمكن أن تسمعه [∧∧∧∧ ذبذبة صوت ضوضاء] أذن الإنسان ، فصوت الهمس أو حفيف ورق الأشجار شدته (١٠) ديسيبل ، وصوت كلام التخاطب شدته (٥٠) ديسيبل ، وصوت الشارع المزدحم بالمرور شدته (٨٠) ديسيبل ، وصوت الكومبوسة شدته حتى (١٢٠) ديسيبل ، وصوت الطائرات النفاثة شدته حتى (١٤٠) ديسيبل .

وأذن الإنسان تستريح للأصوات التي شدتها لا تزيد عن (٣٠) ديسيبل ، فإذا زادت شدة الصوت عن (٥٠) ديسيبل سبّب الضيق والتوتر ، وإذا وصلت شدة الصوت إلى (١٣٠) ديسيبل فإنها تؤلم الأذنين ، وإذا زادت عن ذلك أضرت السمع وقد تفقده . . وللضوضاء مضار جسمانية ونفسية .

آلام الأذن

تختلف آلام الأذن من ألم تسبّبه هبة ريح قوية إلى التهاب تسبّبه

★ جهاز توازن جسم الإنسان في الأذن الداخلية ★



عدوى جرثومية ، والتهاب الأذن otctis يطلق على التهاب الأذن الخارجية والأذن الوسطى والأذن الداخلية (**الالتهاب الدهليزي**) ، والتهاب الأذن الوسطى أكثرها انتشاراً بعد أن ينتشر الالتهاب من المسالك التنفسيّة عبر **قناة استاكيوس** إلى تجويف الأذن الوسطى ، وتختلف شدة الالتهاب من حالة التهابية خفيفة إلى حالة أشد خطورة بكثير وهي الالتهاب الصديدي للأذن الوسطى حيث يمتلئ تجويفها بالصديد ، وكلما كان الالتهاب حاداً كلما كان الألم شديداً وفرصة فقدان السمع أكبر .

الصمم Deafness

الإنسان البالغ الراشد يسمع عادة الأصوات التي ترددها بين (١٦ ـ ٢٠,٠٠٠) ذبذبة / ثا ، والقاصر ربما تكون له القدرة على سماع الأصوات التي ترددها (٤٠,٠٠٠) ذبذبة / ثا ، ومع تقدم العمر فإن طبلة الأذن تثخن وتفقد حساسيتها كما أن نسج الأذن الوسطى تقسو وتصلب ، وبالتالي فإن السمع يضعف . ويقدر أنه متى تجاوز الإنسان سن الأربعين فإنه يفقد من قدرة سمعه ما متوسّطه شهرياً حوالي (١٣) ذبذبة / ثا .

ومن أكثر الأعراض المصاحبة لأمراض الأذن انتشاراً هو **الصمم** ، **وأكثر ما يسبّب الصمم هو الشمع Wax الذي تفرزه مئات الغدد الصغيرة الموجودة في بطانة جدران القناة السمعية الخارجية** ، ذلك أنه أحياناً يتجمّع حتى يسد قناة الأذن تماماً ويمنع وصول أمواج الصوت إلى الأذن الداخلية ، وبإزالة الشمع من قبل الطبيب المختص يعود السمع كما كان .. إضافة إلى أن هناك صمم الضجيج والصمم المرضي والصمم الوراثي .

أقسام الأذن

(١) **صيوان الأذن The Auricle** : مكوّن من غضروف مغطّى بطبقة جلدية رقيقة مرنة قابلة للانثناء وحتى الطي .

(٢) **القناة السمعية الخارجية The external Auditory meatus** : ممر طوله حوالي (٣) سم تنفذ موجات الصوت من خلاله إلى داخل الأذن ، فيها الصملاخ وشعيرات كثيفة لحماية الأذن الداخلية .

(٣) **الطبلة Tympanic** : تقع في نهاية الأذن الخارجية ، وهي غشاء رقيق جداً وشفّاف ، ترتطم موجات الصوت بها لتنقلها إلى الأذن الداخلية .

(٤) **العظيمات السمعية الثلاث The Auditory ossicles** : المطرقة والسندان والركاب مركّب بعضها فوق بعض بشكل نموذجي لتقوّي أمواج الصوت وتضخّمها ، فتتصل يد المطرقة بطبلة الأذن وقاعدة الركاب بفتحة الكوّة البيضية ، والسندان يوصل الأجزاء العلوية من هذين العظمين مع بعض .

(٥) **قناة استاكيوس eustachian tube** : وتصل ما بين تجويف الأذن الوسطى وتجويف البلعوم الموجود خلف الأنف والفم والحنجرة ، مهمتها السماح بمرور الهواء الذي يُبقي الأذن الوسطى في نفس حالة ضغط الجو في الخارج وليكون الضغط على جانبي غشاء الطبلة متعادلاً .

(٦) **القوقعة The cochlea** : تشبه القواقع بتركيبها وهي أهم جزء من أجزاء الأذن الداخلية ، حلزونية الشكل ، يتصل جزؤها العريض بالنافذة البيضاوية ، وعندما تتحرّك قاعدة الركاب إلى الداخل وإلى الخارج فإن الليمف الداخلي في القوقعة يتحرك تبعاً لذلك ، ونتيجة لهذا التحرك تتذبذب الشعيرات السمعية الصغيرة داخل القوقعة وتسري نبضات عصبية كهربية من قواعد هذه الشعيرات عبر العصب السمعي إلى الدماغ .

(٧) **العصب السمعي Auditory Nerve** : ينقل النبضات العصبية من الشعيرات السمعية داخل القوقعة إلى الدماغ .

(٨) **النافذة البيضاوية The venestra ovale** : يحتل الفراغ الصغير في العظم بين الأذن الوسطى والأذن الداخلية ، وقاعدة الركاب تملؤها تماماً .

(٩) **القنوات الهلالية The semicircular** : لا علاقة لها بالسمع ، وهي جزء من جهاز توازن الجسم ، مكانها خلف التيه العظمي للأذن ، وتمتلئ قنواتها بالليمف السائل اللزج الذي يتحرك بداخلها ، كما توجد في السائل شعيرات تتحرك في سرعة أو بطء حسب حركة الإنسان أو وضعيته ، وداخل القنوات أيضاً بللورات الكالسيوم المختلفة الأحجام والأوزان وتتحرك أيضاً بحسب حركة الجسم ، فإذا أحني الرأس تحركت البللورات الثقيلة إلى أعلى وهبطت الخفيفة إلى أسفل لتحفظ توازن الجسم ، ولأن هذه البللورات تؤثر حركتها في عصب التوازن السمعي المؤدي إلى مركز التوازن في الدماغ .

(١٠) **الغشاء السمعي** : مجموعات من الخلايا السمعية تقوم على نسيج باسال العضوي كأنها أطراف تاج وهي تحوّل الموجات الصوتية الميكانيكية إلى موجات كهربائية ، داخل أذن كل إنسان حوالي (٣٠,٠٠٠) شعيرة تضعف ويتحلل بعضها شيئاً فشيئاً مع تقدم العمر .

تطور الأذن
The development of the ear

تبدأ الأذن في النمو وتتطور والجنين embryo عمره بضعة أسابيع ، وتشارك **الطبقات الجرثومية الثلاث للجنين** three germ layers في هذا التكوين ، وخلال الأسبوع الخامس والسادس من عمر الجنين وعندما تكون التراكيب البدائية للعيون والأنف قد بدأت تظهر ملامحها تبرز ستة نسج صغيرة حول طيّة من طيّات الرقبة في طرف الجنين ، وتدريجياً تتحرك هذه الفروع النسجية الصغيرة إلى أعلى خلف مفصل **الحنك** jaw لتتكوّن منها الأذن الخارجية وتراكيبها الغضروفية وتلتف حول القناة السمعية الخارجية التي تأخذ شكلها البدائي وتظهر من طبقة **المضغة الظاهرة** ectoderm .. وأيضاً تنمو طبلة الأذن في هذه الفترة ..

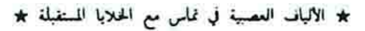
وخارج كيس طبقة الجنين الجرثومية الداخلية entodorm وفي نفس الوقت يتشكّل كهف في جدار جانبي من **البلعوم** Pharynx حيث تبدأ في اثماء قناة استاكيوس في الأذن الوسطى ، والعظيمات السمعية الثلاث (المطرقة والسندان والركاب) تتشكل من الطبقة الجرثومية الوسطى mesoderm للجنين وعمره أربعة أسابيع حيث إن مجموعات من الخلايا تتكاثر وتأخذ مكانها في الطبقة الجرثومية الوسطى وتشكل أساس بداية نماء هذه العظيمات . . وأما أعضاء السمع والتوازن والظهارات الحسية (النسج التي تبطن التجاويف) والخلايا السمعية فتنمو من طبقة المضغة الظاهرة ectoderm ، ومع نمو الجنين المستمر يلتف النسيج على نفسه ويُغلق وتتشكل وشعيرات وفروع ونتوءات تتكوّن منها القوقعة والقنوات الهلالية وبقية أقسام الأذن ، وأقسام من الظهارة epithelium تبدأ فيها تحولات تشكل الخلايا السمعية المستقبلة التي تتصل مع العصب السمعي .

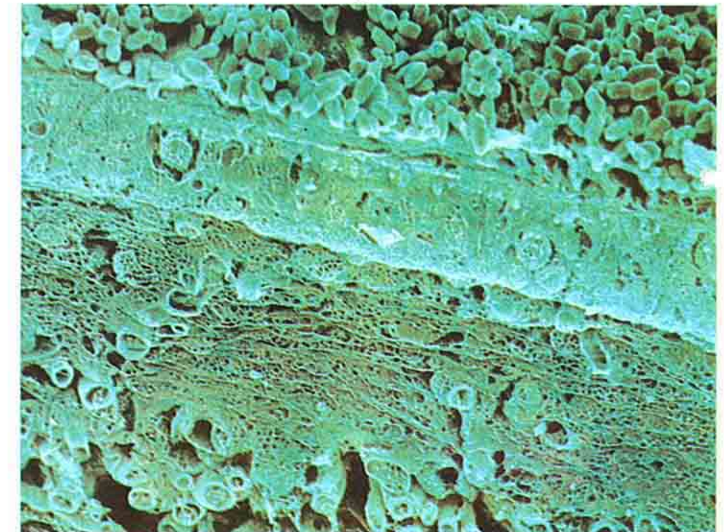
جهاز التوازن

The organs of equilibrium

تحتوي الأذن الداخلية على جهاز ذو أهمية بالغة لحفظ توازن جسم الإنسان ، وهذا الجهاز هو (**جهاز التوازن**) الذي يمكّن الإنسان من الاحتفاظ بتوازن جسمه الدائم ، وأي خلل أو تخريب في هذا الجهاز يؤدي إلى إصابة الإنسان بالدوار ، كما أنه يصبح غير قادر على الاحتفاظ بتوازنه عند المشي أو الوقوف ويترنّح ، واهتزاز الجسمي بصورة مستمرة (من سيّارة أو طائرة) يؤثر على جهاز التوازن في الجسم ويؤدي للدوار .

ويتكوّن جهاز التوازن من **القنوات الهلالية الثلاث** التي تمتد متعامدة على بعضها البعض والقريبّة utricle والكييّس saccule ، والقنوات الثلاث تمثّل أبعاد الفراغ الثلاثة (من الأمام إلى الخلف ، ومن اليمين إلى اليسار ، ومن الأعلى إلى الأسفل) وهي التي تُوازن رأس


★ الألياف العصبية في تماس مع الخلايا المستقبلة ★



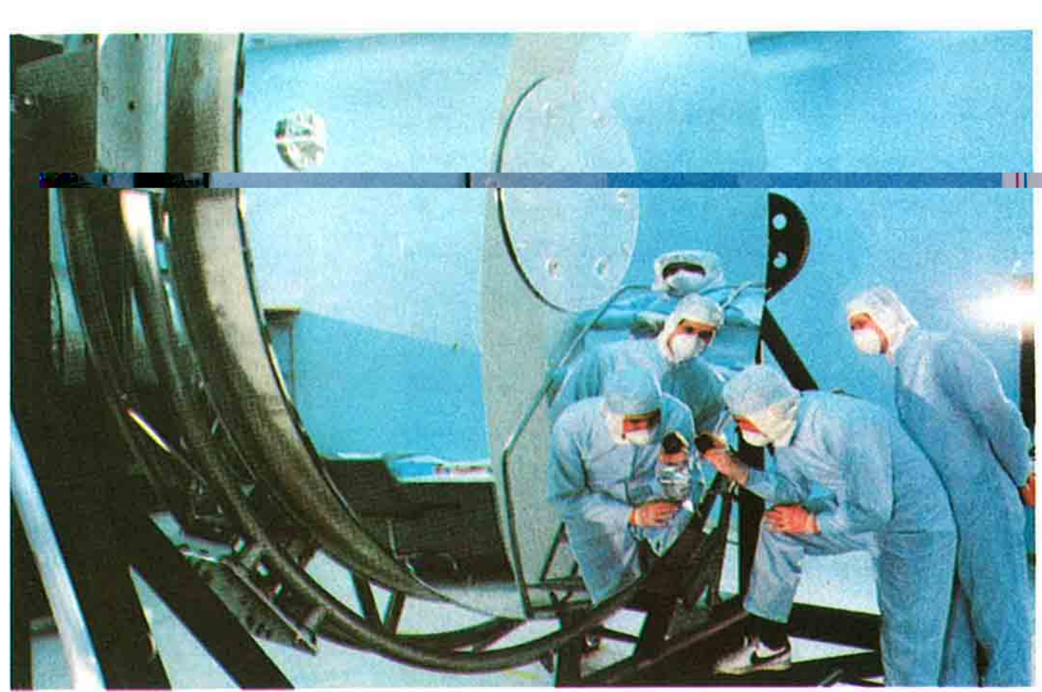
وأعضاء الإنسان في الفراغ ، كما أن القريبّة والكييّس يوازنا بقية أعضاء الجسم .

وجهاز التوازن وجهاز السمع (القوقعة) مكانهما في التيه العظمي في الأذن الداخلية ويحتويان على خلايا مستقبلة receptor cells تستجيب لقوى الجاذبية والتسارع ، والتيه مملوء بسائل مائي هو الليمف الخارجي Perilymph والتيه الغشائي يحوي سائل **الليمف الداخلي** endolymph والقريبّة والكييّس يكوّنان القسم الأوسط من هذا التيه ، والشعيرات في الخلايا المستقبلة المتوّجة بغشاء هلامي (جلاتيني) تنغمر فيها **بللورات الكالسيوم** crystals of calcium التي تدعى بالحصوات الموازنة والتي تقف كصخور منتصبة في الليمف الداخلي ، وعند انحناء الرأس فإن هذه الصخور لا تتبع حركة الرأس هذه ولكنها تنزلق على الخلايا المستقبلة ، كما أن الخلايا الشعرية تنحرف بتبدلات ثانوية وبحسب الوضعيات ، وتنبّه النهايات العصبية التي بدورها تنقل هذه الدوافع إلى الدماغ . . وفيما بين المراكز الأخرى تُنقل الإشارات الحسية إلى **المخيخ** cerebellum الذي يضبط أوتوماتيكياً انقباضات عضلات الجسم بعد أن تنظّم الأوامر اللازمة في قشرة المنطقة الحركية من الدماغ وتوجّه إلى العضلات المناسبة ، ولأن الخلايا المستقبلة تُعلم الدماغ فوراً بكل تبديل في وضعية الجسم .

والقنوات الهلالية الثلاث مرتّبة بحيث تستوعب الأبعاد الثلاثة ، وفيها أقنية غشائية تتكيّف مع الاستواء ومع العمودية ، فعندما نجلس تتخذ القناة الجانبية الوضعية الأفقية تقريباً ، والقناة الأمامية تتوازى مع جانب الرأس ، والقناة الخلفية توازي استواء الوجه . . كما أن كل قناة تحتوي على خلايا مستقبلة تتحكّم في الحركات الدورانية للرأس ، فمثلاً عندما يتحرك الرأس أفقياً فإن الخلايا المستقبلة في القناة الجانبية تتنبّه . . وهكذا بقية حركات الرأس . . وعندما يتحرك الرأس فإن حركته تنقل إلى الليمف الداخلي في الأقنية الهلالية ، ويُدفع القمع في اتجاه سيلان الليمف ، وتنحني الشعريات ، وتُحث الخلايا المستقبلة ، وتُنقل الدوافع (الحث) إلى الدماغ . . **والألياف العصبية** Nerve fibers الواردة من الأقنية الثلاث تنضم للألياف العصبية الواردة من القريبّة والكييّس لتشكّلا **العصب الدهليزي** Vestibular nerve وتنضم أيضاً الألياف العصبية الواردة من القوقعة ولتشكّلان جميعاً عصبان سمعيان رئيسيان يذهب كل عصب منهما إلى نصف دماغ .

ويشارك المخيخ في عملية توازن الجسم بعد أن ينقل إليه العصب الدهليزي حس الوضعيات ووضعية الرأس ، كما يشارك في عملية التوازن الدهليزي والحبال الخلفية من النخاع الشوكي التي تنقل الحس العميق ، والبصر الذي يقدّر الوضع والمسافات ، والعضلات والعظام والمفاصل التي تتقيّد بالأوامر اللازمة لتحدث الشد المناسب . . جميع هذه العمليات من مختلف هذه الأعضاء تترابط وتتنسق لتعطي الإنسان توازناً من أعلى المستويات المدركة .





فضاء Space

مرآة تلسكوب الفضاء : دانبري Danbury .

الفنيون يضعون اللمسات الأخيرة ، ويفحصون **مرآة تلسكوب الفضاء** التي يبلغ قطرها (٢,٤) متر ، والتي صقلت إلى حد الكمال رغم حجمها الكبير ، وهي بسطح منحن ، ولا يزيد الانحراف فيها عن واحد من مليون من الإنش ، ونرى في الصورة العلماء الفلكيين الأمريكيين ،

طب Medecine

مستشفى عيون طائر : هيوستون Houston .

طبيب العيون العالمي الجراح **(دافيد باتون David paton) من جامعة بايلور** أقام **مستشفى عيون طائر داخل الطائرة النفاثة** (D.C-8 jet) وذلك لغرضين : الأول إجراء العمليات الجراحية لأبناء البلاد الفقيرة . والثاني لتعليم أطباء وجراحي هذه البلاد آخر التقنيات في ميدان جراحة العيون ، ونرى في الصورة الأطباء الجراحين يعملون في غرفة عمليات غير عادية جهِّزت في كابينة الطائرة النفاثة حيث يزرعون **عدسة عين** lens في **قرنية** cornea مريض في رحلة الطيران الأولى لهذا المستشفى الطائر الذي حط في **دولة بناما** .. وقد استطاع الفنيون التغلب على المشكلة الرئيسية التي اعترضت تنفيذ هذا المشروع الهام وهو السيطرة على الاهتزاز الذي يحصل من جراء حركة الأطباء ، وتيارات الهواء التي يمكن أن تهز جسم الطائرة الخفيف ، فأقاموا طاولة عمليات مثبتة ومجهر مثبت .. هذا ويأمل الجراح العالمي باتون في إنقاذ ملايين الأولاد من العمى خلال العقد القادم من هذا القرن في مستشفاه الطائر .



يستخدمون أجهزة **الكومبيوتر** لفحص وصقل زجاج المرآة ، وبعد ذلك ستغطى بمعدن الألمنيوم الذي سيسد الفراغات والتجاويف .

والتلسكوب الفضائي سيضعه **مكوك الفضاء الأميركي (كولومبيا)** في مدار محدد حول الأرض في بداية عام (١٩٨٥ م) ، على ارتفاع حوالي (٦٠٠) كيلومتر من سطح الكرة الأرضية ، وسيقوم هذا التلسكوب بالكشف عن الضوء القادم من النجوم والمجرات السحيقة الأبعاد ، وسيلتقط صوراً أوضح بكثير مما تلتقطه المراصد الأرضية ، وسيتمكن من رؤية أجرام سماوية ضوءها أخفت بـ (٥٠) مرة مما تلتقطه أقوى المراصد الأرضية ، كما سيمكننا من رؤية أجرام سماوية تبعد أكثر من (١٤) بليون سنة ضوئية ، أي (٧) مرات أبعد مما نرى الآن بمراصدنا الأرضية ، وربما يساعد هذا علماء الفلك على تقدير عمر الكون .





حيوان Animal

نحل يصنع عطره الخاص : جينزفيل Gainesville .

الكثير من الحشرات تفرز الروائح لجذب الذكور إليها ، لكن نحلة **زهرة الأوركيد** orchid هي أول حشرة معروفة تقوم بتقطير عطرها المحبب من عصارة زهرة الأوركيد بآلية مازالت مجهولة ، وبحسب ما اكتشفه **عالم النبات في جامعة فلوريدا (نوريس ويلليامز Norris Williams)** فإن ذكر نحلة الأوركيد يقوم باستخدام العصارات التي يجمعها من أزهار الأوركيد في الحدائق والبساتين في تصنيع نوع من العطر رائحته محبّبة للإناث يطلقها في الجو لجذب الإناث في موسم التزاوج .. إلى الآن **لم يستطع علماء الحشرات رغم مراقباتهم الدقيقة أن يعرفوا كيف يقوم النحل بتصنيع هذا العطر من هذه الروائح** ، وكل ما يعرفونه أنه عندما يحين موسم التزاوج تقوم الذكور بنشر هذا السائل المعطر القوي الرائحة من مكان ما عند الرأس .. وقد تبين للعالم ويلليامز أن نحلة الأوركيد تعيد خلط وتركيب المواد الكيميائية التي تحصل عليها من الزهور لتصنع منها مركّباً جديداً بمواصفات وخواص مختلفة .

ويقول ويلليامز لا بد أن العطر الجديد ذو رائحة مغايرة لرائحة زهرة الأوركيد ، ذلك أن أنثى النحل لا تجذبها رائحة زهرة الأوركيد الأساسية .. هذا ويعتزم العالم ويلليامز في العام القادم أن يضع مواداً مشعة في عصارات زهرة الأوركيد ، ثم سيتابع سريان هذه الروائح في جسم ذكر النحل بكاشفات نووية خاصة لمعرفة أين وكيف تتم هذه التبدلات الكيميائية التي تحول الروائح إلى عطور .

لوحة وفنان

اللوحة : المسرح الدولي والشعوب

● يصور الفنان في اللوحة المعروضة موضوعاً إنسانياً يخاطب فيه عقل ووجدان المشاهد ، بل ويثير فيه الأسئلة والاستفسارات عمَّا يقصده الفنان في هذه اللوحة .. وبماذا توحي مفرداته وعناصره ؟ .. وبماذا يرمز إلى المسرح الدولي ؟ .

● استخدم الفنان الرمزية في لوحته ، فالمسرح هنا ليس مسرحاً يقوم عليه بعض الممثلين لتأدية أدوار محفوظة في مسرحيات كلاسيكية أو تاريخية أو درامية أو كوميدية .. وإنما المقصود به هو مسرح الحياة .. مسرح الأحداث .. الممثلون هم الجمهور .. والمخرجون هم الساسة وتجار الحروب ، والمسرحيات التي تؤدى عليه هي مسرحيات واقعية فرضها الواقع وفرضتها الأحداث .

● الهيكل الحديدي الهرمي الشكل القائم على المسرح ، يصوره الفنان على شكل مجموعة بشرية ، وقد رمز الفنان بذلك إلى إحلال الآلة والإنسان الآلي محل الإنسان ، ويعلن الفنان خوفه على مستقبل ومصير الإنسان بتصويره جمجمة بجانب الهياكل الحديدية ، والجمجمة هنا رمز لموت الإنسان ودماره ، أي نتيجة سيطرة الآلة أو تحول الإنسان إلى آلة ، أي آلية الإنسان .. أما الأحذية القديمة البالية في اللوحة فهي ترمز إلى الفقر ، وربما رمز بها الفنان إلى الصراع بين الدول الغنية والدول الفقيرة .

● صور الفنان اللوحة في إطار البعدين رغم أنه قد صور مسرحاً داخلها ، وأسقط البعد الثالث في المسرح وفي اللوحة ككل .. وقد قسَّم اللوحة عرضياً إلى قسمين ، ورسم خطوطاً رأسية في كل من القسمين العلوي والسفلي ليحقق الاتزان الخطي ، وليحدث إيقاعاً بين المساحات .

ورغم أن الفنان استخدم ألوان متضادة ومتنافرة إلى حد ما ، بل إنها أقرب إلى الألوان الزخرفية منها إلى التصوير ، إلا أن الألوان بصفة عامة منسجمة في اللوحة ككل .

الفنان : محمد الشيباني

● ولد بالكويت عام ١٩٥٣ م .

● حصل على دبلوم معهد التربية الفنية للمعلمين عام ١٩٧٨ م .

● اشترك في بعض معارض الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية منذ عام ١٩٧٦ م .

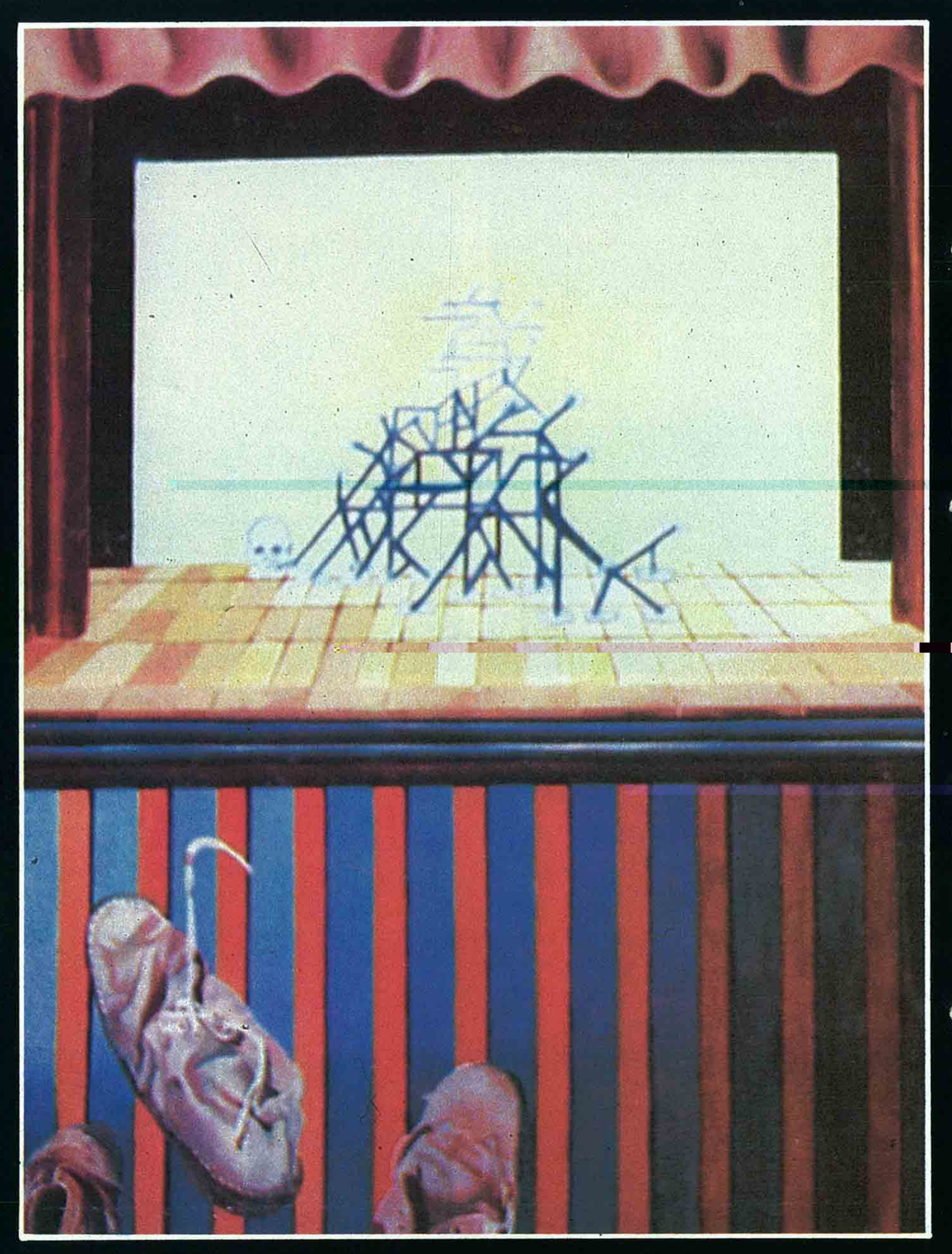
● اشترك في معرض طلبة الثانوية لجمعية المعلمين الكويتية عام ١٩٧٤ م .

● مثَّل الكويت في المعرض الخامس للشباب العربي بسورية عام ١٩٨١ م .

● شارك في معرض التوجيه الإعلامي في إسبانيا بمناسبات نهائيات كأس العالم عام ١٩٨٢ م .

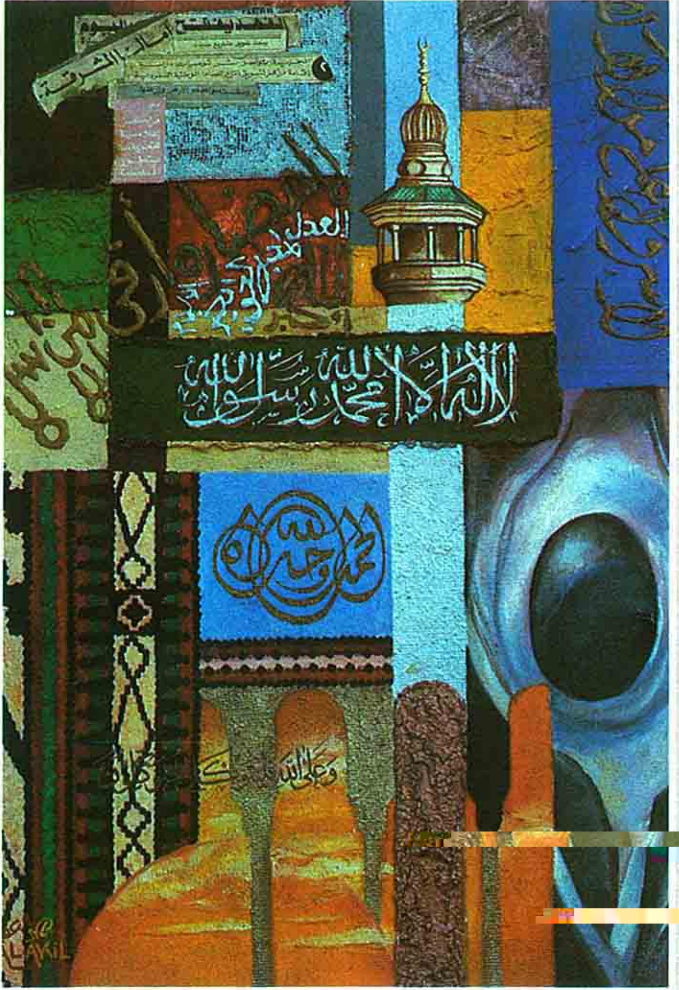
● حاز على الجائزة الأولى في معرض طلبة الثانوية لجمعية المعلمين بالكويت .

● نال شهادات تقديرية من بعض المعارض التي شارك فيها ، ومنها معرض الجمعية « العام الرابع عشر » عام ١٩٨٢ م .





★ من أعمال الفنان يوسف العمير ★



★ لوحة للفنان ناصر محمد العقيلي ★

المحاكاة والتجريب في معرض الفن السعودي المعاصر

بقلم: سمير ظريف

المعاصرة أن يكون الإنسان ابن عصره الراهن فكراً، وسلوكاً، وقيماً، وكياناً، وتركيباً.. أي إنها تحديد لموقع الإنسان في سياق تاريخي محدد، مع مراعاة تراث الإنسان وأصالته.

ولكي يكون الفنان معاصراً، لا بد أن يبدع عن ثقافة معاصرة، لأن الفنان أو الإنسان بوجه عام كائن ثقافي.. يضاف إلى ذلك ضرورة فهم الحضارة الحديثة، والأسس التي تقوم عليها عملية تكاملها.

والطريق للوصول إلى **فن تشكيلي سعودي معاصر** شاق ويحتاج إلى عامل الزمن، الذي لا غنى عنه، إلى جانب الجهد الجاد المخلص المتواصل من قبل كل الأطراف المساهمة في ترسيخ الفن لتحقيق المعاصرة الأصيلة، هذه الأطراف الممثلة في:

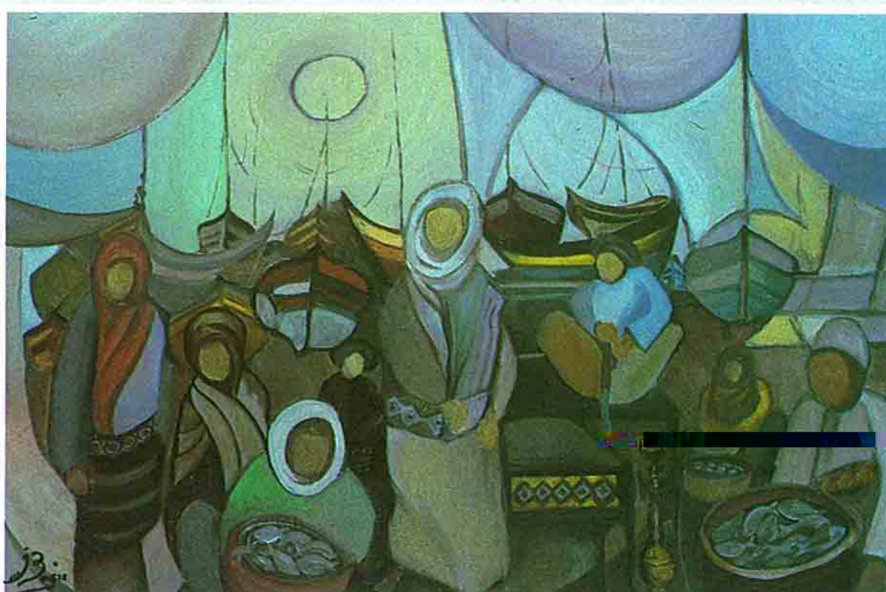
١ ـ الجهات التي تقوم بتدريس الفنون، وهي في الوقت الحاضر جهات تعليمية تربوية مهمتها الأساسية تخريج دفعات من المدرسين، خاصة في مجال التربية الفنية.. ولا غبار على تلك الجهات لأن منهجها ودورها الأساسي يتمثل في تخريج المدرسين فقط، أي إنها ليست

★ لوحة للفنان عبد الله الشلتي ★

أكاديمية فنية متخصصة لتخريج الفنانين .

٢ ـ الجهات المشرفة على الحركة التشكيلية ، وهي تقوم بأداء رسالتها من خلال إقامة المعارض وتشجيع الفنانين ، وإتاحة الفرص لهم للاحتكاك بغيرهم من الفنانين العرب وغير العرب .

★ من أعمال الفنان إبراهيم بوقس ★



٣ ـ الإعلام .. ودوره الإيجابي في التوعية الفنية للفنانين أنفسهم وللجمهور ، عن طريق الصحافة والإذاعة والتلفزيون ، إلى جانب دوره في عملية النقد الفني البناء .

٤ ـ الفنانون ومسؤولياتهم تجاه أنفسهم ومجتمعهم ، وتجاه المجتمعات الأخرى ، وتجاه عملية التطوير نفسها ، وبناء الحضارة المعاصرة التي لن تتحقق إلا بالجهد والمثابرة والثقافة والتجربة .

وفي معرض **الفن السعودي المعاصر** تثير فينا الأعمال الفنية حواراً لا ينتهي تجاه المعاصرة ، فنجد الكثير من الفنانين يحاولون الخروج على الطبيعة لكي لا يقعوا في المحاكاة « أي تمثيل الطبيعة كما هي في الواقع » ، ولتكون أعمالهم الفنية في مستوى المعاصرة أو على



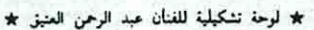
طريقها ، ولتعبِّر عن روح العصر .. ونجد بعضهم على طريق التجريب في القيم التشكيلية ذاتها بغض النظر عن الموضوعية أو المضمون الأدبي ، فالقيم التشكيلية هي مضمون في حد ذاتها .. أما البعض الآخر من الفنانين فيحاولون الاستلهام من التراث لتحقيق فن سعودي معاصر مستمد من تراث البيئة ، وأيضاً من التراث الفني الإسلامي العظيم .

إذن ، نستنتج من هذا المعرض ، أن الفن التشكيلي السعودي في مرحلته الحالية يمر بمحاولة الانعتاق أو الخروج عن المحاكاة وبمرحلة التجريب ، نظراً لأن الفن طريق الخبرة والتجربة ، والمعاناة والثقافة .. وأن الإبداع الفني هو نتاج عاملي الزمن والتجربة .

وفي هذا المعرض الهام الذي أقامته **الرئاسة العامة لرعاية الشباب** ، والذي رصدت له **أكثر من مائة وعشرين ألف ريال كجوائز تشجيعية** ، وجوائز اقتناء للفنانين الفائزين ، بهدف تشجيعهم على مواصلة الجهد ، وحفزهم على الابتكار والإبداع .. يبرز الكثير من الفنانين الجادين ، لا يتسع المقال للتحدث عن كل هؤلاء الفنانين الجادين الصادقين في تجربتهم الفنية ، لكننا سنتناول الأعمال الفنية لبعضهم بالشرح والتحليل .



★ لوحة تشكيلية للفنان سليمان باجبع ★



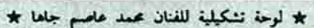
سليمان باجبع

يصور في لوحته الفائزة **بالجائزة الأولى** في التصوير ، أربع فتيات في حالة عودتهن من الغدير ، وقد رسم في الخلفية بعض المباني والأشجار .. وموضوع الفنان الرئيسي في هذه اللوحة ليس تصوير هذا المشهد فقط ، وإنما هو استخدام العناصر الشعبية في بيئته في تكوين جمالي .. فالفتيات عبارة عن مساحات مقسمة بشكل هندسي إلى وحدات صغيرة ، وإلى زخارف شعبية ، لذلك استخدم الفنان في معالجتها الألوان الشعبية الصريحة بتباينها (الأحمر

★ لوحة تشكيلية للفنان عبد الرحمن العتيق ★





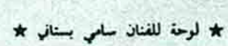

★ لوحة تشكيلية للفنان محمد عاصم جاها ★

والأخضر والأزرق والبنفسجي) ، أي إن مشخصاته عبارة عن مساحات زخرفية ، أما الخلفية التي توحي بالسكون فقد صور فيها الفنان فتاتين في حالة دخول أحد المنازل ، وقد عالجها بالألوان الهادئة لكسر حدة الألوان المستخدمة في المشخصات ، ورغم أن ذلك قد نشأ عنه اختلاف في التكنيك المستخدم في المشخصات عنه في الخلفية ، إلا أن استخدام الألوان بتلك الكيفية قد حقق الراحة النفسية للمشاهد .

محمد عاصم جاها

الفائز بالجائزة الثانية في التصوير عن لوحته **«نظرة إلى السماء»** ، وللدلالة على موضوعه صور الفنان عيناً في مركز اللوحة ينبع منها اسم الجلالة مكتوب باللون الأبيض ، ويتحرك الاسم في اللوحة كأنه الصوت والصدى المتردد في الفضاء ، ولم يصور الفنان أي عناصر أخرى في اللوحة سوى بعض المباني التي لا يظهر منها سوى الأبواب . . والكتلة في اللوحة تظهر كأنها أوراق متناثرة أو رقائق معدنية ، وقد صور الفنان السماء الزرقاء بشكل درامي ، وكأنها في حالة برق أو رعد ، أما أشكاله فبوجه عام هلامية متحركة ، وألوانه رمزية ، واللون الأبيض هو أبرز عنصر في اللوحة يتحرك وينتشر بشكل مريح لعين المشاهد .

وفي لوحته **«ذات الخمار»** يصور وجه امرأة ترتدي الخمار ، ويظهر من خلالها قدرته على الرسم التي تتمثل في رسم العين ، ويتلاشى الوجه في أطراف اللوحة . . ويعتمد الفنان في هذه اللوحة على عنصر الخط فهو منحني ولولبي دائم الحركة في جميع أجزاء اللوحة ، وهذا النوع من الخطوط يعني الاستمرار ، أما الألوان المستخدمة فهي ذات الشق الدافئ وقد ألف الفنان منها نغمات لونية موسيقية جميلة .


★ لوحة للفنان سامي بستاني ★



عثمان الحزيم

وقد عُرض له بالمعرض ثلاث لوحات (**حوار مع الماء – برتقالي – صورة شخصية**) . في اللوحة الأولى صور وجهاً ذو نظرة تتسم بالغرابة ، وسط مساحات لونية متباينة الدرجات ومتحركة بحيث تظهر أشكال مساحاته كأنها أعشاب موجودة تحت سطح الماء . . والوجه هو مركز الضوء في اللوحة ، أما أطراف اللوحة فهي مظلمة ، لذا ظهر الإنسان كأنه يسبح في عالم غامض غريب .

وفي لوحته الثانية يصور إنساناً لا يستطيع المشاهد الاستدلال عليه ، إلا من خلال يده التي تمتد لتمسك برتقالة ، والتكوين راسخ البناء في اللوحة . . أما لوحته الثالثة فهي صورة شخصية تتسم بالغرابة التي تتضح من عيني الفتاة ، وقد استخدم العناصر والزخارف الشعبية في خلفية هذه اللوحة . . وأسلوب الفنان بصفة عامة يتسم بالرؤية الذاتية .

أحمد منش

وقد فاز **بالجائزة الثالثة في التصوير** عن لوحته « **المساء** » التي صور فيها مجموعة من المنازل بألوان متوافقة ومنسجمة ، وفي لوحته « **الانطوائية** » يصور شخصاً جالساً وهو يرتدي جلباباً أبيضاً ، كأنه داخل بيضة ، فالشكل الأساسي في اللوحة بيضاوي ويظهر في الخلفية شكل دائري لشمس أو قمر ، ويرمز بالشكل البيضاوي [illegible] الانطلاق أو التقوقع أو الانطوائية .

علي الغامدي

يصور في لوحته « **إسلاميات** » ثلاثة خيول عربية ، وهلالا ومساجد وأحرف عربية ، أي إنه يجمع العناصر والمفردات والرموز الإسلامية ، وذلك في تكوين هرمي يمزج فيه الأشكال والأحرف العربية التي يستخدمها كعنصر متحرك في اللوحة .

صالح منصور خطاب

اشترك بمجموعة من اللوحات تحت عنوان « **منظر طبيعي** » سجل فيها الطبيعة ، لكنها تظهر كأنها أداء فوتوغرافي ، وتعتبر تلك المجموعة بمثابة دراسات في المناظر الطبيعية ، وقد فاز في إحداها وهي دراسة بالقلم الرصاص لمنظر طبيعي **بالجائزة الأولى في الرسم** .

حمزة باجودة

وأسلوبه أقرب إلى **المدرسة التأثيرية** فقد صور موضوع المراكب ، أي التصوير من الطبيعة من حيث الموضوع ، واستخدم لمسات الفرشاة الواضحة المتقطعة وتأثير الضوء على الأشكال ، أي نفس تكنيك التأثيريين .

محمد منصور الأعجم

اشترك بلوحتين « **وجه من الجنوب – منظر** » . في اللوحة الأولى صور وجه رجل من جنوب المملكة بقبعته المتميزة وملابسه وهو يظهر في وسط الحقول وذلك بأسلوب يعتمد على لمسات الفرشاة وتأثيرها كملمس للسطح ، واستخدم ألواناً مضيئة مشرقة كألوان التأثيريين في التصوير . . أما في لوحته الثانية فاعتمد في تصويره للمنظر على حركة الفرشاة واتجاهاتها في اللوحة ، فاللون في اللوحة على شكل خطوط أو أنغام متحركة في اتجاهات مختلفة . . العنصر الأساسي في اللوحة هو الشجيرات ومنها تنبع الاتجاهات فكأنها مراكز ثقل في اللوحة أو بؤرات ، وينتقل الفنان من الألوان الصفراء إلى الخضراء إلى الزرقاء والبنفسجية ببراعة فتبدو اللوحة كأنها نغمة واحدة ، وبذلك حقق النسيج العضوي في اللوحة .

عبد الله نواوي

تبرز لوحته « **الربيع** » بألوانه الجميلة المنسجمة ، فهو يستخدم الألوان ذات الشق البارد المتجانسة ليعزف بها لوحة غنائية ، فهنا يستخدم الفنان الألوان ويوظفها للدلالة على موضوعه ، فالموضوع عنده هو مجرد إطار يبرز من خلاله تكنيكه التشكيلي فالمنظر لبعض المباني التي تظهر من بعد ، وبعض الأشجار ، لكن اللون وهو العنصر الأساسي في اللوحة يجعل المتلقي يشعر بالربيع .

إبراهيم محمد المحارب

قدم لوحتين الأولى « **طبيعة صامتة** » لعناصر من البيئة بألوان منسجمة هادئة في تكوين يتوسط اللوحة . . والثانية « **شبح المدينة** » ، صور فيها إنساناً جالساً يملأ فراغ اللوحة فلا يظهر في الخلفية سوى بعض الأبنية المهدمة . . صور الإنسان أو الشبح بعين واحدة وهو يجلس القرفصاء ، واستخدم الفنان التشويه الفني في تصويره للشبح لإبراز موضوعه ، وقدم تحليلاً جديداً لليدين والقدمين يخدم به المضمون الذي يريد الفنان تصويره .

أحمد خضري

يصور في لوحته داخل الحارة مجموعة كبيرة من الناس يتحركون في اتجاهات مختلفة ، وهم في حالة عمل ، وقد وزعهم الفنان في جميع أجزاء اللوحة وهم في حالة تشابك مع المباني ، وهذا يدل على التآلف في الحارة ، وتوطيد العلاقات الاجتماعية وأواصر الروابط بين الناس في الحارة . استخدم الفنان الألوان الداكنة في معظم أجزاء اللوحة ، وحقق باللون والشكل النسيج العضوي باللوحة .

هادي سالم الخالدي

في لوحته « **من الماضي** » أشكالا مستمدة من البيئة السعودية . . « **الدلة** » التي تتوسط اللوحة ، و « **الإبريق** » وشكل مستمد من « **المبخرة** » في الجانبين ، وتبدو أشكاله كأنها كائنات عملاقة تقف في صمود وإصرار ، ويبرز ذلك تصويره المباني والإنسان والحيوان بأحجام صغيرة . . ويدعو الفنان في هذه اللوحة إلى التمسك بالماضي الذي يرمز له بالدلة والإبريق . . فالماضي بالنسبة للفنان هو التراث والأصالة .

رضا حبيب معمر

يقدم لوحة رسم صورها بالأقلام الملونة ،

وهي صورة شخصية «**بورتريه**»، استخدم فيها الأسلوب السيريالي، فالوجه ينبع من أشجار، وتطل من جبهته عين واحدة توحي بالرعب، والدموع تساقط كأنها لغط.. والألوان في الوجه والخلفية واحدة، أما في السماء فهو درامي ويؤكد درامية الموضوع بتصويره حركة السحب.

طه صبان

في لوحته «**قبل الصيد**» صور مجموعة من البشر في حالة حركة، أي في حالة تحضير أدواتهم قبل الخروج للصيد، والشكل في اللوحة يمتد أفقياً من أحد أبعاد اللوحة إلى البعد الآخر، وينبع من هذا الشكل الرئيسي خطوط رأسية حادة لتحقيق الاتزان مع المساحة الأفقية التي تزخر بعناصر موضوعه.

سامي بستاني

سجل في لوحته «**حارة الظلام**» الأبنية التي تتميز بها المنطقة الغربية، فيتوسط لوحته بناء معماري أبيض مرسوم عليه الشبابيك ذات الرواشين «المشربيات» البنية، واللوحة هي أداء فوتوغرافي، لكن أهميتها في تسجيل تلك الطرز المعمارية قبل اندثارها أو هدمها أمام حركة العمارة الحديثة.

أحمد عبد العزيز الأعرج

اشترك بلوحتين الأولى «**بقايا قصر**» صور فيها قصراً أثرياً قديماً مهدماً يثير هدمه تساؤل المشاهد، فهل هدم نتيجة القدم وأثر الزمن.. أم نتيجة التقدم التكنولوجي وزحف العمارة الحديثة؟

وفي لوحته الثانية «**من البيئة**» يصور مشهداً خارج المنزل للأدوات التي يستخدمها البدوي، وأساس تكوينه في العلاقة بين المستطيل المتمثل في الباب والمربع المتمثل في الشباك والفتحة المثلثة أعلى الباب.. أي إن اللوحة واقعية مرسومة في إطار هندسي.

عبد الله حماس

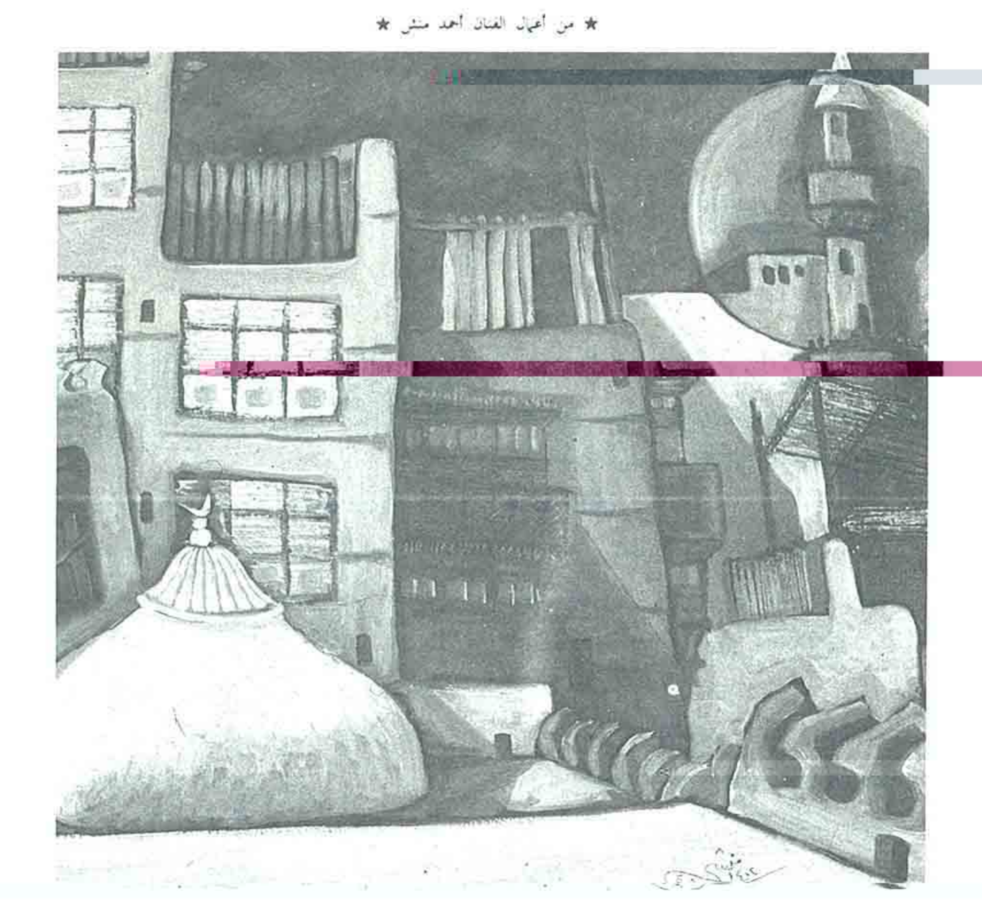
عرضت له لوحتان (**سباق الخيل - منازل من الجنوب**)، يحيل الخيول في اللوحة الأولى إلى مساحات هندسية توحي بالحركة في اتجاه واحد، ويلونها بألوان مختلفة على أرضية صفراء يرمز لها بالصحراء، وتنتمي لوحته **للمدرسة التجريدية**.. أما لوحته الثانية فهو يصور منازل من منطقة الجنوب بزخرفتها الشعبية المتميزة، واللوحة مقسمة إلى جزءين، الجزء السفلي منها يمثل الأرض ينثر الفنان فيه منازله ومزروعاته، وعناصره.

سعود القحطاني

صور في لوحته «**منازل شعبية**» الزخارف الشعبية المرسومة على ثلاثة منازل وسط مساحة زراعية، والمنازل عبارة عن مساحات مبسطة من بعدين، فهو يسقط المنظور ويؤكد ذلك باللون الأخضر الداكن في الخلفية المتساوي في الدرجة مع الأخضر في مقدمة اللوحة، وقد حقق الهارموني الخطي بشكل عفوي، فالخطوط الأفقية منحنية في الحقل، ومستقيمة في المنازل، والرأسية مستقيمة في المنازل، وفي تنوع الخطوط ومسارات اتجاهاتها تحقق الاتزان في اللوحة.

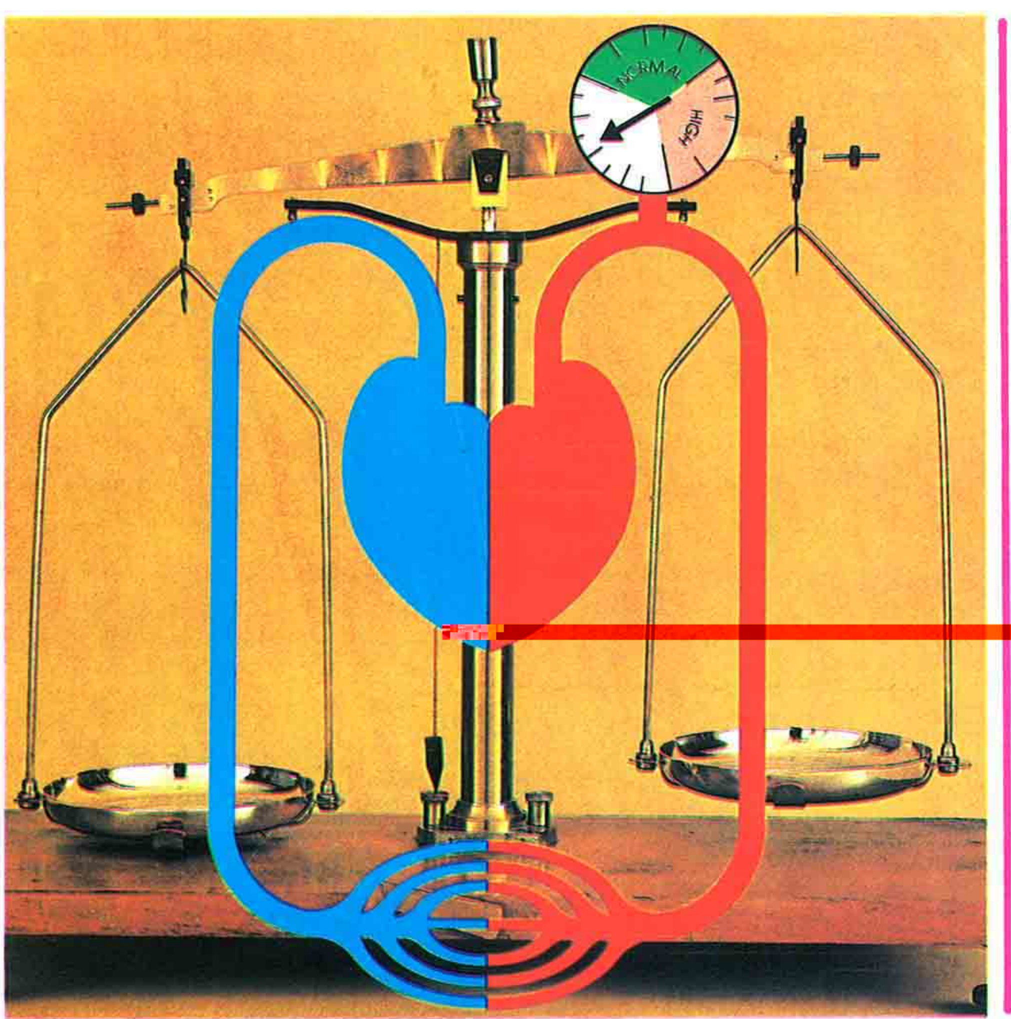
أما في اللوحة الثانية «**تكوين الحرف**» فقد تناول فيها الفنان أسماء الله الحسنى، حيث استخدم حروف الكتابة كعنصر متحرك ديناميكي، فالكتلة هي الحروف والكلمات، والفراغ هو مساحات متناغمة ومتفاعلة مع الحروف، وبذلك حقق الفنان النسيج العضوي في اللوحة عن طريق انتشار الألوان وتجانسها، وكذلك هارمونية الخطوط المنتشرة في جميع أجزاء اللوحة.

★ من أعمال الفنان أحمد منشي ★





كل نبضة من نبضات القلب تدفع كمية من الدم في الشريان الرئيسي الذي ينطلق من القلب، فتضخمه وتسبب ازدياد الضغط داخله، ثم يسبب تقلص هذا الشريان دفع الدم ليسير في الشريان والشرايين الكثيرة المتفرعة منه حتى يصل إلى الأنسجة، وعندما يصل الدم إلى هذا المستوى فإنه يغذي الخلايا، ويأخذ منها فضلاتها، ويعود عن طريق الأوردة إلى القلب كي يكمل دورته. وهذا نظام لا بد منه للحياة وهو موضوع بحيث يعمل ضمن المدى الاعتيادي للضغوط، حسب احتياجات الجسم في أي وقت من الأوقات، وبما يتناسب مع عمر الشخص.



★ ارتفاع ضغط الدم يؤدي إلى اضطراب التوازن في الجهاز الدوري ★

ضغط الدم.. أسبابه.. علاجه

بقلم: د. حمدي الأنصاري

هذا الضغط داخل الأوعية الدموية هو الذي يقيسه الطبيب عند استخدام جهاز قياس ضغط الدم، والذي يفعله الطبيب في الواقع هو التأكد من أن الضغط هو ضمن الحد الاعتيادي.

ويلف الطبيب عندما يريد قياس ضغط الدم سواراً حول العضد فوق المرفق بقليل لكي يمكنه تسجيل الضغط في الوعاء الدموي الرئيسي في الذراع على اللوحة المدرجة في الآلة. ولعلك تلاحظ أن ضغط الدم يسجل برقمين مثل ١٤٠/٨٠ ويسمى الرقم الأعلى **ضغط الانقباض** أما الرقم الأدنى فيسمى **ضغط التمدد**. وقد اصطلح على هذه التسمية نظراً لأن ضغط الانقباض إنما هو قياس الضغط أثناء تقلص القلب (النبض)، ويدعى هذا التقلص انقباض القلب، أما ضغط التمدد فهو الضغط في فترة الاسترخاء بين نبضتين عندما يكون القلب في حالة التمدد وانصباب الدم فيه وهي حالة تسمى تمدد القلب.

إن دوران الدم في أجزاء الجسم كلها أمر ضروري للحياة. فالدم يوفر الغذاء الذي يتم امتصاصه من المعدة والأحشاء إلى كل خلية في الجسم، وهو في الوقت نفسه يزيل الفضلات من الخلايا كي تتم معاملتها وطرحها عن طريق الكبد والكلى.

ولكي يتحقق دوران الدم فإنه لا بد من دفع الدم خلال شبكة معقدة من الأوعية الدموية، والقوة التي تعطي هذه الدفعة إنما هي نبضة القلب.

وضغط الدم لا يظل في مستوى واحد بل يتغير باستمرار ضمن مدى من الضغوط، ويتوقف مستواه كلياً على العمل الذي يقوم به الشخص. فعندما يقوم المرء بعمل بدني فإن

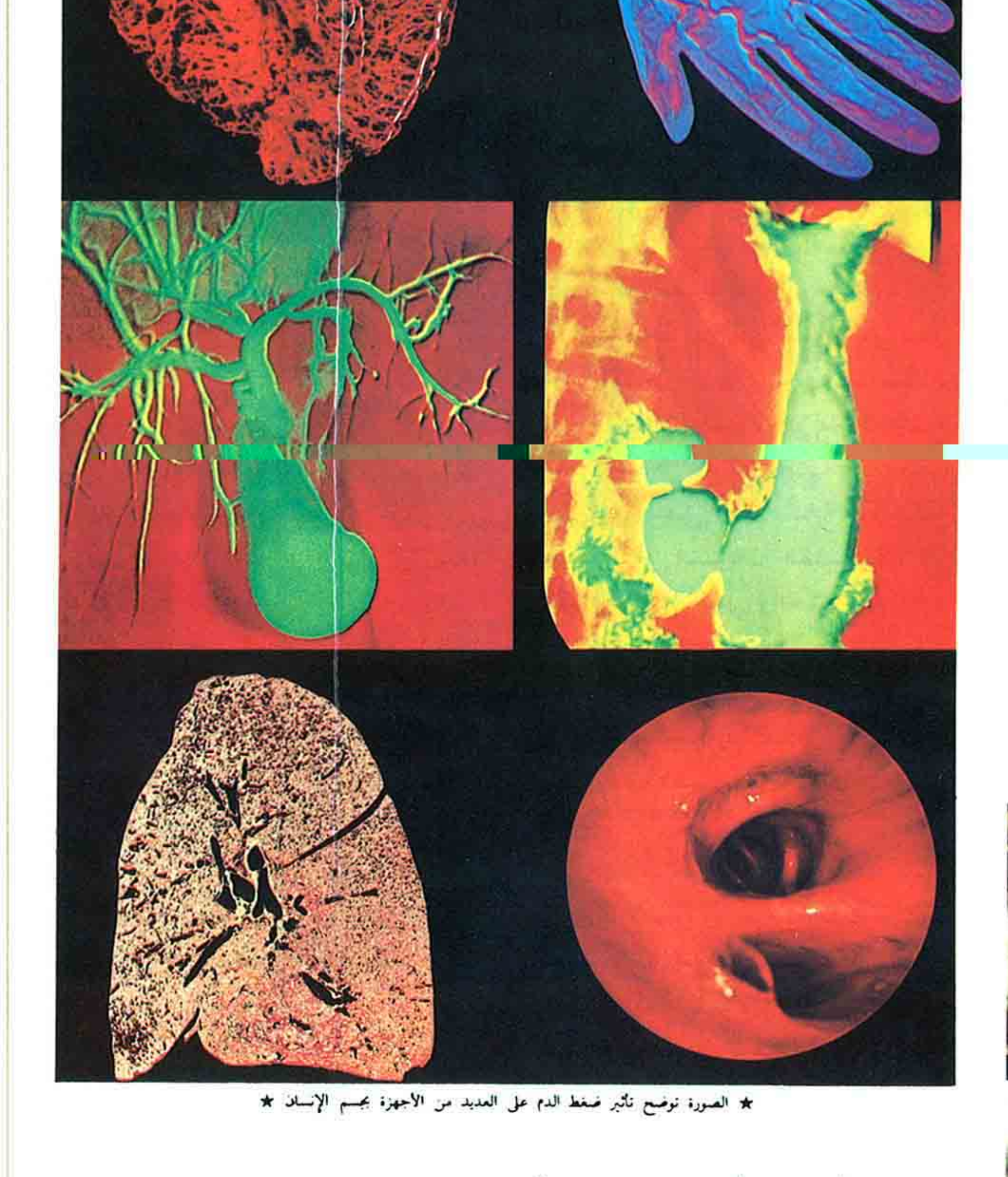
العضلات تحتاج إلى كمية أكبر من الغذاء ، ولا بد من زيادة دفق الدم كي يتم توفير هذه الكمية الإضافية من الغذاء ، وهنا لا بد للقلب من أن ينبض بسرعة أكبر لتحقيق ذلك .

ويكون ضغط الدم في أدنى درجاته أثناء النوم في الليل إلا أنه يتغير حتى أثناء الليل ، ويفترض أن تغيره إنما يكون بسبب الأحلام .

وتكون تقلبات ضغط الدم خلال النهار أكبر وأكثر ، وهي تتبع نوع العمل الذي يقوم به الشخص ، كما أن الإجهاد الفكري أو الجسمي يمكن أن يسبب ارتفاع ضغط الدم . ولعلك تتبين من هذا أن الطبيب ربما يحتاج إلى قياس ضغط الدم عدة مرات للتأكد من أن ارتفاع الضغط يمثل حالة حقيقية وليس عائداً إلى أمر فردي سبب ارتفاعاً مؤقتاً في ضغط الدم .

وفي استطاعتك أن تساعد طبيبك في هذا الصدد بزيارته في عيادته في وقت مبكر قبل الموعد ، كي تتجنب الاضطرار إلى السرعة في السير أو القلق من احتمال تأخرك ، وعندما تصل إلى العيادة حاول أن تسترخي قدر الإمكان ، إذ من المهم لطبيبك عند قياس

★ حيوانات التجارب التي تجرى عليها الأبحاث لمعرفة الكثير عن ضغط الدم ★



★ الصورة توضح تأثير ضغط الدم على العديد من الأجهزة بجسم الإنسان ★

ضغط الدم أن يعرف أنك مرتاح وهادئ الأعصاب وقت قياس الضغط .

ويرتفع ضغط الدم مع تقدم السن ، لأنه من الأمور الطبيعية التي ترافق تقدم السن ، إذ تميل الأوعية الدموية إلى فقدان خصائص المرونة إلى حد ما ، كذلك فإن جدران الأوعية الدموية تزداد سمكاً بعد أن يبلغ المرء مرحلة الكهولة مما يؤدي إلى أن يقل القطر الداخلي للوعاء الدموي قليلاً . وكل هذه التغيرات تسبب زيادة طفيفة في ضغط الدم . وهي زيادة عادية جداً وترتبط بسن الشخص .

أما عن أسباب ارتفاع ضغط الدم فإن السبب يظل مجهولا لدى الغالبية العظمى من المصابين بارتفاع ضغط الدم ، ويرى بعض المختصين أن ارتفاع الضغط استجابة لمنبه ما كالإجهاد الذي يمكن أن يتخذ أشكالا عديدة



ضغط الدم .. أسبابه .. علاجه

مختلفة منها الذهني ومنها البدني إذا ما استمر فترة طويلة من الزمن يجعل الأوعية الدموية تحتاج إلى ضغط أعلى طوال الوقت . إلا أن هذا الرأي ما يزال بحاجة إلى إثبات .

ضغط الدم .. والطعام

هناك أمران لا بد للمرء من أن يوليهما عنايته في مسألة الطعام ، منها عدم الإفراط في الأكل لأنه يؤدي بك على الأقل إلى زيادة الوزن ، وهو عامل يعرضك لخطر كبير ، وتجنب الإكثار من الملح في الطعام ، ويستطيع المرء أن يتناول الطعام المطبوخ بالشكل الاعتيادي ما لم ينصحه طبيبه بعدم استعمال الملح في طعامه ، وعدم تناول الأطعمة المملحة كثيراً مثل الفول السوداني ، أو البطاطس المقلية والمملحة . أما إذا لم تكن مملحة فلا بأس فيها ، إلا إذا كان المرء يتبع نظاماً في غذائه من أجل تقليل وزنه .

والتدخين يزيد من خطر الإصابة بعدد من الأمراض ، منها أمراض القلب والأوعية الدموية ، وإذا ما اقترن التدخين بارتفاع ضغط الدم فإنه يزيد احتمال الإصابة بمضاعفات خطيرة زيادة كبيرة .

وتشير الأدلة إلى أن هناك احتمالا كبيراً في انتقال الإصابة بارتفاع ضغط الدم بين أفراد العائلة ، وخصوصاً بين أقرب أفراد أسرة المصاب بهذا المرض .

ومن آثار الاعتياد على القيام **بتمارين رياضية** أن يرتفع ضغط الدم ، إلا أن هذا الارتفاع يكون مؤقتاً ، ولا يلبث ضغط الدم أن يعود إلى مستواه العادي في وقت قصير إذا لم تكن التمارين عنيفة جداً .

ومزاولة التمارين الرياضية بانتظام تساعد المرء في الاحتفاظ بلياقته البدنية عامة ، كما أنها تساعد على تخفيف الوزن .

أما بالنسبة للجماع فإن الاتصال الجنسي يحتاج إلى بذل كثير من الجهد البدني قد يزيد ضغط الدم . . كما أن العقاقير التي تسبب انخفاض ضغط الدم يمكن أن تؤثر على الناحية الجنسية .

علاج ضغط الدم

يحدث في كثير من الأحيان أن ارتفاع ضغط الدم لا يجعل المصاب يشعر بأنه مريض ، ذلك لأن زيادة ضغط الدم تكون تدريجية على مدى طويل من الزمن مما يجعل المرء يتكيف معها ، إلا أن كل الدلائل تشير إلى أنه إذا ترك ارتفاع ضغط الدم دون علاج فإن المصاب به يتعرض لخطر كبير يتمثل في **الإصابة بالسكتة المخية ، أو النوبات القلبية ، أو المضاعفات في الكلى والعينين** .

وتشير الدلائل إلى أن هذا الخطر يقل عند معالجة ارتفاع ضغط الدم . ولهذا فإن من مصلحة المصاب تناول العلاج الطبي بدقة حسب وصف الطبيب حتى لو لم يكن يشعر بأي أعراض .

وإذا كنت مريضاً وتتناول علاجاً طبياً فعليك أن لا توقفه ولا تغيره ، وعليك استشارة الطبيب ، لأن إيقاف المعالجة بشكل مفاجئ يمكن أن يسبب ما يسمى بالأثر العكسي في مستوى ضغط الدم . . لهذا فإذا شعرت بصداع ، أو بأشياء غير طبيعية في البصر ، أو بقصر النفس ، أو بألم في الصدر ، أو بتغير في مقدرتك على التركيز ، أو بخلل في الذاكرة ، أو التبول بشكل أكثر من المعتاد في الليل فعليك أن تستشير طبيبك .

إن معالجة ارتفاع ضغط الدم تستمر مدى الحياة ، لكن كثيراً من العلاجات الطبية التي تستخدم في معالجة ارتفاع ضغط الدم لا يحتاج المرء إلى تعاطيها أكثر من مرة واحدة في اليوم . . إلا أن حالات بعض المرضى تتطلب أخذ عدة علاجات أو عقاقير في اليوم الواحد .

ومع أن المعالجة تكون فعالة في منع ارتفاع ضغط الدم طوال اليوم فإن من الأفضل أن يتجنب المرء قدر الإمكان الأحداث أو الظروف التي تسبب ازدياد ضغط الدم دون بذل مجهود بدني فيها ، مثل الظروف التي تحتاج إلى إجهاد عاطفي أو بدني . . وهذه الإرشادات قد تفيد في تجنب أوضاع الإجهاد المعروفة .

(١) دوّن قائمة بالأحداث التي تشعرك بالإجهاد ، أو توتر الأعصاب . ومن المؤكد أن هذه القائمة ستشتمل على أمور مثل الجري للحاق بالقطار أو الباص ، وزحمة السير أثناء قيادة السيارة ومحاولة القيام بعدة أشياء في وقت واحد .

(٢) انظر بعد ذلك في كيفية تجنب هذه الأوضاع بتعديل مواعيدك ونظامك اليومي . فالنهوض من الفراش مثلاً قبل موعدك المعتاد بعشر دقائق يمكنك من المشي إلى المحطة بهدوء ، بحيث لا تحتاج إلى الجري . وتعديل ساعات عملك قد يمكنك من تجنب قيادة سيارتك في ساعات زحمة السير .

ويمكنك بهذه الوسائل تجنب معظم الأوضاع التي تسبب الإجهاد والتي يمكن توقعها . إلا أن هنالك دائماً لحظات تقع فيها أزمات غير متوقعة . . وفي هذه الحالات عليك أن تحافظ على هدوئك بأن تتنفس تنفساً عميقاً وبطيئاً وأن تركز ذهنك كله على الاسترخاء ، فهذا يفيدك في أمرين : الأول أنه يساعدك في ضبط ضغط الدم ، وثانياً يصرف ذهنك عن التفاصيل المباشرة للمشكلة لمدة دقائق قليلة تستطيع خلالها التبصر في أساس المشكلة بصورة أوضح .

وعليك أن تفعل ما يلي : اجعل حياتك عادية وطبيعية قدر الإمكان . تناول العلاج الذي يصفه الطبيب حتى إذا كنت لا تشعر بمرض . توقف عن التدخين . إذا زاد وزنك عن الحد المعقول فقلل وزنك تحت إشراف الطبيب . تجنب زيادة الملح في الطعام . تجنب الأوضاع العاطفية الشديدة قدر الإمكان .

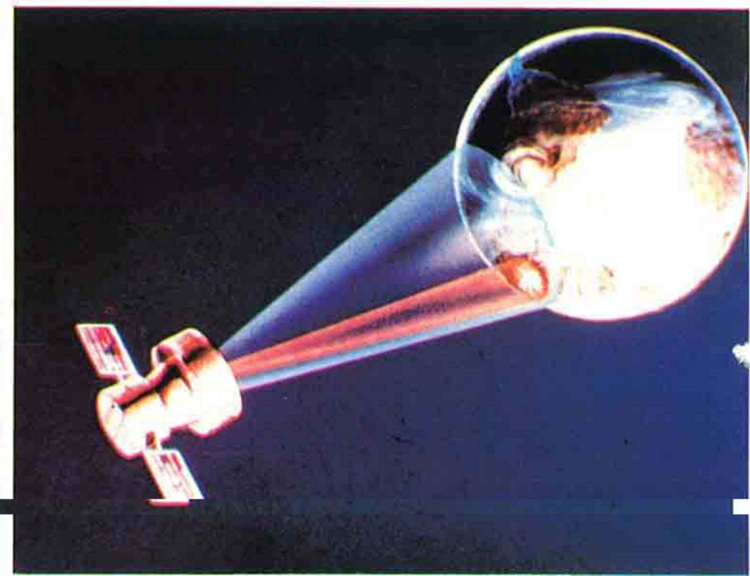




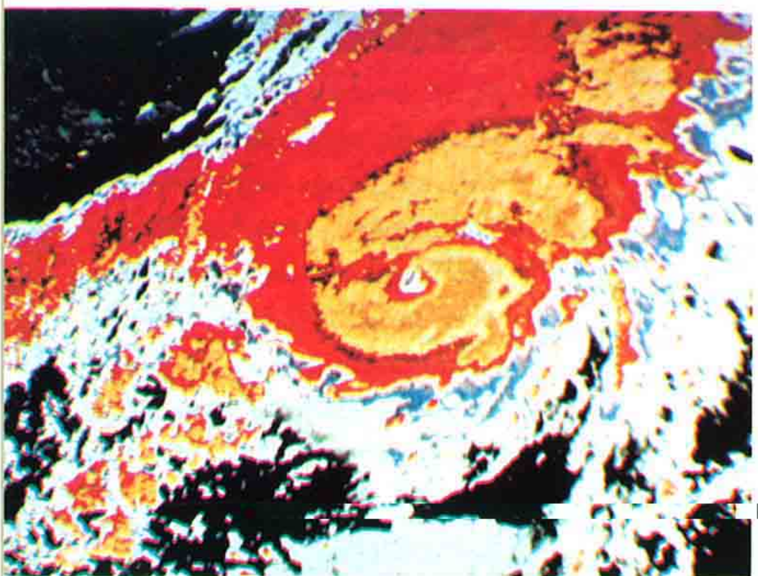
بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد
يطيب لشركة أرامكو أن تتقدم
بأسمى التهاني وأجمل الأماني
إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى
وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة
والشعب السعودي الكريم
أعاده الله على الجميع باليمن والبركات
(PRS-3-83)



★ القمر الأوروبي (ميتوست ـ ٢) أحد خمسة أقمار ثابتة تكوّن الشبكة العالمية للطقس والرياح ★



★ قمر الرياح والطقس (نيمبوس NIMBUS) يلتقط المعلومات ليلاً ونهاراً ★



★ الإعصار الذي ضرب الشواطئ الجنوبية لولاية تكساس الأمريكية عام ١٩٧٥م ★

... والرياح

... والأعاصير عبر الأقمار

بقلم: د. محمد قاري سمرقندي

في اليوم الثاني والعشرين من شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٥م، هبَّت رياح شديدة على الشواطئ الجنوبية لولاية تكساس الأمريكية بالقرب من مدينة «جالفستون GALVISTON»، محدثة أضرار مادية وبشرية بتلك المنطقة، حيث أمكن رصد الإعصار وهو على تلك الارتفاعات الشاهقة عن الأرض عبر الأقمار الصناعية في طريقه لضرب تلك المنطقة المنكوبة. وقبل سنوات أمكن لأحد الأقمار الصناعية اكتشاف إعصار شديد مصحوب بمطر ورعد وبرق في عرض المحيط الباسفيكي مسرعاً باتجاه جزيرة «جوام GUAM» حيث أمكن رصد هذا الإعصار قبل وصوله إلى هذه الجزيرة بيوم واحد وتحذير سكان الجزيرة بأخذ الاحتياطات اللازمة عبر محطات الإذاعة والتليفزيون. فما كان من سكان الجزيرة إلا أن أخلوا الشواطئ من القوارب الصغيرة، وربط القوارب الكبيرة على الشاطئ، ووقف حركة الملاحة تماماً، وتثبيت منازلهم وتسميرها بأخشاب إضافية، وإخلاء جميع الشوارع من الناس، وتوقيف جميع السيارات في أماكن آمنة، واتجاه بعض الناس إلى المخابئ.

وفي اليوم التالي وصل ذلك الإعصار المرعب كما كان متوقعاً حيث أحدث خراباً في بعض المنازل القديمة، وتكسير بعض القوارب الراسية على الشواطئ، وخلع الأشجار.. ولكن دون أن تحدث أضرار مادية أو بشرية كبيرة.

وقبل أشهر فوجئ سكان **منطقة الخفجي بالمملكة العربية السعودية** بإعصار مباغت، قليل الرحمة ذو بأس شديد حيث دمر بعض المنازل، وقلب بعض السيارات الصغيرة والكبيرة، وقتل ما قتل من الأنفس. وترك هذه المدينة الآمنة بعد أن أحدث فيها الخراب، وأدخل الرعب في قلوب سكانها الأبرياء.

إن ذلك هو الإعصار المحمل بالأتربة الذي يباغت المدن والقرى بزياراته المفاجئة ليهدم ويقتل.. بل إنه الإعصار المصحوب بالمطر والرعد والبرق.. الإعصار المرعب الذي يدور في دوامة على ضحاياه مصحوباً بالمطر.. محدثاً رعداً وبرقاً يصم صوته آذان البشر.. الإعصار الذي عجز الإنسان منذ القدم عن توقع زمن وصوله لضرب القرى والمدن.

★ محطة أرضية بكاليفورنيا لاستلام المعلومات من أقمار الرياح ★



اكتشاف الأعاصير والعواصف

الإعصار عبارة عن عاصفة من الرياح الشديدة المصحوبة بالبرق والرعد والمطر وبعض الأتربة التي تدور في دوامة أثناء حركتها بسرعة كبيرة تصل إلى ١٥٠ كيلومتراً في الساعة. ويطلق الإعصار موجات ذات ذبذبات عالية تختلف أطوالها باختلاف مكونات الإعصار، حيث يمكن التقاط هذه الموجات عبر الأقمار الصناعية ومعرفة تركيب الإعصار ودرجة حرارته والسرعة التي يتحرك بها ومعلومات أخرى. والأعاصير تسير بحركات غير ثابتة وغير متوقعة في معظم الأحيان. ولكن نظراً لوجود القمر الصناعي على ارتفاعات تصل إلى مئات الكيلومترات عن الإعصار، فإنه يمكن مراقبة تحركات الإعصار والاتجاهات التي يقوم الإعصار بتغييرها أثناء سيره.

واليوم تستطيع الأقمار الصناعية اكتشاف العواصف والأعاصير، وتوقع زمن وصولها، وقياس سرعة حركتها، ودرجة حرارتها، ومعرفة ما تحمله من أمطار وأخطار. **فالأقمار تستطيع رصد هذه الأعاصير وتصويرها وهي على تلك الارتفاعات الشاهقة، وعلى تلك المسافات البعيدة عن المناطق المأهولة بالسكان**.. بل تستطيع هذه الأقمار إخبار سكان الأرض عن اتجاهات تلك الأعاصير والتنبؤ بضرب إحدى القرى أو المدن. فالأقمار تتنبأ بقدوم الأعاصير والعواصف الثلجية، واختلاف درجات الحرارة، واتجاهات الرياح.. ولكن لا تستطيع هذه الأقمار التأكيد بحدوث ذلك في زمن معيّن أو مكان معيّن.

في يوم السبت الخامس من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨١ م، كنت مع بعض الزملاء نستمع إلى نشرة الأخبار المسائية بالتليفزيون الأمريكي، حيث أعلن المذيع أن عاصفة ثلجية قوية سوف تهب في اليوم التالي (يوم الأحد) على شرق **مدينة بوسطن**، وشاهدنا عبر شاشة التليفزيون إحدى الصور التليفزيونية الملتقطة عبر الأقمار لتحركات العاصفة الثلجية على المحيط الأطلنطي متجهة إلى الشمال الشرقي على المحيط. وأضاف المذيع أن على السكان المقيمين بشرق مدينة بوسطن توقع الثلوج بمقدار ٧ سنتيمترات تقريباً. وفي الواقع فإن هذا المقدار لا يسبب أي إشكال لسكان شرق المدينة، ولذا فإن معظم الناس لم تعر ذلك الخبر أي اهتمام.

ولكن ما حدث هو كالتالي: ففي الساعة السابعة مساء السبت من نفس اليوم، أي بعد حوالي ساعتين من نشرة الأخبار، تحولت الرياح بصورة غير متوقعة إلى الشمال بدلا من الشمال الشرقي. وبسرعة مذهلة صوبت الرياح سرعتها باتجاه قلب مدينة بوسطن بدلا من شرق المدينة. وفي الساعة العاشرة مساء أعلنت بعض محطات الإذاعة أن كمية الثلوج المتساقطة غداً ستكون في حدود ١٥ سنتيمتراً. فبدأ بعض المسافرين من وإلى مدينة بوسطن، أخذ بعض الاحتياطات استعداداً لمواجهة هذا الموقف في اليوم التالي. ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، حيث ضربت العاصفة الثلجية في الخامسة فجراً كلًّا من **مدينة «نانتوكت NANTUCKET» و«كيب كود CAPE COD» ومدينة «بوسطن BOSTON»**. وكانت عاصفة ثلجية مصحوبة برياح شديدة السرعة، تركت أكثر من ٦٠ سنتيمتراً من الثلوج على الأرض وآلاف الناس المحصورين بين جدار من الثلوج وعشرات القتلى وبعض الأضرار المادية. والسبب في عدم توقع ذلك مسبقاً بالدقة اللازمة هو اختلاط العاصفة الثلجية برياح قادمة من طبقات الجو العليا ذات سرعة كبيرة لم يستطع القمر رصدها سابقاً، حيث غيرت الرياح العالية اتجاه العاصفة الثلجية.

فمعظم الأقمار تقوم برصد العواصف نتيجة لتحركات السحب المكونة لها وارتفاعاتها عن الأرض. وهذه الارتفاعات هي من أهم العوامل الرئيسية في اكتشاف العواصف والأعاصير.

وبعض أقمار الرياح تلتقط الموجات العمودية المنبعثة من العواصف والأعاصير المتحركة تحت مستوى القمر لقياس درجة حرارة الإعصار وارتفاعه عن سطح الأرض. ومثل هذه التجارب تعرف باسم « **فاس ـ VAS** »، حيث تعتمد التجربة على التقاط المعلومات عن السحب والرياح المكونة لتلك العاصفة، ومن ثم إرسال هذه المعلومات إلى إحدى المحطات الأرضية لتغذي بها أحد العقول الإلكترونية الضخمة. وتقوم هذه العقول بالتالي بتحليل المعلومات الملتقطة ورسم الخرائط التي تبين اختلاف درجات الحرارة ضمن ذلك الإعصار، حيث تساعد هذه الخرائط في معرفة اتجاهات وتحركات العواصف والأعاصير.

أقمار الطقس والأنواء البحرية

تعتمد بعض الدول على القياسات الأرضية لمعرفة تحركات الرياح واختلاف الطقس، حيث تستخدم المعلومات الواردة من بعض محطات الرياح في البر، أو بعض السفن التابعة لها في عرض البحار، أو إطلاق بعض البالونات الحاملة لأجهزة رصد الرياح على ارتفاعات مئات الأمتار عن سطح الأرض أو عبر الطائرات.

في شهر يونيو (حزيران) من عام ١٩٧٩ م، أبحرت خمسون سفينة من ٢٢ دولة إلى المحيطات الأطلنطي و**الهندي والباسفيكي** حيث أطلقت بالونات محملة بأجهزة علمية في الغلاف الجوي.. كما أطلقت كل من القوات الجوية الأمريكية **ومنظمة «نوا ـ NOAA»** بعض الطائرات الحاملة لأجهزة رصد الرياح. ووظيفة الأجهزة المعلقة بالبالونات هي قياس اتجاه وسرعة الرياح، ودرجات الحرارة المختلفة، وتحديد كمية بخار الماء، والضغط الجوي في طبقات الجو العليا، ومن ثم إرسال هذه المعلومات إلى بعض أجهزة الاستقبال على السفن أو اليابسة عبر المرسلات الموجودة بالبالونات أو الطائرات. ومثل هذه التجارب المتكاملة تعطي معلومات وافية عن تحركات الرياح المختلفة. وتستمر الأجهزة المعلقة بالبالونات بإرسال معلومات الطقس إلى أن تنتهي طاقة المرسلات، أو تسقط هذه الأجهزة فيما بعد في البحار والمحيطات، أو تسقط على بعض الدول بعد أن تكون قد أدت مهامها.

ومنظمة « نوا ـ NOAA » **هي الإدارة الأمريكية لمراقبة البحار والغلاف الجوي حيث تمد المدن المختلفة بالولايات المتحدة الأمريكية بالمعلومات اللازمة عن تقلبات الطقس والأنواء البحرية ، كما تقوم هذه المنظمة بتشغيل بعض أقمار الرياح ، وتمد بعض دول العالم ، بما فيها المملكة العربية السعودية ، بمعلومات الطقس والرياح** . وكانت المملكة العربية السعودية تستخدم المعلومات الملتقطة عبر **القمر نوا الرابع « NOAA-4 » والقمر نوا الخامس « NOAA-5 »** حيث انقطع استلام هذه المعلومات نظراً لموت هذه الأقمار وعدم صلاحيتها في الوقت الحاضر . وقد أطلقت هذه المنظمة **القمر نوا السادس « NOAA-6 »** عام ١٩٧٨ م ، **والقمر نوا السابع « NOAA-7 »** عام ١٩٨١ م ، في مدارات قطبية ، وعلى ارتفاعات تتراوح بين ٨٠٠ إلى ٩٠٠ كيلومتر عن سطح الأرض ، حيث تدور الأقمار عدة دورات في اليوم حول الكرة الأرضية مارة بالقرب من القطب الجنوبي والقطب الشمالي . وتلتقط هذه الأقمار المعلومات اللازمة عن الطقس أثناء دورانها ، ومن ثم تبعث بها إلى محطات أرضية موجودة بالولايات المتحدة الأمريكية ودول أخرى .

وهناك أقمار أخرى للطقس والرياح ، منها مثلاً **أقمار « تيروس ـ TIROS » ، وأقمار « جيوس ـ GEOS » ، وأقمار « نيمبوس ـ NIMBUS » الأمريكية ، وقمر « ميتوسات ـ METEOSAT » الأوروبي** ، ومعظم هذه الأقمار تلتقط الموجات المنبعثة من الرياح والعواصف على ذبذبات الطيف المرئية وما تحت الحمراء . **وأقمار « تيروس » هي من أقدم أقمار الطقس في العالم ، حيث أطلق القمر الأول من هذه المجموعة « TIROS-1 » عام ١٩٦٠ م ، أي قبل أكثر من عشرين عاماً** . أطلق بعدها أعداد أخرى من نفس هذه المجموعة كان آخرها القمر « تيروس . إن ـ TIROS.N » الذي أطلق في مداره عام ١٩٧٨ م .

وتهتم **مصلحة الأرصاد وحماية البيئة في المملكة العربية السعودية** بأقمار الطقس والرياح حيث تنشئ محطة أرضية في **المركز الوطني للأرصاد والبيئة بمدينة جدة** تكون قادرة على استقبال المعلومات الواردة من أقمار « تيروس » أو قمر « مينوسات » أو تقارير الطقس الواردة عبر أقمار الاتصالات . وبعض أقمار الطقس تستخدم أجهزة قياسات تعمل على موجات « **الميكرويف** » **حيث كان الاتحاد السوفييتي أول من استخدم هذه الموجات لتصوير الأرض عبر القمر « كوزموس ٢٤٣ ـ COSMOS. 243 »** في عام ١٩٦٨ م ، والقمر « كوزموس ٣٨٤ ـ COS-MOS. 384 » **عام ١٩٧٠ م** ، حيث أمكن التقاط صور كوكب الأرض من الفضاء الخارجي . واليوم تستطيع أقمار تيروس ونيمبوس العمل على موجات الميكرويف أيضاً .

وأقمار « نوا » ليست للطقس فقط ، بل تستطيع هذه الأقمار مراقبة البحار والمحيطات ، وإمداد البواخر بالمعلومات اللازمة عن اتجاه التيارات المائية في عرض المحيطات حيث إن إبحار البواخر باتجاه هذه التيارات يوفر على الشركات المالكة لهذه الأساطيل كثيراً من الوقود خلال العام . **كما أن هذه الأقمار تمد صيادي الأسماك في البحار بالمعلومات اللازمة عن أماكن تجمع أسماك التونة ، وأسماك السالمون ، والأنواع الأخرى** . وتستطيع هذه الأقمار أيضاً تحذير الطائرات عن أماكن الاضطرابات في الغلاف الجوي لتجنبها أثناء الطيران .

وبعض الدول تستخدم الطائرات في التقاط معلومات الطقس والرياح أثناء طيرانها بطبقات الجو العليا ، ومن ثم إرسال هذه المعلومات إلى أحد الأقمار الثابتة التي بدورها تبعث بهذه المعلومات إلى إحدى المحطات الأرضية . **ويعرف هذا النظام باسم « أسدار ـ ASDAR »** حيث تعطي هذه التجارب معلومات دقيقة عن تحركات ومكونات الرياح . **وتعتزم بعض دول العالم وضع أجهزة « أسدار » في طائراتها التجارية في عام ١٩٨٥ م ، لالتقاط معلومات الطقس والرياح أثناء الرحلات الداخلية والدولية . وقد يكون من المفيد للمملكة العربية السعودية وللدول العربية الأخرى استخدام أجهزة رصد الرياح المختلفة بطائرات الخطوط السعودية وطائرات الخطوط الجوية للدول العربية أثناء قيامها بالرحلات المختلفة** . فطالما أن هذه الطائرات ستطير في طبقات الجو المختلفة فإنه من المفيد اقتصادياً استغلال وجود الطائرات بطبقات الغلاف الجوي .

الشبكة العالمية لتوقعات الطقس والرياح

معظم أقمار الطقس تدور حول الأرض بسرعة كبيرة جداً حيث تكمل دورة واحدة حول الأرض في ساعة ونصف تقريباً . وتتبع هذه الأقمار مساراً مائلاً على خط الاستواء مارة بالقرب من القطب الجنوبي والقطب الشمالي للكرة الأرضية . ومثل هذه الأقمار لا تستطيع مراقبة ومتابعة تحركات الرياح وتغيرات الطقس على إحدى الدول أكثر من نصف ساعة حيث يختفي القمر بعدها في الجهة المقابلة من الكرة الأرضية ، ويفقد بذلك متابعة الرياح المتحركة على تلك الدولة . فمجموعة أقمار « تيروس » و« نوا » تتبع مثل هذه المسارات القطبية .

وكلما ارتفع القمر عن سطح الأرض طال زمن دورانه . فمثلاً قمر على ارتفاع ١٠٠٠ كيلومتر عن سطح الأرض يكمل دورة واحدة حول الكرة الأرضية في ساعة واحدة وخمس وأربعين دقيقة . وعندما يرتفع هذا القمر إلى ٥٠٠٠ كيلومتر عن سطح الأرض فإنه يكمل دورته في ثلاث ساعات وإحدى وعشرين دقيقة . **فزمن دوران القمر حول الأرض يزداد بارتفاع القمر عن سطح الأرض إلى أن يصل القمر إلى ارتفاع ٣٥٨٠٠ كيلومتر ، فيكون زمن دورانه حول الأرض ٢٤ ساعة** . فإذا بدأ القمر بالدوران حول الأرض على هذا الارتفاع موازياً لخط الاستواء ، فإن هذا القمر يكون في دورانه متوافقاً ومتزامناً مع دوران الأرض حول

قمر الرياح والطقس يقوم
بفحص الرياح والسحب المتحركة
على المملكة العربية السعودية
ويتابع تحركاتها .

فحص السحب
المتحركة واتجاهها

التقاط درجات الحرارة
من على السحب والرياح
المتحركة وما تحت السحب

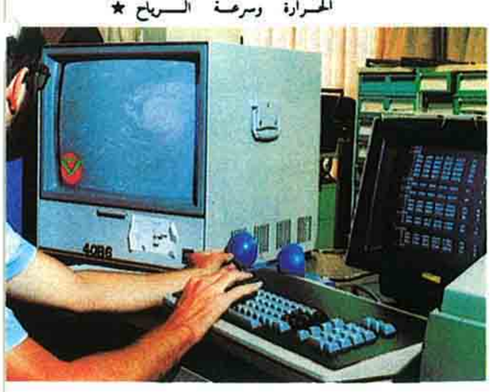
محورها ، ويظهر القمر كأنه ثابت على سطح الأرض . ومثل هذه الأقمار تسمى **« الأقمار الثابتة »** . وتوجد حالياً حول الكرة الأرضية أربعة أقمار ثابتة لمتابعة تغيرات الطقس والرياح وإمداد دول العالم بهذه المعلومات .

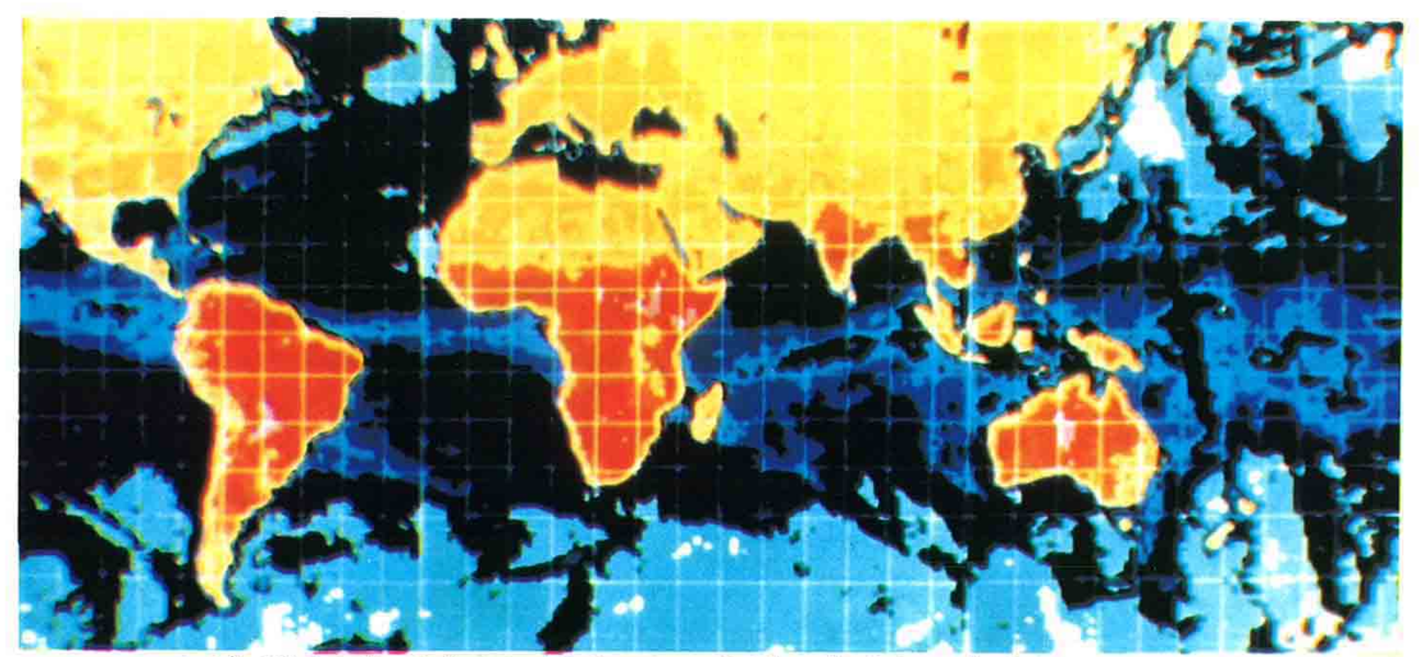
فهناك قمران للولايات المتحدة الأمريكية : **القمر « جيوس ــ GEOS-W »** الموجود غرب الولايات المتحدة الأمريكية على خط طول ١٣٥ درجة غرب ، والقمر « جيوس ــ GEOS-E » الموجود شرق الولايات المتحدة الأمريكية على خط طول ٢٨٥ درجة شرق . كما يوجد أيضاً قمران آخران : أحدهما قمر **« جمس ــ GMS »** **الياباني** على خط طول ١٤٠ درجة شرق ، **والقمر الأوروبي «ميتوسات (٢) METEOSAT.2 »** على خط طول صفر . وتقوم هذه الأقمار بإرسال المعلومات إلى **محطات أرضية** موجودة ببعض دول العالم ، حيث توزع معلومات الطقس فيما بعد على أجهزة التليفزيون المحلية لإذاعتها على الجمهور . والقمر الأوروبي « ميتوسات ٢ » يقع على **خط غرينيتش المار بمدينة لندن** ، أي إن هذا يقع غرب المملكة العربية السعودية ، على ارتفاع ٣٥٨٠٠ كيلومتر عن سطح الأرض ، ولذا فإن القمر ينظر إلى الكرة الأرضية ويرى المملكة العربية السعودية على يمين المنظر . **وفي إمكان القارئ مشاهدة كوكب الأرض عبر هذا القمر خلال نهاية نشرة الأخبار المسائية بتلفاز المملكة العربية السعودية ، وستظهر المملكة على يمين شاشة التليفزيون كما يراه القمر تماماً .**

ويعتزم الاتحاد السوفييتي إطلاق أحد الأقمار الثابتة للطقس تحت اسم **« جومس ــ GOMS »** ووضعه على المحيط الهندي على خط طول ٧٠ درجة شرق . وتكوِّن هذه الأقمار الخمسة فيما بينها الشبكة العالمية لتنبؤات الطقس والرياح . وتلتقط هذه الأقمار معلومات الطقس بطرق متشابهة . فقمر « جيوس » يعتمد على **نظام « فاس ــ VAS »** في التقاط معلوماته بينما يعتمد القمر « ميتوسات » على التقاط **موجات الطيف المرئية** وما تحت الحمراء .

والقمر « ميتوسات ٢ » قمر أوروبي تابع **لوكالة الفضاء الأوروبية « إيسا ــ ESA » حيث أطلقت هذه الوكالة قمرها الأول « METEOSAT-1 »** في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٧٧ م ، ولم يمكث هذا القمر في مداره أكثر من عامين ليموت في نهاية شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٧٩ م ، نتيجة لخلل أصاب بعض أجهزته وانقطع بعد ذلك إمداد الدول بمعلومات ميتوسات للطقس منذ ذلك الحين . ومع منتصف عام ١٩٨١ م ، أطلقت وكالة الفضاء الأوروبية قمرها الثاني « METEOSAT-3 » بنفس الموقع السابق ، أي

★ شاشة تليفزيونية ، تظهر درجات الحرارة وسرعة الرياح ★





★ توزيع درجات الحرارة على سطح الكرة الأرضية . يدل اللون الأحمر على المناطق الحارة ، وتنخفض درجات الحرارة باختلاف الألوان من الأصفر إلى الأزرق والأبيض ★

خط غرينيتش حيث يلتقط القمر المعلومات اللازمة عن الطقس والرياح ، ويبعث بها إلى إحدى المحطات الأرضية **بمدينة « أودن والد ـ ODENWALD » بألمانيا** ، ومن ثم تُرسل هذه المعلومات إلى مركز التشغيل بوكالة الفضاء الأوروبية « **إيسوك ـ ESOC** » لتحليلها عبر عقول إلكترونية ضخمة . وتوزع هذه المعلومات بعد ذلك عبر أقمار الاتصالات التجارية إلى الدول المشتركة بواسطة موجات التلكس أو موجات « **الفاكسيملي** » المرئية ، أو تسجل هذه المعلومات في أشرطة مغناطيسية وترسل إلى الدول المعنية .

وقمر « ميتوسات » ليس فقط لقياس درجات الحرارة ، أو متابعة حركات الرياح كما نراها يومياً بنشرة الأخبار التليفزيونية ، وإنما **هناك استخدامات أخرى للقمر تشمل تنبؤات سقوط الأمطار الغزيرة ، وحدوث الفيضانات ، وتساقط الثلوج . . .** فالدراسات لا زالت مستمرة للتأكد من صلاحية القمر لمثل هذه التوقعات . ففي يوم الثلاثاء ١٨ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٧٩ م ، استطاع قمر « ميتوسات ١ » ملاحظة سحب داكنة وعاصفة محملة بالأمطار على امتداد شمال **البحر الأحمر** حيث تساقطت الأمطار الغزيرة فيما بعد ، وهبَّت عاصفة قوية على **منطقة مصر العليا بجمهورية مصر العربية .**

وقد أكدت تقارير **منظمة الأمم المتحدة** « UNDRO » الصادرة من مدينة جنيف بسويسرا بتساقط الأمطار الغزيرة على أربع مقاطعات بمصر العليا شملت كلًّا من « **أسوان** » ، و « **الأقصر** » **وشمال البحر الأحمر** ، وأن هذه الأمطار تسببت في وفاة ٤٣ شخصاً ، وقتل حوالي عشرة آلاف رأس من الماشية ، وانهيار عشرات المنازل ، وتشريد حوالي ٦٥ ألف شخص . كما دمرت الفيضانات أكثر من ٢٥ ألف هكتار من الأراضي الزراعية . وقمر « ميتوسات » استطاع أيضاً ملاحظة السحب والرياح التي هبت على جبال أطلس شمال **الجزائر** بامتداد شاطئ **البحر الأبيض المتوسط** في ٢٦ ـ ٢٧ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٧٩ م . **وقد أكدت تقارير الأمم المتحدة « UNDRO » أن حوالي ٦٨ ألف شخص في الجزائر ، و٤٨ ألف شخص في المغرب العربي قد تأثروا بالفيضانات الناتجة عن هذه الأمطار الغزيرة** . كما أن هناك حوادث أخرى استطاع القمر رصدها . مثلاً **هبوب العاصفة الثلجية على جنوب إيطاليا في أوائل يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٩ م ، وهبوب الرياح الحارة على شمال إفريقيا في شهر أغسطس (آب) عام ١٩٧٨ م .**

وكما ذكرنا سابقاً فإن التجارب والدراسات ما زالت مستمرة للتأكد من صلاحية مثل هذه المعلومات لإنذار قرى ومدن العالم قبل أن تصيبها الكوارث الطبيعية . وقمر « ميتوسات » يرتفع عن الأرض بحوالي ٣٥٨٠٠ كيلومتر ، ولذا فإن المعلومات الملتقطة لن تكون بالوضوح الذي يمكن التقاطه من قمر على ارتفاع ٨٠٠ كيلومتر فقط عن سطح الأرض . **فهناك بعض الأقمار لرصد الرياح وتقلبات الطقس على مثل هذه الارتفاعات المنخفضة منها : أقمار « نوا ـ NOAA » الأميريكية والقمر الياباني « هيماواري ـ HIMIWARI » والقمر الهندي « باسكارا ـ BHASKARA »** .

والكاتب يطالب الدول العربية بمتابعة التجارب والدراسات على المعلومات الملتقطة عبر القمر « ميتوسات » لرصد الرياح والعواصف والأعاصير في الدول العربية كما تعمل الدول الأوروبية . كما أن **الكاتب يطالب أيضاً الدول العربية بأن تستفيد من الأقمار المنخفضة الموجودة حالياً بالمدار لمراقبة العواصف والأعاصير الفجائية المدمرة . . . وفتح مراكز الأبحاث واستقطاب أبناء وعلماء الدول العربية** للعمل بهذه المراكز لما فيه خير هذه الأمة حتى لا نفاجأ بالفيضانات والكوارث والأعاصير .

✱✱

رحلات تاريخية

كان «سليمان» من تجَّار العراق الذين يحبون المغامرة، وجَوب البحار، كما ولع بنقل عروض الهند والصين إلى البلاد العربية، وكان يسلك طريق المحيط الهندي في رحلاته هذه، شرق المحيط الهندي.

وعني «**سليمان**» بوصف هذه الطرق وما شاهده فيها من جزر وغيرها، وتعد رحلة التاجر «سليمان» هذه أقدم ما تحت أيدي المؤرخين من **رحلات العرب البحرية**، فإنه ألفها سنة «٢٣٧ هـ»، «٨٥١ م»، وقد ضمنها أبو زيد السيرافي في كتاب له، ومن الأسماء البحرية التي وردت في الرحلة ما يلي:

● بحر لاروي: وهو الجزء من المحيط الهندي جنوبي إيران وشرقي الهند.

● بحر الهَرْكَنْد: وهو جزء من المحيط بين جزيرة سرنديب وخليج بنغالة.

● بحر كَلاه أو شلاهط:

إلى الشرق، جزائر واق الواق وهي جزائر اليابان الحالية.

وفي بداية الرحلة يصف لنا «سليمان» **بحر لاروي** ويذكر أن به سمكاً اصطادوا إحداها، فكان طولها عشرين ذراعاً، وهي **سمكة الوال**، ويحكي أن من بينها سمكة وجهها وجه الإنسان، وتطير فوق الماء لعلها ما تسمى الآن «**عروس البحر**» وأنه رأى سمكة أخرى كبيرة تبتلع صغار السمك، وتسقط في جوفها كأنما تسقط في بئر عميقة.

وينتقل إلى **بحر**

ثروتهم، وتدخره ملكتهم، وآخر جزائر هذا البحر، هي **جزيرة** «**سرنديب**» وبها مغاص اللؤلؤ، وفي أرضها جبل يُدعى «**الرهون**».

ومن الجزر التي مر بها جزيرة يقال لها «**الرامني**» لعلها «**سومطرة**»، فيها عدة ملوك، ويليها جزيرة «**النيان**»، وبها ذهب كثير، ويأكل أهلها «النارجيل»، وبه يتأدَّمون

محاذي لجزيرة ملقا، وجزائر الهند الشرقية.

● بحر كُنْدُرَنْج: وهو المحاذي لسيام، فبحر الصَّنْف المسامت للهند الصينية، فبحر صنْحَى المحاذي للصين، وعليه تقع خانفو ثغر الصين، وهدف ملاحي العرب وتجارهم، وفيه

الهَرْكَنْد، فيذكر أن به ألفاً وتسعمائة جزيرة وتملكها جميعها امرأة، وبهذه الجزر عنبر عظيم القدر وهو ينبت في قاع البحر، فإذا ما اشتد هيجانه، لفظه، فيجمعه الناس، وبها نخل النارجيل «**شجر جوز الهند**»، وودع كثير، وهو كل

ويدَّهنون، وإذا أراد أحد منهم أن يتزوج، لا يزوجوه إلا برأس رجل من أعدائهم، فإذا قتل اثنين، تزوج اثنتين، وكذلك إن

قتل خمسين ، زوجوه خمسين امرأة ، وإنما يصنعون ذلك لكثرة أعدائهم .

ويلي هذه الجزيرة ، جزائر تسمى « **لَنْجبالوس** » ، وفيها خلق كثير عُراة ، رجالا ونساءً ، غير أن النساء يسترن عوراتهن بورق من الشجر .

ومن وراء هؤلاء الناس جزيرتان ، بينهما بحر يقال له « **أندمان** » ، وأهلها يأكلون الناس أحياء ، وهم سود مفلفلو الشعور ، مناكير الوجوه والأعين طوال الأرجل ، قدم أحدهم مثل الذراع ، عراة ، ليست لهم قوارب ، ولو كان لهم لأكلوا كل من مر بهم .

ويضيف لنا « سليمان » التاجر إلى « **خانفوا** » ، ويقص أن بها جالية كبيرة من المسلمين ، وأن بها شيخاً يوليه صاحب الصين الحكم على المسلمين ، الذين يقصدون المرفأ ، وإذا أهل العيد صلى بالمسلمين ، وخطب ودعا لسلطانهم العباسي ، وقال : إن تجّار العراق لا ينكرون شيئاً من أحكامه ، وإنه يحكم بكتاب الله ، وما شرعه الإسلام .

ويتكلم بعد ذلك « سليمان » عن **بلاد الهند والصين** وملوكها ، ويسوق طائفة من الأخبار الطريفة تارة عن الملوك ، وتارة عن أحوال الناس ، والرعية ، وطباعهم ، وحياتهم الاجتماعية ومعاملاتهم وإدارة حكوماتهم ودياناتهم ، وما يعبدون من الأوثان ، والأصنام ، ويقف كثيراً ليقارن بين أهل الهند ، والصين ، مثل قوله : « أهل الصين ، أهل ملاه وأهل الهند يعيبون الملاهي ولا يتخذونها ، ولا يشربون الشراب ، ولا يأكلون الخل ، لأنه من الشراب ، وليس ذلك ديناً ، ولكنه أنفة ، ويقولون أي ملك يشرب الشراب ، فليس بملك ، وذلك أن حولهم ملوكاً يقاتلونهم ، فيقولون كيف يدير أمر ملكه مَن هو سكران ؟ .

وأهل الهند والصين ، إذا أرادوا التزويج ، هنأ بعضهم بعضاً ، ثم تهادوا ، ثم يشهرون الزواج بالصنوج والطبول .

وجزاء السرقة في جميع بلاد الهند والصين ، القتل ، ومنازل أهل الصين من الخشب ، أما المنازل الهندية فمن الحجارة والجص والآجر والطين . . وليس الصين والهند بأصحاب فرش ، ويتزوج الرجل من الصين والهند ، ما شاء من النساء ، وأهل الصين يعبدون الأصنام ، ويسجدون لها ، ويتضرعون إليها ، ولهم كتب دين ، والهنود يطيلون لحاهم ، ربما رأيت لحية أحدهم ثلاثة أذرع ، ولا يأخذون شواربهم .

وللهند خيل ، وهي للصين أكثر ، وليس للصين فيلة ، ولا يتركونها في بلادهم تشاؤماً بها ، وبلاد الصين أصح وأقل أمراضاً ، وأطيب هواءً ، لا يكاد يُرى فيها أعمى ولا أعور ، ولا من به عاهة .

وأهل الصين أجمل من أهل الهند ، وأشبه بالعرب في اللباس والدواب ، وهم في هيئتهم ، وفي مواكبهم يشبهون العرب ، ويلبسون الأقبية والمناطق ، وأهل الهند يلبسون فوطتين ، ويتحلون بأسورة من الذهب أو الجوهر . . . » .

ومما ذكره التاجر « سليمان » في ملاحظاته عن سكان وأهل هذه البلاد ، قوله إنه تنبَّه أن في الصين شراب الشاي المعروف ، ولم يكن العرب قد عرفوه بعد .

ما أغرب الفرق بين الحاضر والماضي ، وما أحوج الإنسان إلى النظر في الماضي لإضاءة طريق الحاضر والمستقبل .

وقد نشر بعض المستشرقين هذه الرحلة ضمن [سلسلة التواريخ] وذيل لها .



خبريني

شعر: أحمد سالم باعطب

خَبِّريني يا عناقيد المسا
هل ستغفو في غد عين الأسى

يا هوىً طاف به زورقُه
ثم أرساه بقلبي فَرَسَا

رُبَّ ليل غرس الشوق لظىً
في فؤادي ويله ما غرسا

يصهر الحبُّ جفوني أرقاً
والمُنى تجعل منها حَرَسَا

هي لي شمس غد مرتقب
فعسى تشرق بالوصل عسى

* * *

قد حملت اليوم قلبي بيدي
ثم ألقيت به في راحتيها

رسمَ الحبُّ على شريانه
صورة أبقيتها ذكرى لديها

بضلوع من جوىً ملتهب
نَقَش الوجد صباباتي عليها

أتُرى تذكرني فاتنتي
كيف تطويني الليالي بيديها

نزف الجرح فمن يُبلغُها
صرخات الشوق في صدري إليها ؟

نظرية الشعر عند ابن سلام

بقلم : زياد كامل

كثيرة هي الدراسات النقدية التي تناولت بالبحث والدراسة كتاب (طبقات فحول الشعراء)[1] المشهور الذائع الصيت لمؤلفه ناقدنا العربي الأول (محمد بن سلام الجمحي)[2] لكن ما من دراسة من هذه الدراسات اهتمت أو حاولت أن تهتم بتبيان نظرية الشعر عند ابن سلام وكلها قصرت عن تناول هذا الجانب الهام من طبقاته[3] ، ووقفت عند قضايا وجوانب وأركان أو نقاط بعينها من الطبقات ما انفكت أبداً تعالجها وتبحثها حتى باتت بمثابة القاسم المشترك بين الدراسات التي عقدت حول ابن سلام وطبقاته .

من هنا كان انطلاقنا بصنع بحثنا هذا علّنا من جهة أولى نسد هذه الثغرة الواسعة فيما كتب أو ألّف من أبحاث حول ابن سلام وعلّنا من جهة ثانية ننصف ابن سلام ونحقه حقه فننير هذا الجانب الهام المظلم من طبقاته الذي أغفله الباحثون وقصروا عنه[4] .

ومن يتدبر طبقات ابن سلام بالبحث والدراسة المتأنية المتعمقة المتبصرة سيجد أنه قد صاغ لنا في طبقاته نظرية للشعر متكاملة أو كادت أن تكون متكاملة ويمكن القول إنها ، سيما للزمن الذي صدرت فيه ويعود للوراء ثلاثة عشر قرناً خلت ، تضاهي أو تكاد أبرز النظريات النقدية الحديثة للشعر ، ونظريته هذه تتألف من الأركان التالية :

أولا ـ الشعر علم وثقافة

فحينا يقول ابن سلام (وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات)[5] فإنه بذلك يدل على أن للشعر عنده أصوله وضوابطه وقواعده ، وأنه ثقافة عميقة واسعة ، وتبرز لنا أهمية ودقة هذا الكلام عندما نتذكر أن جل النقّاد والباحثين المعاصرين يلحون ويؤكدون على أن الشعر له أصوله وقواعده وضوابطه وخصائصه التي تميزه كشعر أو كفن شعري مستقل عن بقية صنوف أو ألوان الأدب الأخرى والتي لا يمكن للمرء أن ينفلت منها وإلا لفقد الشعر هويته كشعر ، كما يجمعون على أن الشعر ثقافة واسعة عميقة متمكنة .

بيد أنه لا بد من الانتباه إلى أن ابن سلام قد دل من خلال منهجه التطبيقي بطبقاته ومن خلال ما عقب به من تعقيبات وأبداه من ملاحظات كان يسجلها على الشعراء بين الحين والآخر ، دل على أنه يدرك تماماً أن قواعد



نظرية الشعر عند ابن سلّام

الشعر هذه ليست صارمة صرامة قواعد العلوم الأخرى بل هي رقيقة متموجة وهذا ما يوليه النقّاد المعاصرون بدورهم الاهتمام الكبير ويكررونه كثيراً في دراساتهم .

ثانياً ـ الشعر وثيقة تاريخية وحياتية هامة

قال ابن سلام : (وكان للشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون ، قال **عمر بن الخطاب** ـ وكان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه)[٦] ـ فابن سلام بنصه هذا وبما ينقله عن عمر بن الخطّاب يقرر حقيقة نقدية هامة وغاية في الدقة والحيوية تقول إن الشعر وثيقة حياتية وتاريخية هامة وأمينة عن المجتمع أو الزمن الذي هو ابنه هذا الشعر بكل ما في حياة هذا المجتمع أو الزمن من مواقف ومظاهر وأحداث ومثل ومبادئ ومستجدات وأفكار سواء كانت اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية أم فنية أم أدبية أم فكرية وما إليها . . . ، وإن كان ابن سلام يخص بكلامه السابق **الشعر الجاهلي** بحد ذاته لكن كلامه ينسحب بالواقع على الشعر في كل زمان ومكان .

ولا بد أن ننوه إلى شيء آخر هام بالنص هو أن ابن سلام يحثنا بنصه السابق وبما نقله عن ابن الخطاب على الاهتمام الجدي المتزايد بالشعر الجاهلي للكشف عن الحياة الجاهلية بكل جوانبها ، ذلك أن هذا الشعر شأنه شأن أي شعر في أي زمان ومكان ، قد حوى كل ما يتصل بالحياة الجاهلية ، إذ كان له وجهان **الأول ذاتي** يعبّر فيه الشاعر عن ذاته ونفسه وشخصيته ، **والآخر اجتماعي** يعبّر فيه الشاعر عن قبيلته ورجالها وأيامها وكل ما يتصل بها ، فمن المعروف أن كل أمة تترك خلفها أثرين يدلان عليها ، علمي يتمثل بمنجزات العلوم والمعارف العلمية وفني يتمثل بجملة الآداب والفنون ، أما عرب الجاهلية فلم يكن لهم الحظ الأوفر في ميدان العلوم فعلومهم وليدة تجاربهم . لهذا لا نجد لهم أثراً هاماً ملحوظاً بميدان العلوم ، أما فنونهم فإنها قصرت أو كادت على فن واحد جمع كل طاقاتهم الفكرية والفنّية دونما أن يسمح أو يتيح لأي فن آخر أن يطفو على سطح الحياة الجاهلية ، ألا وهو الشعر السجل الأول والأخير للحياة الجاهلية .

ثالثاً ـ أخلاقية الشعر والشاعر

أثار ابن سلام بنظريته الشعرية قضية أو نظرية نقدية غاية في الأهمية نصطلح عليه بعصرنا **بأخلاقية الشاعر أو الفنان والأديب** وذلك بنص جاء فيه : (فكان من الشعراء من يتأله في جاهليته ويتعفف في شعره ولا يستبهر بالفواحش ولا يتهكم في هجاء ومنهم من كان ينعى على نفسه ويتعهر ، منهم **امرؤ القيس ومنهم الأعشى** ، وكان **الفرزدق** أقول أهل الإسلام بهذا الفن)[٧] ، وقال أيضاً : (وكان **جرير** مع إفراطه بالهجاء يتعفف عن ذكر النساء فلا يتشبب إلا بامرأة يملكها)[٨] . وواضح أن ابن سلام ينظر ههنا نظرة دينية مثالية صرفة إذ عالج موضوع أو نظرية أخلاقية الفن والأدب من زاوية تأله الشاعر وتعففه في شعره أو تعهره وفحشه فيه فراح على ضوء ذلك يقسم الشعراء كما بتعبيره إلى أخلاقيين أو متعففين وإلى غير أخلاقيين أو متعهرين . فأخلاقية الفنان أو الأديب تعني عنده العفة ومجانبة التعهر والفاحش من الكلام وهذا ما يتأكد من الأشعار التي أوردها كشواهد وأدلة على تعهر امرئ القيس والأعشى والفرزدق[٩] . لكن هل يمكننا القول إن ابن سلام كان ذا نظرة نافذة بهذا الموضوع ، والحق أنه كان كذلك وإن اكتفى كما رأينا بتقسيم الشعراء إلى شعراء أخلاقيين ولا أخلاقيين وبذكر بعض الأسماء والشواهد دونما مناقشة علمية منطقية ، ذلك أننا لا ننتظر من ناقد عاش قبل ألف وثلاثمائة سنة أن يحدثنا بهذه القضية حديث ناقد معاصر ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر لا ننسى أن ابن سلام ألّف كتابه لأهداف أخرى غير هذه القضية ، ومع ذلك نحس من نصه السابق أنه أدرك وتفهم ما نسميه اليوم بأخلاقية الفن والأدب وهي واحدة من كبريات من قضايا نقدنا المعاصر ويكفي ابن سلام فخراً أنه أثارها ، ولو بإيجاز وتعميم دون مناقشة علمية ، من قبل ما يقرب من ثلاثة عشر قرناً خلت .

رابعاً ـ الشعر وأثر الثقافة فيه

فقد أفرد ابن سلام القسم الرابع من طبقاته للشعراء اليهود في المدينة[١٠] . وبهذا أثبت أن ما نصطلح عليه بيومنا هذا **بالنظرية الثقافية** في الشعر قد شغلت حيزاً هاماً واسعاً عريضاً من نظرية الشعر عنده فهو بعمله هذا كأنما أدرك بحسه النقدي الأصيل أن شعر هؤلاء اليهود اكتسب خصائص وميزات فنية شعرية خاصة بتأثير دينهم ، والدين كما نعرف لون من ألوان الثقافات التي يتثقف المرء بها ويتوجه بتوجيهاتها ، لكن هل كان حقاً لشعر هؤلاء اليهود تلك الميزات والخصائص التي تنأى بهم عن شعراء العرب الآخرين ، إنها نقطة هامة جداً تتطلب من الباحثين جهوداً مضاعفة وبحثاً

متعمقاً مستفيضاً لشعر اليهود والعرب وعقد مقارنة بين الفريقين للوصول إلى نتيجة حاسمة .

خامساً ـ الشعر وأثر البيئة فيه

وخص ابن سلام شعراء **المدن العربية** وأسماها القرى العربية[11] بقسم خاص ، وهي **مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف والبحرين واليمامة** ، وعن الأخيرة قال : (ولا أعرف في اليمامة شاعراً يذكر)[12] .

فقد لاحظ ابن سلام أن شعر شعراء هذه المدن أو القرى على تعبيره قد اختلف عن شعر الآخرين من الشعراء بتأثير **عامل البيئة** التي عاشوا بها والتي تركت آثارها واضحة في شعرهم وطبعته بطابع متميز وصفه ابن سلام بالليونة والرقة والسهولة والعذوبة بدليل قوله عن **عدي بن زيد** : (وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف فلان لسانه وسهل نطقه)[13] فابن سلام لم يفرد لشعراء هذه المدن أو القرى قسماً خاصاً عبثاً إنما لأنه تنبه إلى عامل البيئة التي عاشوها وأثرها الهام الواضح في نتاجهم الشعري ، وأدرك دوره الفعال فيه ، **وهكذا فما ندعوه اليوم بأثر البيئة في العمل الفني والأدبي قد وجد صداه عميقاً في نظرية الشعر عند ابن سلام** بدليل تخصيصه لشعراء المدن العربية بقسم خاص وبدليل ملاحظته الذكية على عدي بن زيد وشعره .

سادساً ـ الشعر والعامل النفسي

ومن الأركان الأخرى الهامة بنظرية ابن سلام التي نحن بصددها الآن ، **أثر العامل النفسي** أو الحالة النفسية للشاعر على نتاجه ، فقد وقف ابن سلام قسماً من طبقاته على من أسماهم بشعراء أو أصحاب المراثي[14] مما يدل على أنه استطاع بحسه النقدي الأصيل أن يدرك أن شعراء هذا القسم يتميزون عن سواهم من الشعراء بأن الحالة النفسية الخاصة المتميزة لكل منهم هي التي فجّرت نبعتهم الشعرية وكشفت لنا عن عبقريتهم وأصالتهم الفنية ، بيد أن هذه الأصالة والعبقرية لم تجاوز موضوعاً بعينه هو الرثاء فلكل منهم مراث جياد تعد ببعضها من عيون شعر الرثاء في أدبنا العربي ، فالحالة النفسية الخاصة التي عاشها هؤلاء هي التي هيأتهم ليبدعوا لنا تلك المراثي الرائعة ، ونذكر جميعاً كيف أن نقّادنا الجاهليين قد تنبهوا لأصحاب المراثي ، إذ وصف **النابغة** الخنساء بقوله إنها لبكاءة .

وهكذا فإن ما نتعارف عليه اليوم بالعامل النفسي وأثره في نتاج الأديب أو الفنان قد شغل حيزاً رئيسياً من نظرية الشعر عند ابن سلام ، ومن المعروف أن ما نسميه بالنظرية النفسية في النقد قد أولاها نقّادنا المعاصرون ومنهم **العقّاد وطه حسين** الاهتمام الأكبر .

سابعاً ـ الشعر وأثر الزمان

وفي القسم الأخير من طبقاته أدرج **الشعراء المسلمين**[15] مما يدلنا على أنه أدرك أثر عامل الزمن في الشعر وأن هذا العامل قد وجد مكانه الفسيح في نظريته الشعرية ، فهو قد أدرك تلك النقلة الواسعة الهامة في الأفكار والمفاهيم ما بين الجاهلية والإسلام وبالتالي بين شعر الجاهلية وشعر الإسلام ، لقد تنبه ابن سلام أن الحد الزمني الفاصل بين شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام كان له كبير الأثر في تطوير الشعر العربي نتيجة تطور الأفكار والمفاهيم والثقافات ، هذا التطور الذي ما كان له أن يحدث لولا الدعوة الإسلامية التي أمرت العرب بالجهاد ونشر رايات الإسلام في أرجاء المعمورة ، فخرج العرب من أفق جزيرتهم الضيق المحدود إلى آفاق أرحب وأوسع تختلف تماماً عن واقعهم الصحراوي بجزيرتهم مما أكسب الشعر العربي ألواناً جديدة ، وأرفده بروافد لم تكن له من قبل ، وطبعه بطابع جديد ، وهذا التطور المرافق لحركة الفتوح إنما تم على مدار سنوات عديدة ، وليس بين عشية وضحاها ، أي أن الزمن كان عاملاً هاماً من عوامل تطور الشعر العربي وهو ما أدركه ابن سلام وجعله ركناً من أركان نظريته الشعرية .

ثامناً ـ الشعر والحرب

ويطل علينا ابن سلام الآن بعامل جديد فعّال وهام في الشعر له مكانه البارز في نظريته الشعرية ، وهو **عامل الحرب والمعارك** الذي يدفع الشعراء إلى مزيد من العطاء والنتاج الشعري ويغني ملكتهم ويرفدها بعناصر شاحذة للإلهام والموهبة ، فقد لاحظ ابن سلام ملاحظة ذكية قال فيها : (بالطائف شعر ليس بالكثير وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو **حرب الأوس والخزرج** أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر **قريش** أنه لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا وذلك الذي قلل شعر قريش وعمان وأهل الطائف)[16] . فابن سلام نظر في طبيعة الشعر الجاهلي فوجده شعر فخار وحرب وقتال فكثر في البادية لأنها أصبح بيئاته كما كثر في قرية عربية اشتعلت فيها الخصومات أو العداوات بين حين وكانت لها أيامها ، فإذا لم يكن ذلك لم يكن هناك حروب

نظرية الشعر عند ابن سلام

وعداوات وخصومات ومن ثم لم يكن للشعر وفرة وكثرة ، كما هو حال الطائف وعمان وقريش .

وإن كان هذا الجانب ينسحب على الشعر الجاهلي وعلى الشعر العربي القديم إلا أنه قد ينسحب على شعرنا العربي المعاصر .

تاسعاً ـ الشعر والمستجدات الطارئة

فابن سلام قال بالمقدمة : (ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام)[17] ، بيد أنه لم يخص المخضرمين بقسم خاص بل وزعهم على طبقات الجاهليين والمسلمين .

وإزاء ذلك فنحن نضم صوتنا إلى الباحثين الذين أكدوا أن ابن سلام كان على حق بعمله هذا ، إذ أثبت به سعة خبرته وعمق درايته وأصالة ثقافته في الشعر والشعراء وبطبيعة العمل الشعري ككل ، وأثبت كذلك مدى تأصل روح النقد عنده وحكمتها ، فنحن نرى أنه قد أيقن أن الشعر شأنه شأن الآداب والفنون لا يمكن له أن يتفاعل ويتجاوب مع جملة المستجدات الطارئة بمحيطه بشكل سريع وفوري ، أو بين عشية وضحاها ، بل لا بد له من وقت كاف أو زمن قد يطول نسبياً حتى يتفاعل مع ما يجد بمحيطه من مستجدات ويتأثر بها وتنعكس على ألسنة الملهمين فيه عملاً فنياً أو أدبياً خلاقاً مبدعاً والدليل على ذلك شعر **فلسطين** ، فشعرها لم يتح له أن يقدم لنا لوحات خالدة قيمة بحق إلا بعد أمد ليس بالقصير من النكبة ، وما الشعر الذي صدر إبان النكبة مباشرة إلا بمثابة أزاهير مبكرة لم تنعقد ثمراً طيباً صالحاً بعد ، وأفضل ما كان من شعر فلسطين هو ذلك الشعر الصادر بعد النكبة بأمد طويل ، ومثل هذا ينطبق على شعر هؤلاء المخضرمين ، إذ كان لا بد لهم من زمن ليس بالقصير حتى يتفاعلوا ويتجاوبوا مع الحدث التاريخي العظيم الذي جد حولهم ألا وهو الدعوة الإسلامية بكل ما تضمنته من جديد وكان لا بد لها في الوقت نفسه من وقت كاف كي تتفاعل مع أجزاء النفس البشرية لكل منهم ومع أجزاء النفس الاجتماعية ككل .

بيد أن ما يلفت النظر ويثير التساؤلات المحيرة هو لماذا أدرج ابن سلام بعض المخضرمين مع الجاهليين وأدرج بعضهم الآخر مع الإسلاميين ، هل وجد أن شعر من أدرجهم مع الجاهليين أقرب إليهم وإلى شعرهم ممن أدرجهم مع الإسلاميين ، من حيث خصائص وميزات نتاجهم الفنية ، وبالمقابل هل وجد لشعر من أدرجهم مع الإسلاميين خصائص وميزات تجعلهم أقرب إليهم ممن أدرجهم مع الجاهليين . إنها لقضية نقدية تراثية غاية في الأهمية والحيوية تحتاج لباحث متمكن يتصدى لها بالبحث والدراسة والمناقشة والمقارنة والتحليل ليصل بنا إلى نتيجة فاصلة فيعرف لماذا أدرج ابن سلام بعض الشعراء المخضرمين مع الجاهليين وأدرج بعضهم الآخر مع الإسلاميين .

عاشراً ـ الجمال الفني جمال نسبي تتفاوت قيمه

وقال ابن سلام : (وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن وما يثقفه اللسان . . . كذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون جيدة الشطب نقية الثغر حسنة العين ظريفة اللسان واردة الشعر فتكون بهذه الصفة بمئة دينار وتكون أخرى بألف دينار أو أكثر ولا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة . . . ويقال للرجل والمرأة بالغناء والقراءة إنه لندي الحلق طل الصوت طويل النفس مصيب اللحن ويوصف الآخر بهذه الصفة وبينهما البون بعيد ، يعرف العلماء ذلك عند المعاينة والاستماع بلا صفة ينتهي إليها ولا علم يوقف عليه وأن كثرة المدارسة لتعدى على العلم به فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به)[18] .

فابن سلام يقرر حقيقة نقدية ساطعة بهذا النص تقول إن الجمال الفني جمال نسبي تتفاوت قيمه وإن كانت له ضوابطه وقواعده العامة لكنها هادية وليست بفاصلة وصارمة بل هي لرقيقة متموجة ولا يمكن تحديدها بمعايير ثابتة كمعايير العلم بل هي متفاوتة وإنما يدركها الناقد أكثر فأكثر كلما ازداد تعمقاً وحذقاً ودربة وخبرة وتذوقاً بالنقد والفن والأدب .

حادي عشر ـ عيوب الشعر

وهنا نلاحظ أن هذا الركن ينطبق بعضه على الشعر بعصر ابن سلام وبعضه الآخر على الشعر بعصرنا الراهن ، وهذا الركن يتفرع إلى :

أ ـ نقد فني : حيث عدد ابن سلام من عيوب الشعر الفنية عدداً منها مما ينطبق على الشعر بعصره وما سبقه من عصور فراح يعيب على الشعراء خروجهم على قواعد وضوابط العمل الشعري المتعارف والمتواضع عليها عصرئذ (**قال يونس بن حبيب عيوب**

الشعر أربعة: الزحاف والسناد والإقواء والإبطاء)[19]. ثم فصل كل عيب على حدة[20]، وفي حديثه عن شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين قال: (ولم يقو من شعراء هذه الطبقة ولا من أشباههم إلا النابغة... فعيب عليه ذلك فلم يأبه حتى أسمعوه إياه في غناء)[21]. وينقل عن النابغة قوله: (قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ورحلت عنها وأنا أشعر الناس)[22]. وواضح أن هذا ينطبق على الشعر بعصر ابن سلام لكنه مع ذلك ومن ناحية إجمالية عامة ينسحب على الشعر في كل عصر، إذ لكل شعر في كل عصر قواعده وضوابطه وشروطه وخصائصه وميزاته التي تميزه عن سواه من ألوان الأدب ولا بد للشاعر من أن يتقيد بها لكنها بالطبع تختلف من زمن إلى آخر.

ب ـ النقد اللغوي: وفيه عدد لنا نماذج من المآخذ اللغوية النحوية التي أخذها العلماء على بعض الشعراء فقيس بن عمر أخذ على النابغة قوله (ناقع) عندما أنشد:

فبت كأنما ساورتني ضئيلة
من الرقش في أنيابها السم ناقع

والصواب برأيه (ناقعاً).

وابن إسحق يتتبع زلات **الفرزدق** اللغوية فيأخذ عليه قوله (رير) بالكسر.

مستقبلين شمال الشآم تضربنا
بحاصب كنديف القطن منثور
على عمائمنا يلقى وأرحلنا
على زواحف تزجى مخها رير

والصواب برأيه (رير) بالضم[23].

ويلاحظ **الأستاذ زغلول سلام** أن ابن سلام يتفق مع النحويين في كثير مما أخذوه على الشعراء من زلات وسقطات لغوية متأثراً بهذا الاتفاق بأساتذته، ويخالفهم في مواضع محدودة يرى فيها تبريراً للشاعر مهتدياً بذلك بذوقه وحسه الشعري[24].

وواضح بجلاء أن هذا الجانب من هذا الركن من أركان نظرية الشعر عند ابن سلام ينطبق على الشعر في كل زمان ومكان، ومما يؤسف له إلى حد المرارة أن نرى الكثيرين من شعرائنا المحدثين سيما الناشئين منهم يضربون بعرض الحائط بقضية سلامة اللغة.

جـ ـ نقد المعاني: وهو يتصل بالمعرفة العامة للشاعر بما يحيط به من الأشياء التي يتناولها بشعره، أو يتصل بثقافة الشاعر العامة، من ذلك مثلاً ما يؤاخذ به العلماء الشاعر من عدم إلمامه بصفة الجيد من الخيل والنجيب وغير النجيب منها، أو يعيبون عليه جهله بمواقع النجوم ومواعيد ظهورها واختفائها على نحو ما عابوا على امرئ القيس قوله (إذا ما الثريا بالسماء تعرضت) فقالوا الثريا لا تتعرض ومن ذلك أنهم عابوا على زهير قوله (أحمر عاد) وهو أحمر ثمود[25].

وهذا الجانب من هذا الركن من نظرية ابن سلام الشعرية ينطبق بدوره على عصرنا والشعر والشعراء فيه، فموضوع ثقافة الشاعر يأتي على رأس قضايا النقد والشعر في أيامنا هذه بل يمثل بالنسبة للمتأدبين المحدثين اليافعين الناشئين مشكلة أو قضية غاية في الأهمية والتعقيد والصعوبة، فغالباً ما ترى من هؤلاء من يأتيك بتشبيه ما لزهر نبات ما وإذا بحثت في علم النبات لم تجد لهذا النبات زهراً البتة، فقصور ثقافة الشاعر وضيق أفقها يثير في أيامنا هذه جدالا محتدماً واسعاً بين الأوساط النقدية والأدبية المعاصرة، بيد أن ابن سلام أثار هذه القضية الهامة من قبل ألف وثلاثمائة سنة في نظريته الشعرية مما يصفها برؤية مستقبلية نافذة من جهة، ومما يؤكد قولنا فيما سبق وفي البداية إنها نظرية متكاملة أو تكاد تكون متكاملة وإنها تضاهي أو تكاد النظريات الحديثة.

الهوامش

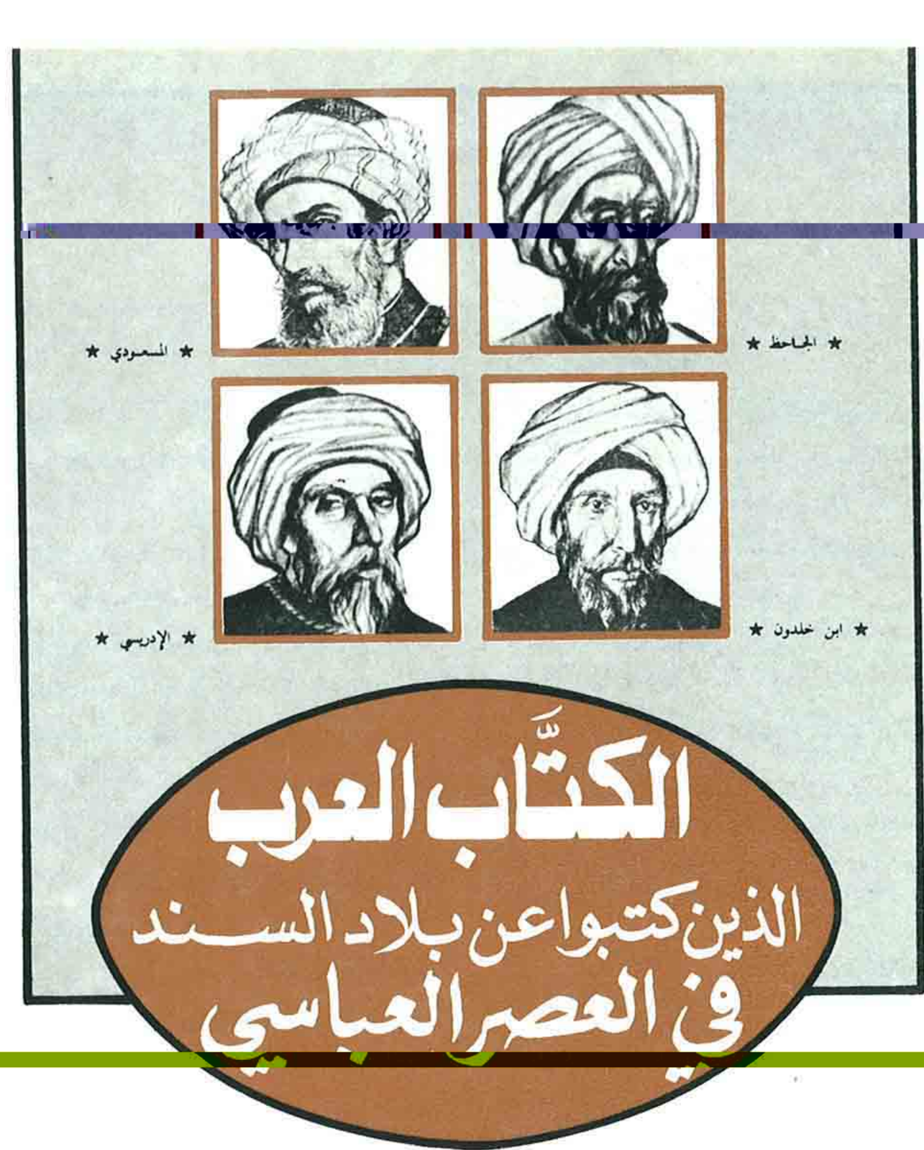
(١) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، شرح محمود شاكر، مصر، ط ٧٤، م المدني.

(٢) انظر ترجمته في معجم الأدباء ١٣/٧، وتاريخ بغداد ٣٢٧/٥ وبغية الوعاة ٤٧، وطبقات النحويين ١٩٧، ومراتب النحويين ١٧، وتاريخ ابن كثير ٣٠٨/١٠، وهو قد ولد بالبصرة (١٣٩ هـ)، وتوفي ببغداد (٢٣١ هـ، أو ٢٣٢ هـ).

(٣) أبرز هذه الدراسات مما تهيأ لنا الاطلاع عليه: تاريخ النقد الأدبي لطه إبراهيم، وتاريخ النقد الأدبي لزغلول سلام، والنقد الأدبي لأحمد أمين، والنقد المنهجي لمندور.

(٤) هذا البحث فصل من دراسة مطولة عن ابن سلام بعنوان (كشف جديد لطبقات ابن سلام) شرعنا بنشرها بالدوريات الثقافية العربية.

(٥) طبقات ٥/١.
(٦) طبقات ٢٤/١.
(٧) طبقات ٤١/١.
(٨) طبقات ٤٦/١.
(٩) طبقات ٤١/١.
(١٠) طبقات ٢٧٩/١.
(١١) طبقات ٢١٥/١.
(١٢) طبقات ٢٢٧/١.
(١٣) طبقات ١٥٠/١.
(١٤) طبقات ٢٣٠/١.
(١٥) طبقات ٢٩٧/١.
(١٦) طبقات ٢٥٩/١.
(١٧) طبقات ٢٣/١.
(١٨) طبقات ٥/١.
(١٩) طبقات ٦٨/١.
(٢٠) طبقات ٦٨/١.
(٢١) طبقات ٦٧/١.
(٢٢) طبقات ١٦/١.
(٢٣) طبقات ١٧/١.
(٢٤) طبقات، والنقد الأدبي، د. سلام ١٠٢/١، مصر، دائرة المعارف.
(٢٥) طبقات ٩٩/١.



الكتّاب العرب الذين كتبوا عن بلاد السند في العصر العباسي

بقلم : د . عبد الله مبشر الطرازي

أهم الكتّاب العرب القدماء من المؤرخين والجغرافيين والأدباء الذين كتبوا عن بلاد السند (بلاد باكستان الحالية) التي فتحها العرب بقيادة محمد ابن القاسم الذي أسس بها الدولة العربية سنة ٩٢ هـ ، واستمرت حتى سنة ٤١٦ هـ .

(١) الجاحظ (ت ٣٥٥ هـ) :

هو أبو عثمان عمر بن بحر ، من أهالي البصرة ، كان كاتباً أديباً معروفاً ، يذكر **المسعودي** أنه لم ير بين الأدباء أبلغ وأفصح منه ، وقد ألف الجاحظ كتباً كثيرة أشهرها كتاب « **البيان والتبيين** » ، و« **البخلاء** » ، و« **الحيوان** » ويقول **ابن خلدون** بشأن كتاب البيان والتبيين : إن الأساتذة العرب في دور التعليم قد جعلوه مقرراً في منهج الأدب ، واعتبروه من أمهات الكتب في العصر العباسي . وقد سجل الجاحظ في مؤلفاته أخباراً كثيرة عن أهل السند والهند ، ففي كتاب البيان ذكر عن أصول البلاغة عندهم ، وفي كتاب « رسالة فخر السودان على البيضان » ذكر الصفات الفكرية والخصائص القومية لأهل السند والهند وخدمات علمائهم للعلم والإسلام .

(٢) البلاذري (ت ٣٧٩ هـ)

هو أبو جعفر أحمد بن يحيى ، من سكان بغداد ، **كان عالماً بالجغرافية والتاريخ ، وعارفاً للغة الفارسية** وقد ترجم كتباً عديدة منها إلى العربية ، ومن مؤلفاته المعروفة كتاب « **أنساب الأشراف وأخبارهم** » في عشرين مجلداً غير كامل ، وكتاب « **فتوح البلدان** » ذكر فيه عن حملات العرب على بلاد السند وفتوحاتهم فيها وأخبار حكومتهم بها في العصرين الأموي والعباسي .

(٣) اليعقوبي (ت ٢٨٧ هـ)

هو أحمد بن يعقوب ، من سكان بغداد ، **كان رئيساً لديوان القصر العباسي** ، وقام بزيارة معظم الولايات الإسلامية التابعة للدولة العباسية ، وأتى إلى بلاد الهند والسند أيضاً ، له كتاب في التاريخ باسم « **تاريخ اليعقوبي** » فيه كثير من أخبار فتوحات العرب في بلاد السند ، وأسماء الكتب الهندية التي ترجمت إلى العربية ، وكتاب آخر في الجغرافيا باسم « **كتاب البلدان** » يذكر فيه أيضاً عن بلاد السند ، **ويعتبر اليعقوبي من الأوائل الذين كتبوا عن تاريخ العالم الإسلامي** .

(٤) ابن خرداذبه (القرن الثالث الهجري)

هو أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، من أهل خراسان ، لكنه سكن بغداد ، وعمل رئيساً لإدارة البريد في عهد الخليفة المعتمد العباسي ، وكان من ندمائه وألف كتباً عديدة أهمها كتاب « **المسالك والممالك** » يعتبر من أهم الكتب ذكر فيه عن جغرافية بلاد السند والهند والطرق التجارية البرية والبحرية والمسافات بين المدن ، وقد اعتمد على جغرافية **بطليموس** وعلى المعلومات التي تحصل عليها من الإدارة الحكومية التي كان يشرف عليها في بغداد .

(٥) ابن رسته (القرن الثالث الهجري)

هو أبو علي أحمد بن رسته ، من

الجغرافيين العرب في القرن الثالث الهجري ، له كتاب باسم « **الأعلاق النفيسة في تقويم البلدان** » ألفه سنة ٢٩٠ هـ ، وسجل فيه معلومات كثيرة عن عجائب الأرض وحالات البلاد المختلفة ، كما ذكر عن بلاد السند والهند وأخبارها الجغرافية والاجتماعية والمذهبية .

(٦) ابن الفقيه
(القرن الثالث الهجري)

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد الهمذاني ، من العلماء الجغرافيين ، وقد ذكر له كل من **ابن النديم وياقوت الحموي** كتباً عديدة ، ولكن الذي وصلنا منها هو « **كتاب البلدان** » في الجغرافيا ، ونجد فيه معلومات كثيرة عن جغرافية البلاد المفتوحة ، ولا سيما عن المدن والأنهار في بلاد السند والهند في العصر العباسي .

(٧) سليمان التاجر
(القرن الثالث الهجري)

هو سليمان التاجر ، **من أقدم الرحالين العرب** ، وكان تاجراً كبيراً يسافر من موانئ العراق بسفينته إلى موانئ السند والهند والصين . في أثناء رحلته التجارية الطويلة ، كان يطوف بالسواحل السندية والهندية ويختلط بسكانها ، وقد سجل في مذكراته معلومات قيِّمة عن حالاتها الاجتماعية والمذهبية ، وانتهى من كتابة مذكراته سنة ٢٣٧ هـ ، ولكن توجد فيها بعض بيانات عجيبة من قبيل الخرافات التي لا نجد ذكرها في الكتب الأخرى في العصر العباسي .

(٨) السيرافي
(القرن الثالث الهجري)

هو أبو زيد حسن السيرافي ، من السياح في القرن الثالث الهجري ، **من أهالي سيراف بالخليج العربي** ، وكان يقوم بالتجارة من ميناء سيراف إلى موانئ بلاد السند والهند والصين ، وانتهى من كتابة مذكراته سنة ٢٦٧ هـ ، وقد ذكر فيها عن الحالات المذهبية والعادات الاجتماعية وأخبار الملوك في بلاد السند والهند ، وهذه المعلومات كانت تعتمد في الغالب على المشاهدة الذاتية في تلك البلاد في العصر العباسي .

(٩) بزرك بن شهريار
(القرن الرابع الهجري)

هو بزرك بن شهريار ، كان ملاحاً فارسي الأصل يقيم في بغداد في القرن الرابع الهجري ويشتغل بالتجارة ، وكان يقود سفينته الكبيرة من موانئ العراق إلى موانئ بلاد السند والهند والصين ، وقد ألف كتابه باسم « **عجائب الهند** » بالعربية ، وسجل فيه كل ما شاهده في بلاد السند وخاصة جنوب بلاد الهند وإقليم الكجرات ، وذكر فيه أخباراً مختلفة عن الأوضاع الاجتماعية والمذهبية وعن العادات والتقاليد ، وبعض حكايات غريبة .

(١٠) الإصطخري
(القرن الرابع الهجري)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، من الجغرافيين الرحالين في القرن الرابع الهجري ، وقد زار معظم البلاد الآسيوية وحضر إلى بلاد السند والهند سنة ٣٤٠ هـ ، وفيها تقابل مع معاصره العالم الرحالة **ابن حوقل** ، وله كتابان هما : « **كتاب الأقاليم** » و « **المسالك والممالك** » ، ففي الأول توجد خرائط لبلاد مختلفة من بينها بلاد السند ، وفي الثاني توجد معلومات جغرافية واجتماعية عن بلاد ما وراء النهر وبلاد الهند والسند في العصر العباسي .

(١١) المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)

هو أبو الحسن علي بن الحسين ، من أهالي بغداد ، وكان مؤرخاً وجغرافياً ، وقد قضى خمسة وعشرين عاماً في الرحلة ، بدأ السفر من بغداد إلى مدن العراق والشام وارمينيا وبلاد الروم في آسيا الصغرى ، ثم بلاد إفريقيا لا سيما السودان والحبشة ، وبعد ذلك إلى بلاد الصين والهند والسند . . وإن المعلومات التاريخية والجغرافية التي يذكرها **المسعودي** في كتبه معلومات قيِّمة وبعضها نادرة ، له كتب كثيرة منها كتاب « **مروج الذهب ومعادن الجوهر** » ، وكتاب « **التنبيه والإشراف** » فأما الأول فإنه مليء بالمعلومات القيِّمة والنادرة ، وموضوعه في تاريخ الإسلام ويشتمل على إجمال تاريخ الأقوام في العالم ، وفي ضمن ذلك يذكر أخباراً كثيرة عن بلاد الهند والسند وأنهارها وبحارها ، وقد ألفه سنة ٣٣٢ هـ ، بعد إتمام رحلته الطويلة ، وفي الثاني أيضاً نجد معلومات جغرافية عن بلاد الهند والسند .

(١٢) البشاري
(القرن الرابع الهجري)

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ، من بيت المقدس ، وقد زار كثيراً من البلاد الإسلامية وبلاد السند أيضاً ، له كتاب باسم « **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** » من أشهر الكتب الجغرافية في عصره ، وقد تحدث فيه عن بلاد الهند وبلاد السند ، ويحتوي كتابه على خرائط لبلاد مختلفة لا يوجد مثلها في غيرها من الكتب ، ومن ميزاته أنه قسم البلاد إلى الأقاليم والولايات والمدن ، ثم ذكر كل مدينة بما فيها من المنتجات الزراعية والصناعية والأخبار التجارية والمذهبية وأنواع النقود ، وقد ألفه سنة ٣٧٥ هـ ، ويعتبر من المراجع المهمة .

(١٣) المقدسي
(القرن الرابع الهجري)

هو مطهر بن طاهر المقدسي ، من أهالي بيت المقدس ، كان من علماء العرب الفلاسفة ، مهتماً بعلم التاريخ وأخبار الأمم والشعوب ، وبقي من بين تصانيفه كتاب في التاريخ باسم « **كتاب البدء والتاريخ** » وهو في ستة أجزاء ، وقد ذكر في الجزء السادس منه



بيانات مذهبية وأخبار جغرافية واجتماعية لبلاد الهند والسند في العصر العباسي .

(١٤) ابن النديم
(القرن الرابع الهجري)

هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب النديم ، اشتهر بابن النديم ، من أهالي بغداد ، كان يقوم بنقل وترتيب وتصحيح الكتب وبيعها ، وقد ألف كتاباً مهماً باسم « **الفهرست** » في سنة ٢٧٧ هـ ، ذكر فيه لغات الأقوام المختلفة وأشكال الخطوط ، كما ذكر الكتب العلمية والأدبية التي ألفت بالعربية في القرون الماضية حتى عصره والتي ترجمت من اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية مع إجمال تاريخ مؤلفيها ، وقد أورد في كتابه بيانات مفيدة عن كتب بلاد الهند والسند في العلوم والفنون ، وعن المذاهب الهندية السندية .

(١٥) البغدادي (ت ٤٢٩ هـ)

هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر ، من علماء بغداد ، وذكر الجاحظ أنه قدم خدمات جليلة في سبعة عشر علماً وفناً بالتدريس والتأليف ، له كتاب باسم « **الفرق بين الفرق** » في تاريخ الفرق الإسلامية ، ذكر فيه باختصار عن المذهب البوذي في بلاد الهند والسند .

(١٦) الأندلسي (ت ٤٦٢ هـ)

هو أبو القاسم صاعد بن أحمد ، عربي النسل ، من سكان قرطبة ببلاد الأندلس ، كان عالماً كبيراً في الحديث والفقه والأدب والتاريخ ، وفي الفلسفة والطب والرياضة والفلك ، وقد تولى منصب القضاء في مدينة طليطلة في عهد واليها يحيى بن ظافر ، حتى توفي سنة ٤٦٢ هـ ، وقد ألف كتباً عديدة ، ذهبت كلها ضحية حوادث فلم يبق منها سوى كتاب « **التعريف بطبقات الأمم** » الذي يدل على تبحر مؤلفه في العلوم وعلو شأنه بين العلماء وذكر فيه جميع العلوم والفنون عند الأقوام المتحضرة في العالم باختصار ، وظل مرجعاً مهماً لقرون عديدة ولا يزال ، وقد بحث المؤلف في باب منه عن العلوم والفنون وخصائص علم الفلك والنجوم في بلاد الهند والسند .

(١٧) الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)

هو أبو الفتح عبد الكريم الشهرستاني ، كان عالماً وباحثاً في مذاهب العالم ، وقد طاف في كثير من البلاد ، له مؤلفات عديدة أشهرها « **الملل والنحل** » فيه معلومات عن المذاهب والفلسفات وتاريخها ، لا سيا المذاهب الهندية السندية ، وقد ترجم إلى كثير من اللغات الأوروبية والشرقية .

(١٨) القاضي رشيد
(القرن الخامس الهجري)

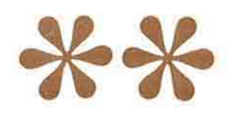
هو القاضي رشيد بن زبير ، كان عالماً معروفاً في القرن الخامس الهجري ، وكان من ندماء **الحاكم أبي كالبحار** في الدولة البويهية ، ثم رحل إلى مصر عند الخلفاء الفاطميين ، وقضى بقية حياته هناك ، وقد ألف كتباً عديدة أهمها كتاب « **الذخائر والتحف** » فيه معلومات قيّمة لا توجد في غيره من الكتب ، ولا سيما عن تبادل التحف النادرة والهدايا الثمينة بين حكام البلاد العربية وحكام البلاد الأخرى كبلاد السند والهند والصين في العصر العباسي .

(١٩) الإدريسي
(القرن الخامس الهجري)

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، كان ابناً للأسرة الإدريسية المالكة في إفريقيا ، ولد سنة ٤٩٣ هـ ، بمدينة الصقلية ببلاد الأندلس ، حيث اختارها جده للإقامة بعد عزله عن الحكم ، وسافر الإدريسي في طفولته إلى قرطبة لتحصيل العلم ، ولما شب اشتهر علمه ، ثم طلبه **راجر الثاني الحاكم المسيحي في الصقلية** ، وأكرمه كثيراً ، وطلب منه أن يصنع نموذجاً لكرة الأرض ، ولإتمام تلك المهمة تلك المهمة سلم إليه كمية من الفضة تقدر بأربعمائة ألف درهم ، فصنع الكرة الفضية للأرض وعليها جميع المدن والجبال والبحار والأنهار والأودية في العالم . وبعد ذلك قام الإدريسي برحلة علمية حول العالم لمدة خمسة عشر عاماً وألف كتاباً هاماً في الجغرافيا سمّاه « **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** » في عدة أجزاء والجزء الذي يتعلق بجغرافية بلاد الهند وبلاد السند اتخذه **الدكتور مقبول أحمد الهندي** موضوعاً لرسالة الدكتوراه في جامعة أكسفورد ، ثم نشره قسم الإسلاميات بجامعة مسلم (مسلم يونيورستي) بالهند تحت عنوان « وصف الهند وما يجاورها » وعلى ذلك **يعتبر كتاب نزهة المشتاق أعظم كتاب في الجغرافيا في العصر العباسي** .

(٢٠) ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ)

هو أبو العباس أحمد بن قاسم ، **من أهالي دمشق** ، كان طبيباً معروفاً ، ومهنة الطب كانت وراثية له ، فقد كان جده طبيباً للسلطان صلاح الدين كما كان والده طبيباً ، فقد أخذ علم الطب في البداية من والده ثم سافر إلى القاهرة وأكمله هناك ، وتولى عدة مناصب عالية في عهد الدولة الأيوبية ، وألف كتاباً مهماً في مجلدين باسم « **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** » في تاريخ حياة مشاهير الأطباء عند جميع الأقوام المتحضرة ، وفي الجزء الثاني ذكر معلومات عن أطباء بلاد الهند والسند وأعمالهم الطبية وكتبهم القيّمة في البلاد العربية في العصر العباسي .



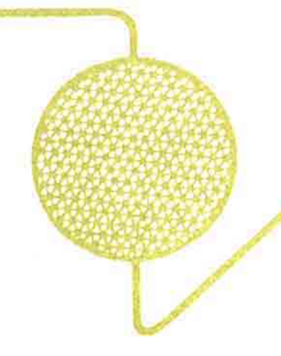


قصة قصيرة

بقلم: د. وليد قصاب

العيد

العيد يقترب شيئاً فشيئاً ، ومع اقترابه تتضخم المأساة ، وتزداد حدتها ، ويرتسم شبحها مزعجاً مقلقاً في عينيْ أبي عمر . وصوت زوجته لا يكف عن تذكيره كلما أوشك أن



بُخْلد إلى شيء من التناسي :

– العيد على الأبواب يا أبا عمر . .

فيجيب بانكسار :

– أعرف ، أعرف يا امرأة . .

فتقول محتجة :

– ولكنك لا تفعل شيئاً يا رجل . . أيمر العيد ولا نشتري كسوة جديدة للأولاد ، أو يدخل بيتنا طعام دسم أو بعض من الحلوى التي لا يخلو منها بيت في هذه المناسبة ؟ .

حقاً ، هذه أشياء لا بد منها في العيد . والدنيا منذ أكثر من أسبوعين قائمة قاعدة تستعد لهذه المناسبة . الأسواق أصبحت لا موطئ لقدم . والناس تدفع بلا حساب . تشتري حللاً جديدة ، وهدايا للأولاد ، وأطعمة وحلوى وأشياء لا تُعد ولا تحصى . المال يتدفق من هنا وهناك كنهر لا ينقطع . عجباً ، من أين يأتي الناس بهذه الأموال ؟ حتى جاره **أبو سعيد** ، الموظف البسيط في وزارة التربية ، كم مرة التقى به في الحارة وهو يتنحنح من ثقل ما حمل من رزم وأكياس كاد يختفي وراءها ، وجاره الحاج رضا لا تكف زوجته عن التباهي أمام الجيران بما يحمله زوجها كل يوم من أشياء العيد وحاجاته . . إلا أنت يا أبا عمر ، الوحيد في الحارة الذي يبدو أن الخيبة قد حلّت عليك على حد تعبير أم عمر . . تصرّف يا رجل ، تصرّف . . نريد كسوة للأولاد وطعاماً وحلوى . . أولادنا ليسوا أقلّ من أولاد الناس . . ولكن كيف تتصرّف يا أبا عمر ؟ العين بصيرة واليد قصيرة ، فأنت لست من أصحاب الخوارق ، وأنت لا تملك خاتماً كانوا يسمونه في قصص الأطفال (خاتم سيدنا سليمان) حتى تدعكه فينتصب أمامك مارد عملاق من الجن يقول بصوت يهز الأرض والجبال : (شُبّيك . . لبيك . . إلخ) ، فتطلب منه ، وتتمنّى عليه الأماني . وأية أمان هذه ؟ . . سوف تطلب منه أن يحضر بذلة زرقاء من كتان **لعادل** ، وحذاءً جديداً **لسامر** ، وثوباً **لمنى** ، ومسدس أطفال **لعمّار** ، ومحفظة نقود **لسعاد** ، وأي شيء **لفاطمة وزينب وعبد الرحمن** . . أجل ، أي شيء . المهم ألا يأتي العيد ، ويدخل عليهم ملوِّحاً بيدين فارغتين كما تقول أم عمر . ويغرق في أحلامه كما لو انتصب المارد العملاق حقيقة . ويتخيل نفسه مثل أبي سعيد أو الحاج رضا يدلف إلى حارته وبين يديه عدد من الرزم والحزم والأكياس ، فيها ملابس زاهية ، وأحذية جديدة ، و **(غُرَيْبَة)** و **(برازق)**[1] للأولاد ، وسوف يرفع رأسه في الحارة تيّاهاً فخوراً . إنه لا يقل عن أحد ، إنه رجل مثل رجال الحارة جميعاً . يستطيع أن يشتري كما يشترون ، وينفق كما ينفقون ، ويجلب مثلما يجلبون . ولسوف لن تستقبله أم عمر في هذه المرة بعبارتها الساخرة المعتادة :

– عدت يا أبا عمر ملوحاً بيديك ؟ . .

بل ستفغر فاها دهشة وعجباً ، وستشرق على ثغرها ابتسامة انطفأت منذ عهد بعيد ، ويزداد انطفاؤها يوماً بعد يوم كلما أوشك العيد أن يقرع الأبواب ، وستهرع عصبة الأولاد تخطف ما يحمل ، فتشرق البهجة في المنزل ، وتزهو في العيون ابتسامات وضحكات .

ويستفيق من خواطره . عجباً ، ما بالك قد أسرفت في الحلم يا رجل ؟ لقد انتهى زمن الخرافات والمعجزات منذ عهد بعيد . والمعجزات والخوارق لم تظهر إلا على الأنبياء والأولياء والصديقين ، وأنت عبد ضعيف من سوقة الناس ، لم تؤثر لك مكرمة من مكرمات الدين أو الدنيا .

وتابع طريقه إلى المنزل ، وكلما اقترب طفحت التعاسة على وجهه ، وعضته كآبة مؤلمة . سيجد الأولاد بانتظاره عند الباب وقد عللوا أنفسهم بأمان طيبات لا حصر لها . إنهم يتصورون أباهم – مثلما يتصور كل ولد أباه – مقتدراً عملاقاً يصنع المعجزات ، وحسبهم أن يفضوا إليه بما يريدون حتى يحققه في الحال . صحيح أن القلق قد بدأ يساور أولاد أبي عمر في هذه المرة ؛ فكل يوم يعود أبوهم خاوي الوفاض ، والأيام تزحف بسرعة معلنة اقتراب العيد ، ولكنه قلق لم يزعزع قط يقينهم في أبيهم . إنه بلا شك سيحمل إليهم كل شيء في الوقت المناسب تماماً ، أما أبو عمر فكانت الغصة تملأ حلقه وهو يتجه إلى المنزل . كيف يحقق للأولاد ظنهم ؟ كيف يحافظ على صورته في عيونهم فلا تضطرب أو تهتز ؟ إنه يرزح دائماً تحت أعباء ثقيلة لا يقوم مرتبه الضئيل بتحمل

بعضها إلا بشق النفس ، وقد قبض منذ أيام هذا المرتب مع زيادة حقيرة تُعطى عادة في الأعياد ، وبعد أقل من أسبوعين كان قد أنفق شطره الأعظم ولم يبق في جيبه إلا مئة ليرة لا تكاد تصنع شيئاً في هذا الغلاء الفاحش الذي أصبحت فيه الليرة مثل القرش ، والعشر مثل الواحدة . عجباً ، كيف تغيرت الأحوال والناس والأيام ؟ **كانت مئة الليرة ذات يوم ثروة تصنع الكثير ، ولكنها اليوم تافهة لا تكاد تكفي حاجة يوم . ماذا يفعل ؟** استدان في الشهر الماضي من صديقه **الحاج خليل** ثلاثمائة ليرة على أن يسددها في أول الشهر الحالي ، ثم اعتذر إليه ، وكان يعتزم أن يطلب من الرجل مبلغاً آخر يستعين به على أعباء العيد ، ولكنه أمسك عندما وجد اعتذاره يقابل بغير ارتياح ؛ فقد غمغم الحاج خليل متذمراً :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. كان ينبغي أن تخبرني بهذا من أول الأمر حتى أتدبر شأني يا أبا عمر .

تابع طريقه إلى المنزل والأفكار تعصف برأسه . كم يتهيب العودة وهو يتخيل تلك الوجوه التي سيلقاها ! وجوه فيها تطلع وتساؤل ، وعليها لهفة وأمل . سيسرعون إليه وقد حسبوا أنه جاءهم أخيراً يحمل الفرج . ولكن أكثر ما يقتحم عليه خواطره المرهقة صورة زينب كبرى أولاده وقد أطلت من عينيها دائماً تلك النظرة الحزينة المنكسرة . إنها ـ فيما يبدو ـ الوحيدة في هذا المنزل التي تشعر بالمأساة ، وتشاركه المعاناة على صغر سنها . سمعها منذ يومين تعاتب أمها عتاباً رقيقاً بعد أن أغلظت له القول ، واتهمته كالعادة بالخيبة والغفلة وقلة الحيلة . كانت تقول لأمها :

ـ لا نريد شيئاً يا أمي .. عندنا كل شيء .. وأبي لن يبخل علينا إن كان معه .. فلماذا لا تكونين رفيقة في حديثك إليه ؟ ..

عجباً ، كيف تدرك **زينب** الأمور على هذا الوجه ؟ وبقدر ما أسعده كلامها يومذاك أتعسه في الوقت نفسه أن تحمل ـ على صغرها ـ إصْرَ المعاناة ، ومرارة الإحساس بالوطأة والشدة . إن ذلك يجعلها تكبر قبل أوانها .

عذبه هذا الشعور ، وأصبحت زينب مبعث همٍّ وقلق آخرين .

★ ★ ★

عند مدخل الحارة لمح لمَّة من الأولاد . كانوا منهمكين في لعبهم وضوضائهم فلم يشعروا بمروره ، ولكنه لمح عند حنفية الماء التي في مدخل الحارة **ابنه عبد الرحمن** في ثيابه الرثة . كان يقف مع **عادل ابن الحاج رضا** الذي رفل في ثيابه الجديدة ، وبيده لعبة براقة كان عبد الرحمن ينظر إليها مبهوراً ، ويحاول أن يتحسسها بيدين مرتعشتين . لم يشعر عبد الرحمن بمرور أبيه ، ولكن أبا عمر ما كاد يصبح بمحاذاة ولده حتى صك سمعه صوت عادل يقول لرفيقه :

ـ ماذا أحضر لك أبوك على العيد يا عبد الرحمن ؟ .

أمسكت أبا عمر غصة في حلقه كادت تخنقه ، وتسمرت قدماه ، بينما أجاب عبد الرحمن صديقه بانكسار وبراءة :

ـ لم يحضر لي أبي شيئاً حتى الآن .. ولكن أمي أكدت لنا أنه سيعود اليوم ومعه ملابس وحلوى ولعب كثيرة .

شعر كأن أحداً صفعه على وجهه صفعة أذهبت قواه ، فاستند إلى الحائط لأنه أحس في الوقت نفسه أن ساقيه لا تقويان على حمله . ثم سمع الأولاد المتجمعون خبطة قوية ، فالتفتوا نحو مصدر الصوت مذعورين .

★ ★ ★

ظل أبو عمر في حالة غيبوبة طوال اليوم ، وعندما فتح عينيه في المساء كان وجهه يحاكي صفرة الموت ، وكانوا ملتفين حول سريره وفي عيونهم نظرات حزن وألم وانكسار ، وعندما استطاع أخيراً أن يجد صوتاً واهناً ضعيفاً التفت إلى زوجته ، وغمغم بذل :

ـ لا تؤاخذيني يا أم عمر .. عدت كالعادة ملوحاً بيدين فارغتين .

فهمست أم عمر بصوت مؤثر عميق ، وهي تربت على كفه بحب وحنان واعتذار :

ـ سامحني يا أبا عمر .. ولا تهتم بهذا الآن .. أنت أعز علينا من كل شيء .

ثم مسحت دموعاً غزيرة تجمعت في مآقيها ، بينما غطت الصغيرة زينب وجهها بكفيها ، ثم انسحبت من الغرفة .

بقلم :
د . محمد شحادة عليان

تاهت الشمس بين غيوم الشتاء ، يبدو أنها شاخت ، ولم تعد تقوى على الظهور . الأغصان في حديقة المنزل روّعت عصافيرها ، شبح من الكآبة والسواد يسدل أستاره . امّحت أصوات العصافير ، لم يعد لليل بهاؤه ، حلكته تطفئ كل أثر للسعادة في قلب **الحاج عمران** ، هدّه المرض وألقى به فوق سرير يبدو عليه أنه استُعمل قبل قرن . حالته الصحية لا تبشر بخير ، هكذا يلق بمن هم مثله في غرفة للموت . كلمات الحاج عمران تجمّدت على شفتيه . عيناه غطتها مسحة ضبابية من الألم والحزن لكن نور الإيمان تلمحه ينداح في أعماق كيانه ، تشعر به عندما يحرّك عينيه إلى أعلى السقف قاصداً اللجوء إلى ربّ العباد . تحس بتأوه أعماقه ، وشوقه الجارف لرؤية أبنائه وأحفاده . بصعوبة بالغة تخرج من بين شفتيه كلمات سرى في حروفها الحزن والعذاب .

– أريد صا .. بر ، إسما .. عيل . عبد ..

وتفيض دموعه قبل أن يتم اسم ابنه الثالث . يدرك من حوله مطلبه ، يعقّب رجل وقور :

– توكّل على الله . سيحضرون .. سنبعث لهم برقية للحضور ..

يكرر الحاج عمران متوسلاً :

عبد الله لا تنسوه .

أم صابر تشيح بوجهها وتحاول أن تخفي نهر الدموع الذي فاض ، لم تفلح . علا صوت الدمع . ابنتاها شاركتا في هذا الوداع الجنائزي المبكِر .. حتى الرجال ترقرق الدمع في مآقيهم .

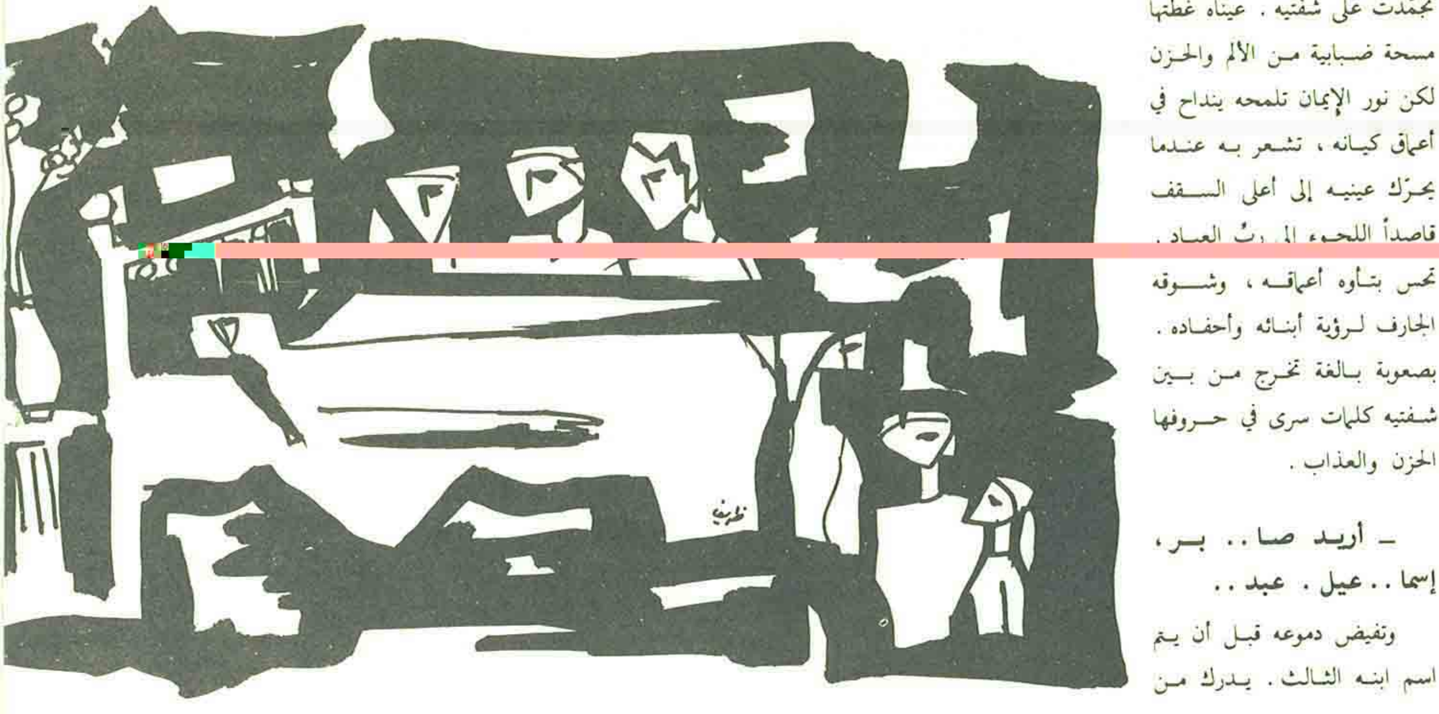
– وحّدوا الله يا جماعة ، اجعلوا إيمانكم قوياً . سبحان من بيده كل شيء .

جاءت كلمات أبي منصور ، ذلك الرجل الوقور كقصف الرعد . إنه يعرف الحاج عمران منذ كانا شابين ، تخرج من أعماقه تنهيدة وكأنه استعاد سنوات العمر الطويلة .

– دنيا ليس لها صاحب . أين أيام العز وراحة البال ؟ يا رب ليس لنا سواك . اللهم فرّج الكرب وخفّف البلاء .

صمت يلفّ المكان . تكبر تنهيدات الأحزان وتجدُ لها فرصة الظهور بلا إرادة . إلى جانب الحاج عمران وقف قريب له في الثلاثينات من عمره ، شارد الذهن . كان في عالم آخر .

يتذكر الأيام الخوالي حين كان يزوره الحاج عمران ويقصّ عليه ذكريات ماضيه ، يجد في كلماته خضرة الزيتون ، وعبق الورود الجبلية ، ويسمع الطيور كأنها تصدح حقاً ، يعيش معه في أجواء قريته وسط أفراح الناس وأتراحهم ، يحلم معه بعودة ليالي



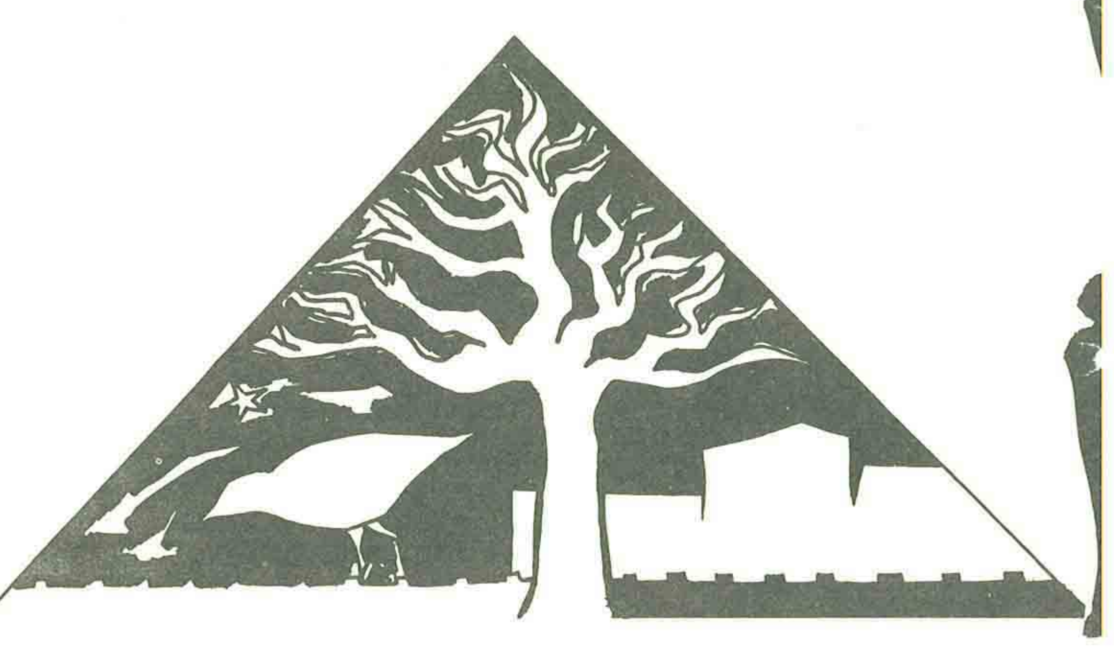
البيادر والحصاد ، يروي له الحاج عمران ذكريات جميلة ، زياراته لمدن **فلسطين** ، يلمح الشوق والحنين في عينيه ، يشعل السيجارة وينفث منها نفثة واحدة وينساها حتى تتلاشى ، ويدخل من حكاية إلى حكاية ، تطول الجلسة ولا يشعر أحدهما بذلك إلا مع صوت أذان المغرب .

نظر الشاب إلى الحاج عمران نظرة الشاك فيما يراه أمامه . هل هذا الحاج عمران الذي كان صوته يسمع من الحارة الثانية . كثيراً ما كان يداعبه ويقول له : **كيف الهمّة يا حاج ؟.. خلّينا نشوف لك عروس** . فيضحك الحاج عمران ويرد مازحاً : **لقد تزوجت أربع نساء ، أما أنتم يا أولاد اليوم ما فيكم همّة شباب زمان ، ثلاث منهن يا عبد الرحمن إلى رحمة الله . أما الرابعة فلا يعلم إلا الله من سيسبق الآخر** .

أفلحت دمعتان كالجمر باختراق حاجز الصبر وشعر بهما **عبد الرحمن** ، انحنى يقبّل جبين الحاج عمران . بسمة تضيء وجه الحاج المريض . حرّك رأسه قليلاً ثم سكن كل شيء في سرير الموت .

يخرج أحد الرجال مسرعاً . يذهب إلى مكتب البريد . يرسل برقية إلى أبناء الحاج عمران في **الكويت** : « **والدكم مريض جداً ، يرجى حضوركم** » .

يتصل الإخوة ببعضهم ، يقرر **إسماعيل** السفر . هو وحده يستطيع ذلك ، الآخران تمنعهما الإجراءات الرسمية . عليهم الحصول على موافقة مسبقة . تزداد مساحة الحزن في قلبيهما . يفتح أكبرهما النافذة في بيته ، يشعر بالحزن يكاد يخنقه ، يرى البدر وقد غاب . نجوم الليل ثكالى بعد غيابه . يصل إسماعيل .. يلمحه أحد الرجال الذين جاءوا إلى المطار . يسأل عن والده وعن شدة مرضه .. يدفنون الحزن في ضلوعهم .. يقتربون من المنزل .. تهزه أصوات البكاء . تسودّ مساحة وجهه .. تغلي في أعماقه مراحل الحقد والغضب على الزمان وأهله .. عذاب الغربة ينمو .. لقد دُفن والده قبل وصوله .. كان يأمل أن يراه .. ساورته شكوك بموته ولكنه كان يبعد عن نفسه أشباح الشك .. تلقّى العزاء . ردّدت شفتاه وقلبه : **اللهم إن الموت حق . اللهم ارحمه واعف عنه . طال عذابنا يا إلهي ، رضينا بحكمك وقضائك ..** صلّى ركعتين . خرج إلى فناء الدار ، نظر فوجد زهرة ذابلة وإلى جانبها عصفور أعياه الطيران . هزّ رأسه .. قهر حزنه ، تسمّرت عيناه على صفحة السماء فرأى بدراً يختفي ونجوماً حائرة . دلف إلى داخل المنزل وعلى شفتيه بقايا كلمات .. « **تعب كلها الحياة** » .



بقلم :
أحمد حامد

ـ ١ ـ

« **رغم تفاهة الحياة ، الكل يريد أن يعيش** » .

قالها جدي العجوز متكئاً على عصاه ، التي ما رأيتها تفارقه لحظة واحدة طيلة سنوات عمري . فتح أبي عينه اليسرى التي يرى بها جيداً ، عن آخرها ، ليتأكد مما سمعه من جدي ، الذي ما زال متكئاً على عصاه التي أصبحت قطعة من إبطه الأيمن .

ـ ٢ ـ

كثيراً ما قالت جدتي : **كان قوياً ، مليح الوجه ، شامخاً . ما رأيته منحنياً هذه الانحناءة طيلة أكثر من خمسين عاماً .**

قلت : **أخيراً تزوج جدي العصا .**

قالت هادئة مبتسمة تزيح الثنايا المتراكمة عن وجه تكمن عليه بقايا العينين الصغيرتين والأنف الإمبراطوري :

ـ **يا ولدي .. أنا لا أغار من عصا جدك ، كما تود أن توحي أو تغمز لي ، فقط أنا ما عدت أتحمل عظامه ووخزها . ما زال جدك قوياً ، وبعافيته .**

ضحكت بصوت عال ، ظهرت أسنانها اللبنية .

ـ ٣ ـ

دعك أبي عينه التي يرى بها عساه يسمع . رفع جدي رأسه إلى أعلى في شموخ ، ابتسم بلا معنى . سعدت لأنه يحاول أن يجد مكانه بيننا رغم عشرات السنين التي أخذتها منه الحياة . استدار أبي بكل جسده لتراني عينه ، مشغولا بالبحث في أعماق جدي عن سر ابتسامته الصافية ، رغم المعنى الذي يتوه فيها . بطرفة من عين جدي إلى أبي لحني يأخذني إليه بعينيه . ظهرت على وجهه علامات الأسى .. ضاقت المسافة بين حاجبيه الثلجيين . رفع يده اليسرى الممسكة دواماً بالعصا تحت إبطه . في بطء شديد إلى ذقنه الحليق ، راح يمر على الثنايا المكومة عليها في حنان بالغ . الكل إليه عيون صاغية . قال هادئاً : **يوم فكرت في الزواج من غير أمك . لا أذكر ماذا حدث ولماذا عدلت عن هذه الفكرة .**

قال أبي : **المهم .. المهم أنك لم تتزوج .**

قال الجد : **رحمك الله من زوجة لأبيك** ، وابتسم وهو يقول : **غير أمك** . هز أبي رأسه في رضا تام .

ـ ٤ ـ

مدت جدتي المكومة في ركن الكنبة ، يدها إلى جيبها ، أخرجت علبة سجائرها الذهبية ، فتحتها في هدوء عصبي ، أخذت منها سيجارة . أغلقتها بصوت مسموع . وضعت السيجارة بين أصابعها التي لا تزيد سمكاً عن السيجارة ، إلا بالعروق النابضة . تسابقت أيدينا جميعاً لإشعال سيجارة الجدة ، انحنينا أمامها بالنار بين أيدينا ، كأننا نقدم فروض الولاء والطاعة . أشارت بأصابعها الست إلينا ، أن نعود إلى أماكننا . سقطت السيجارة من بين أصابعها على الأرض ، انحنيت أعيدها إليها ، أشارت أن أضعها في سلة المهملات بعيداً . أخذت سيجارة أخرى من علبتها الذهبية . وضعتها بين شفتيها بإتقان شديد ، أشعلتها بالقداحة الذهبية ، التي أهديتها إياها في عيد زواجها الخامس والستين . بأرستقراطية ، راحت تسمح للدخان أن يتسرب من بين شفتيها .

تحركت مكاني في هدوء وحذر شديدين ، تقدمت على حافة الكرسي ، نظراتي إليها تنفث الدخان في بطء بطيء ، أغاظتني ، قلت لها : **من علمك التدخين يا جدتي .!!**



قالت دون تفكير : **لما أراد جدك الزواج .**

راحت تنقل نظراتها الصقرية فينا واحداً بعد الآخر ، عادت بنظراتها إلى الكرسي الذي تقدمت على حافته . قالت : **كنت جميلة .** لم يكن ينقصني شيء في الأنثى التي يتمناها الرجل . ذاب الطريق إلى بيتنا ، من كثرة من جاءوا يطلبون يدي من أبي . حتى وافق على جدك . واعتبر نفسه الفائز الأوحد بقلبي وجمالي الذي كان لا يوصف . وبعد مرور ثلاثة أعوام ، قال إنه يريد أن يتزوج امرأة غيري . ذلك لأني نسيت أن أعد له طعام العشاء ذات ليلة زارتني فيها أمي . هجرني بعدها مدة طويلة ، ومنذ ذلك اليوم ، وأنا أحقق له رغباته في كل امرأة يجد فيها صفة ليست في . **وأصبحت أملك كل صفات نساء العالم . وبذلك يكون جدك قد عاش العالم كله . الذي قرأ عنه ، أو حتى مجرد سمع عنه .**

ـ ٥ ـ

حاولت مراراً أن أجعل زوجتي تقلل من كمية المساحيق التي تلطخ بها وجهها كل يوم لم أستطع .

ـ ٦ ـ

هم أبي مسرعاً يقفز ناحية جدي ، ليتلقاه قبل أن يسقط على الأرض وهو يدير رأسي عصاه تحت إبطه . أوقفه جدي بيسراه . تسمر أبي في مكانه . كأن يد جدي سداً اصطدم به . عاد أبي إلى كرسيه دون أن يعطي ظهره لجدي . قال الجد هادئاً : **تريد أن تحتفظ لنفسك بقصر في الجنة ،** واحتواه بعينيه الذابلتين في حنان ، حتى أغلقهما في حب شديد .

ـ ٧ ـ

لم يبرح أبي الكرسي القابع أمام سريري الذي رقدت عليه مريضاً . كلما صحوت من نومي ، وجدته يحدق في وجهي وجسدي . كثيراً ما جاهد أبي ليضحك ، ليعطي لآهاته المكتومة معنى هلاكي وموتي وفراقي الذي سيعذبه كثيراً إذا أخذني الموت منه . كثيراً ما كان يحكي لي القصص الخرافية ، وكنت أنام على صوته يأتي من بعيد . لما شفيت ، كان أبي قد نقص وزنه خمسة كيلوجرامات . **ريجيم قاس جداً .**

ـ ٨ ـ

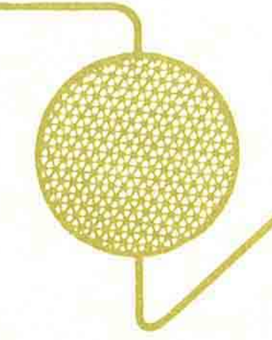
قلت للجدة : **يعني عملت دبة وقرد .**

ثارت الثنيات المتربعة على وجهها . اهتزت جميعاً في مظاهرة غير مهذبة . تغثت دخان سيجارتها في عصبية شديدة .

قالت : **أنت اللي عامل لمراتك دبة وقرد . الدنيا اتغيرت . جدك كان راجل . الدنيا اتقلبت .**

ـ ٩ ـ

منذ أن حملت زوجتي في



ولدي الأول ، لم أجعلها تحمل شيئاً ثقيلاً ، حتى لا تسقط فرحتي . واستمرأت الفرحة .

ـ ١٠ ـ

دخل ولدي يدب الأرض بكعب حذائه العالي ، يتبختر أمامنا في بنطلون أكاد أختنق لضيقه على جسده . بشعره الذي طردته رأسه في إهمال شديد ، تريد أن تلقي به في صندوق زبالة . التوت عيوننا تتابعه ذاهباً إلى جده مرفوع الشعر . استقبلته عيون جدي بابتسامة ما . مد ولدي يده يصافح جده الأكبر . رفع الجد أنامله المعروقة في بطء . أمسكها ولدي بأصابعه بقرف شديد . انهارت يد جدي في تراخ . جلس ولدي في مكانه يسرق النظر إلى وجهي الحزين العابس ، التي سقطت فرحته في حذاء ولدي الذي لم ينحن إلى جده ليقبله ويقبل يده كعادتنا . طول وعرض وخمسة عشر عاماً تزيد أياماً . تحملها هذا الحذاء .

ـ ١١ ـ

كثيراً ما شاهدت أبي يقبل يده . كلهم يقبلون يدي هذه الكمية الناطقة من العظام . إذا مات هذا الرجل ، سيجيئون إلى هذا المكان ، يلتفون ملتصقين في أماكنهم حول هذا الكرسي الذي كان الرجل يشغل به مساحة بسيطة جداً . ينصتون . لا يشعل أحدهم سيجارة . لا يسمح أحدهم لكحة مفاجئة أن تخرج من حلقة ، حتى لا يزعج الرجل ، أو يحرك بها عظامه من ركن الكرسي ، فيتطاير هشيماً ، قبل أن يصل إلى الأرض . **ماذا لو أشعلت سيجارة . أنا حر . لا . أنا عبد . نعم أنا عبد هذه العادات التي يمارسونها .**



ـ ١٢ ـ

قالت جدتي : **ليس عليكم حرج . أنتم جميعاً ، لا تستطيعون أن تأتوا بما أتى به جدكم . كان يأتي لي بلبن العصفور . أما أنتم فكل شيء يأتي إليكم .**

قال ولدي بصوت ينقصه الأدب : **ومع ذلك تودين الحياة على طريقتنا .**

قالت ساخرة : **القدر أرادني أن أجرب تفاهتكم .**

قلت بأدب : **هل عشت التجربة !!**

قالت : **كل التجارب لا معنى لها .**

قلت : **قال جدي : رغم تفاهة الحياة . الكل يريد أن يعيش .**

ـ ١٣ ـ

ما زال جدي متكئاً على عصاه ، سيأكل النمل عصاك ذات يوم يا جدي ، لا محالة . رغم تفاهة الحياة ، نعيشها ، بالطول ، بالعرض . لنحقق رغبتها في الوصول إلى الموت الذي خلقنا منه .

نظرت في ساعتي بقلق . .

قال جدي بخبث شديد ، **كيف حال صديقتك التي جاءت معك .**

ابتسم الجالسون في حرص شديد ، وجهوا عيونهم وآذانهم ناحيتي .

قال جدي : **هل عرفت أنها جاءت هنا وحدها ذات يوم . !!**

قلت : **تود أن تعيش الحياة رغم تفاهتها .**





فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عربشاه

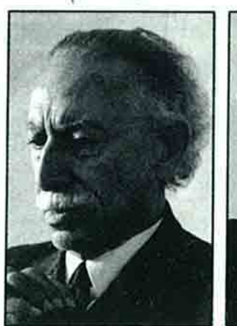
بقلم : إحسان جعفر

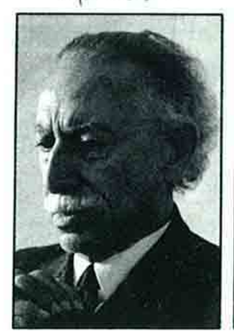
من الكتب ما يطويه الكساد ، فيظل منزوياً ، وهو يحوي الذخائر ، ومنها ما يحالفها التوفيق ، فتمتلئ بها الخزائن والمكتبات ، مع أن مادتها قد لا تكون جديرة بالاقتناء .

ومن الكتب التي لها نصيب وافر من أدب الناس كتاب « **فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء** » **لابن عربشاه** « ت : ٨٤٥ هـ » ، فهذا الكتاب ، وإن عُرف في أوساط الدارسين ، وأشير إليه في مجالات النقد الأدبي المقارن ، فإنه لم يدرس دراسة علمية ، ولم يحظ بتحقيق مثبت على مخطوطاته المتعددة .

والطبعة التي أستمد منها هذه الدراسة تعود إلى سنة ١٣٠٧ هـ ، حيث عني بطبعه **أحمد البابي الحلبي** في المطبعة الميمنية **بمصر** ، وهذه الطبعة القديمة جاءت على كل حال سقيمة شأنها شأن أغلب الكتب الصفراء ، وعلى هامشها طبع « **كتاب كليلة ودمنة** » .

ويبدو أن أسباب عدم الاهتمام بهذا الكتاب تعود إلى أن النقاد نظروا إليه على أنه كتاب « **شعبي** » يحفل بالحكايات والخرافات والمسامرات ، ولا يستحق أن يُعنى به ، إضافة إلى أن صاحبه لا يحظى بشهرة عريضة ، غير أن الاعتناء بكتاب « فاكهة الخلفاء » يدلنا على


★ محمود تيمور ★


★ توفيق الحكيم ★

مكانته وما فيه من مادة ومعلومات وتقاليد وحكم جديرة بالتأمل ، تهم المعنيين بكتب الأمثال واستنطاق الحيوان ، وتلفت نظر المؤرخين للتطور التاريخي للآثار العربية في هذا المجال .

أهمية الكتاب

وما أجدرنا أن ننظر في هذا المصنف الأدبي لأسباب منها :

(١) أن هذا الكتاب **آخر ما صنف على لسان الحيوان** ، باستيحاء من كليلة ودمنة ، قبل العصر الحديث .



(٢) يحتوي على قدر كبير من **أمثال العرب والعجم وأشعارهما** التي تذكر في مناسباتها الملائمة.

(٣) تعتبر حكاياته وأقاصيصه **إحدى حلقات تطوير فن القصة العربية**.

(٤) أثَّر في عدد من أدباء العربية في العصر الحديث.. حتى ليرى من توفر له الاطلاع عليه، بعض الملامح منه في البدايات الأدبية **لمحمود تيمور وتوفيق الحكيم** وغيرهما ممن استمدوا منه فكرة وأسلوباً.

(٥) كان لهذا الكتاب تأثير لا يستهان به في أدب الأطفال في العصر الحاضر، لما فيه من أمثال وحكايات، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الأطفال التي أُلِّفت في مطلع النهضة الأدبية المعاصرة من قصة مأخوذة منه بنصها أو محرَّفة بعض التحريف، بل إن بعض المشتغلين بكتب الأطفال لم يتحرجوا من أن ينسبوا بعض قصصهم إليه.. كما فعل **كامل الكيلاني** الرائد الكبير لأدب الأطفال.

(٦) يعدّ **مصدراً ثراً للحكايات الشعبية** التي تروى على ألسنة العامة في أغلب الأقطار العربية.

(٧) يعدّ من **كتب الأدب المقارن** في كل من اللغات: **العربية، الفارسية، التركية**، فضلاً عن أن مقتطفات منه قد ترجمت إلى اللغات الأوروبية.

(٨) يمتاز هذا الكتاب بأسلوبه الأدبي، فلغته فنية حلوة مسجوعة، تقترب من الشعر المنثور.

(٩) فيه صور حياتية وتقاليد اجتماعية تعود إلى القرن التاسع الهجري.

قضية علمية ؟!

وهذا الكتاب يثير قضية أدّت إلى مفارقات، وهي: **هل هذا الكتاب من تأليف ابن عربشاه؟ أم من ترجمته**، فالمؤلف في مقدمته، لا يشير لا من قريب ولا من بعيد إلى ذلك، والقارئ لا يدخل في ريبه أنه ترجمة.. لذلك أشار عدد من المحدثين إلى أنه **ليس من تأليف ابن عربشاه، وإنما هو ترجمة قام بها لكتاب فارسي مشهور اسمه «مرزبان نامه» أنشئ على غرار كليلة ودمنة**.

ولعل القزويني أول من أشار إلى ذلك في **«معجم الأنساب»** إذ يؤيد حدسه هذا بأن ديباجة «مرزبان نامه» قد نقلها ابن عربشاه إلى العربية بأسلوب بسيط تتفق حرفياً وديباجة «فاكهة الخلفاء» دون نقص أو زيادة والممثلة في عبارة (**أما بعد**)، وقد أيَّد مقاله كل من **الدكتور أمين بدوي** في كتابه **«القصة في الأدب الفارسي»** حيث قال فيه: «ثبت لي من مقابلة مرزبان نامه بفاكهة الخلفاء أن ثانيهما ترجمة بتصرف للأول وليس تأليفاً»، والدكتور **محمد غنيمي هلال** الذي يذكر في كتابه **«الأدب المقارن»**: «هو في الحقيقة ترجمة أدبية حرة لكتاب «مرزبان نامه» الذي دوّن في الأصل **باللهجة الطبرستانية**». غير أني وجدت ثمة إضافات في كتاب «الفاكهة» غير موجودة في «مرزبان نامه» فضلاً عن الأشعار والأمثال العربية التي يوردها المؤلف.

المؤلف

أما مؤلف الكتاب أو مترجمه على الرأي الآخر، فهو: **أحمد بن محمد بن عبد الله ابن إبراهيم بن محمد بن عربشاه**، الدمشقي الأصل، الرومي إقامة، الحنفي مذهباً، ويُعرف **بالعجمي، وبابن عربشاه**، وهو الأكثر، **«شهاب الدين، أبو العباس»**، أديب، مؤرخ، مشارك في أنواع من العلوم كالفقه واللغة والنحو والبلاغة، **ولد بدمشق** في منتصف ذي القعدة سنة (٧٩١هـ - ١٣٨٩م)، ونشأ بها، **وتوفي بالقاهرة** في منتصف رجب سنة (٨٥٤هـ - ١٤٥٠م)، ومن مصنفاته فضلاً عن كتاب (الفاكهة) الذي نحن بصدده:

(١) كتاب (**مرزبان نامه**)، وقد ترجمه عن أصل تركي مترجم بدوره عن الفارسية.

(٢) كتاب (**مرآة الأدب**) في المعاني والبيان والبديع.

(٣) كتاب (**مقدمة في النحو**).

(٤) كتاب (**غرة السير في دول الترك والتتر**).

وفي معجم المؤلفين **لعمر كحالة** مصادر كثيرة تحدثت عنه.

المقدمة والمصادر

يتحدث ابن عربشاه في مقدمة كتابه عمَّن سبقه في مجال التأليف **على ألسنة الوحوش وأصناف الأطيار وحيتان البحار وسائر الهوام** ذاكراً كتاب (**كليلة ودمنة**) لمترجمه **ابن المقفع**، وكتاب (**سلوان المطاع في عدوان الأتباع**) **لابن ظفر الصقلي**، ومنظومة (**الصادح والباغم**) **لابن الهبارية**، وبعد أن يعلل اتجاهه إلى استنطاق الحيوان بالموعظة والعبرة وأن ذلك حسب رأيه يؤدي إلى حسن القبول، يشير إلى مصادره قائلاً:

«جمعت ما بلغني عن نقلة الأخبار، وحملة الآثار، ورواة الأسفار، على لسان شيخ اللطائف ومنبع المعارف وإمام الطوائف ومجمع العوارف، ذي الفضل والإحسان أبي المحاسن حسان، ووضعت هذا الكتاب **نزهة لبني الآداب وعمدة لأولي الألباب من الملوك والنواب والأمراء والحجاب، وجعلته عشرة أبواب**، ومن الله أستمد الصواب، وأستغفره من الخطأ في الجواب، إنه رحيم توّاب كريم وهّاب...». ثم يورد شعراً في مدح الكتاب.

المحتويات

وبعد أن ينتهي المؤلف من مقدمته، يعدد لنا أبواب الكتاب، وهي:

- **الباب الأول**: في ذكر ملك العرب الذي كان لوضع هذا الكتاب السبب.
- **الباب الثاني**: في وصايا ملك العجم المتميز عن أقرانه بالفضل والحكم.
- **الباب الثالث**: في حكم ملك

الأتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك .

● **الباب الرابع** : في مباحث عالم الإنسان مع العفريت جان الجان .

● **الباب الخامس** : في نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع .

● **الباب السادس** : في نوادر التيس المشرقي والكلب الإفريقي .

● **الباب السابع** : في ذكر القتال بين أبي الأبطال الريبال وأبي دغفل سلطان الأفيال .

● **الباب الثامن** : في حكم الأسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد .

● **الباب التاسع** : في ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب .

● **الباب العاشر** : في معاملة الأعداء والأصحاب ، وسياسة الرعايا والأحباب ، ونكت وأخبار وتواريخ أخيار وأشرار .

نماذج ومقتطفات

إن المرور على روضة زاهية تزدان صفحاتها بالأزاهير مما يوقع في حيرة الاختيار ، وقد وجدت من الأمثال التي جرت في الأشعار دون إشارة إلى اسم قائلها ، وأغلبها قد ذكر مع تسمية القائل في مجاميع الأدب ودواوين الشعر مثل :

★ كأن فؤادي في مخاليب طائر
إذا ما ذكرت الحب يشتد بي قبضا .

★ كالشمس في كبد السماء محلها
وشعاعها في سائر الآفاق .

★ إذا كان للإنسان في دولة امرئ
نصيب وإحسان تمنى دوامها .

★ القول كاللبن المحلوب ليس له
رد ، وكيف يرد الحالب اللبنا ؟!

★ ألم تر أن العقل زين لأهله
ولكن تمام العقل طول التجارب .

ومن حكاياته التي اقتبسها توفيق الحكيم ، واصطنع منها حوارية ، سخر فيها من أولئك الذين يبيعون عقيدتهم بعرض من أعراض



★ ابن المقفع ★



★ كامل الكيلاني ★

الحياة التافهة الرخيصة حكاية الشجرة المعبودة والناسك والشيطان التي جاءت في مجاميع توفيق الحكيم بعنوان « بين العقيدة والمنفعة » ، وخلاصتها كما في كتاب « الفاكهة » تجري على هذه الشاكلة :

اتخذ قوم شجرة ، صاروا يعبدونها ، وكان واحد من الشياطين يخاطبهم من جوفها مما زادهم فيها اعتقاداً ، فسمع بذلك ناسك مؤمن بالله ، فأخذ فأساً وقصدها ليقطعها ، فلما « قرب إليها وأراد وضع الفأس عليها سمع منها صوتاً خوّفه وعن مراده أوقفه ، فقال : أيها الرجل الصالح والقادم السائح ! **فيم ذي الهمة ؟ وعلام هذه العزمة المهمة ؟ وما قصدك بهذه الصدمة ؟** فقال : غيرة لله أيها المضل الإله . شجرة تعبد من دون الرحمن ، ولا يغار لهذا الشأن إنسان ، **فلأقطعنَّك أيتها الشجرة المضلة ،** ولأجعلنَّك حطباً ومثلة ، فإنك قد أضللت كثيراً من الناس ، وفعلت ما لم يفعله الوسواس الخناس ، وإنك لا تنفعين ولا تضرين ، سوى انك إلى النار تجرُّين .

قالت الشجرة : أيها الرجل الزاهد الصالح العابد ، **أنا ما آذيتك ولا ضاررتك** ، وإن رأيت نفعتك وبررتك ، وحاشاك أن تؤذي من لا آذاك ، وأنا أعلم أيها الرجل الكبير أنك غريب وفقير ، وما أقدمك على هذا البأس إلا الغربة والإفلاس ، فكف عن هذا الأمر وأطفئ نائرة هذا الجمر ، **وارجع إلى منزلك ، واشتغل بطاعتك وعملك ، وأنا أوصلك كل نهار ديناراً ذهباً نضاراً كاملاً وافياً معياراً** ، يأتيك هيّناً ميسّراً كل صباح مبكراً ، إذا استيقظت من رقدتك تجده موضوعاً تحت وسادتك ، وهذا هو الأليق بحالك ، وأفرغ لخاطرك وبالك ، وأخلص لك من ورطات المهالك .

فلما سمع بالدينار ألهاه الطمع والاغترار ، فبردت همَّته ، وضعفت في الله قوته ، وتركها ورجع ، وترك القيام وهجع ، فلما أصبح الصباح ، وحاز بالصلاة الفلاح ، بادر إلى الفراش وطلب المعاش ، فوجد الدينار كما ذكره الشيطان وأشار ، فالتقفه وابتهج ، وتحقق أنه فتوح باب الفرج .

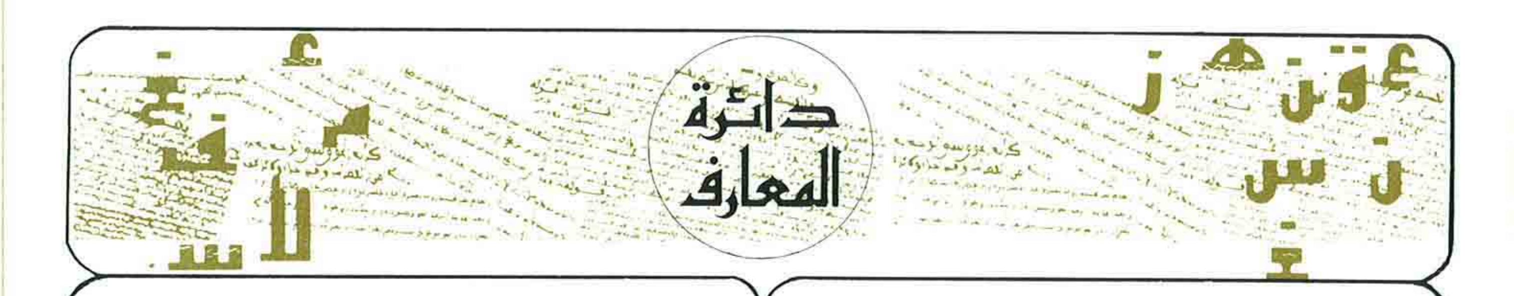
واستمر على ذلك أسبوعاً والذهب عنده مجموعاً ، ثم بعد ذلك قصد الفراش بسرور واهتشاش ، فلم يجد شيئاً من الذهب ، فتحرق قلبه والتهب ، فأخذه الحنق والقلق ، وأخذ الفأس وانطلق ، فلما اقترب من الشجرة ، نادته بألفاظ عكرة : قف مكانك ، واذكر شأنك ، وقل لي فيما إذا جييت فلا حييت ، فقال : جئت لأقطعك ومن الأرض أقلعك غيرة على الدين وقياماً بحق رب العالمين ، فقالت : كذبت ، **إنما غرت وسببت وقمت وقعدت وبرقت ورعدت لفقدك الذهب الذي عنك قد ذهب** ، وإنما الغيرة الصحيحة ، والقومة المليحة الناهضة النجيحة القومة الأولى ، فإنها كانت والحق قد تجلى ، فلو قامت الخلائق لردك ، واجتهدوا في منعك وصدك لما ظفروا بك . . . وإن شئت تقدم وجرّب لتعلم واخبر واسبر وانظر كيف أنثر منك الرأس بهذا الفأس .

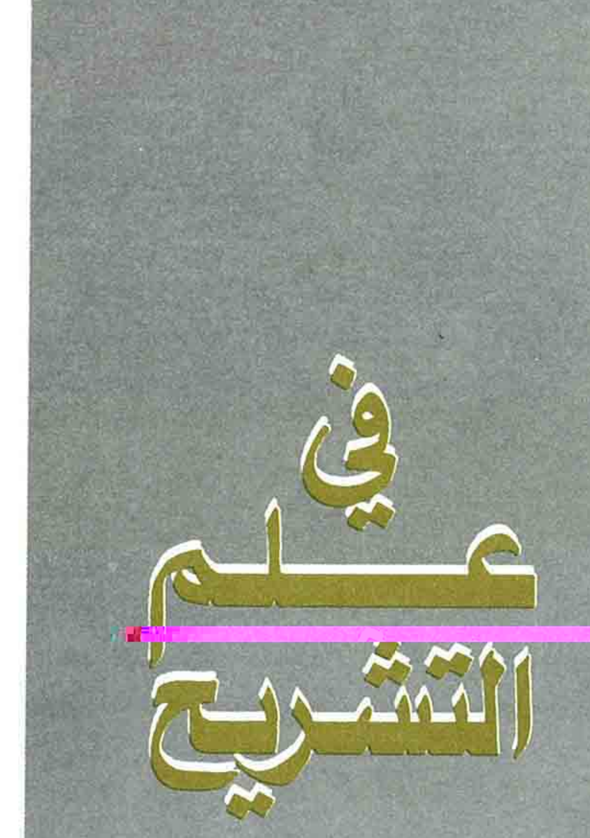
فبهت الرجل وتحير ، وخاف وخار وقهر ، وانقطع حبل رجائه ، وأفلت يتلفت إلى ورائه » .

وهناك قصص وحكايات كثيرة تجري على ألسنة الحيوان إلا أننا نكتفي بهذا القدر خوف الإطالة المملة .

من مصادر البحث

(١) القصة في الأدب الفارسي : د. أمين بدوي .
(٢) الأدب المقارن : د. محمد غنيمي هلال .
(٣) معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة .
(٤) مقدمة « مرزبان نامه » لعبد الوهاب القزويني (بالفارسية) .







أبهر (أورطى) :

الشريان الرئيسي في الدورة الدموية الذي يحمل الدم من القلب إلى سائر شرايين الجسم . والأبهر أكبر شرايين الجسم .

ب

بُطين :

واحد من الحجرتين السفليين للقلب ، وهو كذلك كل تجويف من التجاويف الأربعة الحاوية للسائل المخي في الدماغ . . في الثدييات يضخ البطين الأيمن الدم إلى الرئتين فقط على حين يضخ البطين الأيسر الدم إلى سائر الجسم .



تفاحة آدم :

وهي جوزة الحلقوم ، نتوء في مقدم الرقبة ينشأ من اتحاد بعض



الغضاريف ، تحيط به الغدة الدرقية جزئياً . وتفاحة آدم تتحرك في أثناء البلع .



ثقب تنفسي :

(متنفس) فتحة خارجية للجهاز التنفسي وبالأخص فتحة القصبة الهوائية التي تمتد على البطن والصدر في الحشرات .



جوف :

هو تجويف الجسم وما يبطنه من غشاء في معظم الحيوانات المتعددة الخلايا ويحتوي على الأعضاء الحيوية كالقلب والرئتين . ينقسم الجوف في الفقاريات إلى الجوفة البطنية والجوفة الصدرية .



حميل :

نتاج لم يولد بعد ، صارت له خصائص النوع الذي ينتمي إليه . ويسمى جنين الإنسان حَميلاً بعد انقضاء الأسبوع الثاني عشر على نموه في بطن أمه .



خشاء :

جزء من العظم الصدغي يشبه حَلَمة الثدي خلف الأذن وهو ما يسمى أيضاً بالنتوء الحَلَمي وبالخشاء حجرات صغار تعرف بالخلايا الهوائية .



دم :

سائل أحمر يجري في القلب والشرايين والأوردة ، يعطي كل جزء من أجزاء الجسم الغذاء والأوكسيجين ويأخذ منه مخلفات الأيض . يحوي الدم الكريات الحمراء والكريات البيضاء والبلازما (سائل الدم) .



ذكر :

صفة للجنس الذي ينتج حيواناً منوياً يتَّحد مع بيضة أنثاه فينتج عن اتحادهما حيوان جديد ، وهي كذلك صفة لخصائص هذا الجنس . المعتاد أن تكون الخلايا التناسلية في الذكر مهيأة للقدرة على الحركة بينما لا تكون بيضات الأنثى مهيأة لها .



رحم :

موضع تكوين الجنين في الأنثى وكذلك مكان النشوء والنمو كالأدمة في إظفار أصابع اليد والرجل وهو ما يسمى رَحِم الظفر .



زائدة دودية :

جعبة على شكل الدودة متصلة في ناحيتها المفتوحة بالجانب الأسفل في أول جزء من أجزاء الأمعاء الغليظة ويبلغ طولها عادة ما بين سبعة

سنتيمترات وعشرة وليست لها وظيفة معروفة وتسمَّى أيضاً (بالأعور) .



سُـرّة :

ندبة أو منخفض في وسط البطن في الثدييات ، وهي مكان اتصال الحبل السُّري بالجنين قبل الولادة . يتغذى الجنين من أمه بوساطة الحبل السُّري الذي يتصل به عند السُّرّة .



شبكيـة :

طبقة داخلية من نسيج يبطن الجزء الخلفي من المقلة ، وهي تحوي منتهيات عصبية حساسة للضوء . شبكية العين امتداد للعصب البصري .



صَدَفـة :

واحدة من بضعة أبنية في الجسم يشبه شكلها شكل الودعة أو المحارة ، مثل تجويف الأذن الظاهرة أو العظام المفتولة في مجرى الأنف وتطلق كذلك على صيوان الأذن .



ضرس طاحن أمامي :

كل واحدة من الأسنان التي تسبق الطواحن مباشرة ، وكذلك الضرس الطاحن الذي يسقط عادة ويتبدل غيره في الطفولة المبكرة . ويسمَّى أيضاً الناجذ أو الضاحك .



طبلـة الأذن :

الغشاء الطبلي الذي يفصل ما بين الأذن الخارجية والأذن الوسطى ، وينقل الاهتزازات إلى سائر أجزاء الجهاز السمعي .



ظهـارة :

نسيج خلوي يغطي السطوح الداخلية وبعض السطوح الخارجية في الجسم ويكوّن الغدد ، ويبطن الأوعية الدموية والفجوات الصغيرة الأخرى .



عمـود فقـري :

عمود من عظام تسمَّى الفقار وظيفته دعم بنيان الجسم في الإنسان وسائر الفقاريات ، وهو سلسلة الظهر .



غـدة صمَّـاء :

كل غدة لا قناة لها تكوّن وتفرز إفرازاً أو إفرازات داخلية ــ تعرف بالهرمونات ــ إلى الدورة الدموية . الغدة النخامية غدة صمَّاء .



فـك :

أحد عظمي الحنك اللذين تنبت عليهما الأسنان ، ولا سيما الأسفل

منهما. والفك الأسفل في الإنسان، وتدي الشكل.



قُزحيـة :

بنيان غشائي مُخَضَّب (ملون) في مقدمة العين، يقع أمام عدستها مباشرة ويحيط بالبؤبؤ. يتغير حجم القزحية بوساطة عضلات لا إرادية لضبط كمية الضوء الداخل إلى شبكية العين.



كُريـة :

جسم بروتو بلازمي ذو وظيفة خاصة مثل كرية الدم الحمراء أو البيضاء أو الصفيحة الدموية. كرية الدم الحمراء تسمَّى أيضاً خلية الدم الحمراء أو الخلية الحمراء.



لسان المزمار :

سدْل غضروفي رقيق مثلث الشكل يشبه السدادة وهو يغطي فتحة القصبة الهوائية عند بلع الطعام ليمنع الطعام من دخول القصبة الهوائية.



ما تحت المهاد :

ذلك الجزء من المخ تحت المهاد الذي يسيطر على الاستجابات (والمهاد) التأثيرية، ودرجة الحرارة، والتوازن المائي، وشهوة الطعام، وأيض الشحم. التنبيه الكهربائي لما تحت المهاد في الحيوان يجعله ينام. **والمهاد** هو في الإنسان ذلك الجزء من قاع الدماغ الذي يستقبل وينقل دفعات عصبية معيَّنة من أعضاء الحس إلى الجوهر الحسي للمخ.



نتـوء :

جزء مستطيل أو ناشز من بنيان أكبر منه كالأجزاء البارزة على فقار العمود الفقري. في الإنسان وفي معظم الفقاريات يتطابق كل ضلع مع نتوء مفصلي في إحدى الفقار لكي تتاح للضلع حركة صغيرة أثناء التنفس.



هيكل عظمي :

ذلك الإطار اليابس لجسم الحيوان الذي له عادة مفاصل تسمح بالحركة وهو في الفقاريات بناء داخلي من العظم أو الغضروف أو منهما معاً.



وعاء شعري :

احد الأوعية الدموية الدقيقة المنتشرة على شكل شبكة في الجسم وهي الصلة بين الشُّرَيِّنات والوُرَيْدات.

الجدران الرقيقة للوعاء الشعري تتيح تبادل المواد بين الدم وما يحيط به من الخلايا.



يوريـا :

المركب الرئيسي الذي يحوي النتروجين في البول.

مناقشات

وتعليقات

العراقيل في وجه الثقافة الإسلامية

إنه ليس من الغريب في شيء أن نتحدث عن الأدب والفن الإسلاميين ، ولكن الغريب أن نتجاهلها ، فنعمد إلى كل التيارات ، نسود في شأنها بياض الصفحات .. ولا نعير أدنى اهتمام للإنتاج الإسلامي .. ذلك ليس لكونه غير موجود ، أو كونه ضعيفاً لا يستحق الذكر ، بل لأسباب شتى تعمل في نسق واحد هدفه إجهاض كل إبداع إسلامي ومحاولة سد المنافذ في وجه الموهوبين من المسلمين .. وهذه الأسباب على اختلافها أجملها في التالي :

(١) غياب النقد الإسلامي الذي يتبنى كل دعوة ترتكز على الموروث الحضاري لأمة الإسلام .

(٢) انتشار النقد الأيديولوجي بمفاهيمه المتعددة وأساليبه المختلفة .

(٣) الاغتراب الفكرولوجي والثقافي .

(٤) إمكانات المنظمات في نشر مبادئها عبر مجلاتها وصحفها ، وبواسطة الأدباء المنتمين إليها .

إذن ، إذا أردنا أن نناقش كل عنصر على حدة ، لا بد أن نلتزم جانب الصراحة ، والجرأة الأدبية ، حتى نميط اللثام عن وجه الظروف العاملة على عرقلة الثقافة الإسلامية .

غياب النقد الإسلامي

إن ما هو متواجد في ميدان النقد الأدبي ، وما يعتني منه بالمنظور الإسلامي ـ خاصة ـ ضئيل جداً ، ولا يفي بالغاية المطلوبة ، بل يكاد لا يرى ولا يسمع ، إذا قورن بغيره من النقد اللاإسلامي . وهذا يعود إلى عدة اعتبارات تخص النقاد المسلمين على قلتهم ، أجمل أهمها في التالي :

(أ) منهم من يعتبر المنابر الأدبية المتواجدة في عمومها حزبية ، أو ذات صلات لا إسلامية فيختم على مراسلته إليها بالشمع الأحمر ، فلا نسمع عنه ولا نعرف إلا كونه يهتم بالنقد .

(ب) ومنهم من يرى رؤية بعيدة عن الثقة بالنفس ، إذ يعتقد أن مقالته لن تجد قبولا ولا اهتماماً من طرف هيئة التحرير ، لأنها تعالج أوضاعاً ما بأفكار إسلامية .

(ج) ومنهم من يكتب ويكتب على أمل إصدار كتاب ، قد يصدر وقد يبقى مخطوطاً للأبد .

(د) ومنهم من يكتب فيبعث بكتابته إلى مجلات إسلامية .. فتطمئن إليه كل الاطمئنان ، ولكن سرعان ما يتعثر .. ثم يتوقف توقفاً نهائياً ومفاجئاً .

هذه سمات الناقد الإسلامي ـ مع الأسف ـ ولا سبيل لعرض نماذج في هذا النطاق ، فساحة النقد تكشف ذلك . المهم ، أن النقد الإسلامي يمر بأزمة وجود وثبات وثقة .. فإن لم يتدارك مثقفو الإسلام هذا الجانب سيمسي معضلة .. إذ النقد والدراسات النقدية هي الكفيلة بإظهار النتاج الإسلامي . إذ لا ينكر ناكر ، ولا يجحد جاحد وجود الأدب الإسلامي ؛ على مستوى الفنون الأدبية المختلفة .. ولكن من يسلط عليه الأضواء ؟ من يهذبه ويشذبه ، فيبرز محاسنه ، ويصلح أخطاءه ؟ من يوجهه فيقل عثراته ؟ تلك مهمة النقد الإسلامي .. ولكنه غائب !

انتشار النقد الأيديولوجي

إن النقد الأيديولوجي حقيقة لا مناص من ذكرها . فالعالم العربي الإسلامي ليس فيه إلا النقد الأيديولوجي الذي جاء على حساب غياب النقد الإسلامي ، ولست ممن يطيب لهم تصنيف عملية النقد . ولكن أجدني بين طرحين أحدد نقاشي ، طرح يأتي به النقد الإسلامي ، وطرح يأتي به النقد اللاإسلامي ، الذي أعتبره أيديولوجياً . لماذا ؟ لأنه يكتسب كل خصائصه ويستنبط كل أفكاره ، سواء التفسيرية منها أو التقويمية من أيديولوجيات حزبية ضيّقة ، وأفكار وفلسفات غربية أو شرقية ، لا صلة لها بأمة الإسلام ، ولا علاقة لها بالتصور الإسلامي .

عجباً ـ والحال على ما هي عليه ـ أن يطرب المتأدب عندنا ، ويطير فرحاً ، لأن مقالة نقدية تصف نتاجه بأنه « صرخة وجودية » ، أو « رؤية دادية أو سريالية » ، أو « عارض من عوارض اللامنتمي » ، أو « وجه من وجوه اللامعقول » .

عجباً أن يذهب لب الفنان أو المتأدب عندنا ، إذا تجرأت « المقالة النقدية » فقربت نتاجه تقريباً نسبياً لأعمال المشاهير في أوروبا وغيرها . مثل : ماكس ، وأرنست ، وبيكاسو ، ويسنين ، وصمويل بيكيت ، وأوجين يونسكو .. والقائمة طويلة ؛ ولكن لماذا كل هذا الانبهار بالغرب والشرق ؟!

الجواب عن هذا السؤال يعود بنا إلى عهد الحماية والاستعمار . فالمستعمرون لم يدخلوا البلاد الإسلامية سائحين ، بل دخلوها ظلماً وعدواناً وبقوة الحديد والنار .. وظنوا أن قوتهم مانعتهم من المسلمين ، فعمدوا إلى التجنيس والاستيطان كما فعلوا **في ليبيا وتونس والجزائر** .. كما عمدوا إلى فرض روح الخلاف والشقاق ، كما فعلوا في المغرب الأقصى « **الظهير البربري** » ولكن عزيمة أبناء الإسلام أتتهم من حيث لم يحتسبوا ، فانسحبوا أذلة يائسين .. ولكن ما كان لأفكارهم المسمومة أن تبق ، لقد عشعشت في الأذهان ، وكبرت عبر الحقب والأزمان . فأصبح الجيل السابق يورثها للجيل اللاحق .. فكيف لا يكون الانبهار والإعجاب بنتاج الغرب .. وهذه أفكاره لا تزال في حياتنا ؟؟ فلا غرو إذن إن كان النقد الأدبي والفني عندنا يرى القدوة الحسنة في نتاج لا يمت لثقافتنا بصلة .

ولكن لا بد من قولة فاصلة : إن النقد الذي يرتوي من منابع غير الإسلام فهو نقد لا إسلامي ، وهو بالتالي يخدم الثقافة اللاإسلامية ويوجه القارئ المسلم إلى حيث لا ينبغي له .



مناقشات و تعليقات

لأن من يتبجح بوجودية سارتر، وتروقه أطروحات الماديين وتصنيفاتهم، فهو لا يعدو أن يكون مستلباً من رأسه إلى أخمص قدميه. يشارك ـ مسحوراً ـ مشاركة فعالة في طمس المنهاج الإسلامي في الفن والأدب. ولقد عبر عن هذا أستاذنا **عيسى الناعوري** حين قال[1]: «لست أستطيع أن أحترم رأي الناقد الذي يقيس العمل الفني بشعارات (الالتزام، والانتماء، والحس الجماهيري، والنزول إلى مجتمع الكادحين، والتحرر، والتقدمية) وغيرها من الألفاظ التي أصبحت كليشهات لا تثير حسّاً، لأنها ـ لكثرة التكرار والصراخ ـ ماتت وجمدت، ولأنها ليس لها مكان بين عناصر العمل الفني والإبداعي. ذلك لأن الأدب تعبير جميل عن إنسانية الإنسان، فإذا فقد مفهومه الإنساني والجمالي، وفقد كونه تعبيراً جميلاً عن أحاسيس الإنسان وأفكاره ومطامحه، وعن إنسانيته بمفهومها الواسع، كان لا بد عندئذ من التخبط في مفهومه وفي الآراء النقدية حوله». ولعل ما يؤكد هذه الأقوال الصريحة هو ما حدث أخيراً في بولونيا الشيوعية. إذ تثور الطبقة العاملة التي قوامها أكثر من أربعمائة مصنع وثمانمائة ألف عامل، ضد حزبها، وتطالب بنقابات حرة يشرف عليها العمال لا الأعضاء الرسميين للحزب.. بعد هذا ماذا بقي من حزب العمال بعد أن ثار عليه العمال؟!

وحتى بالنسبة للمثقفين الماديين، يروقني أن أتساءل ماذا يستهويهم في نظام بدأت تنظيماته تتبرأ من بعض مبادئه الأساسية. فلنقرأ ماكتبه **إيمو ايكولي** عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الإيطالي حين يتحدث بتفصيل عن الانقلابات العقائدية في الأحزاب الشيوعية[2]: «هناك أصوات تقول إنه سيجري تعديل على المادة الخاصة بضرورة سير الحزب الشيوعي الإيطالي على المنهج اللينيني وذلك في المؤتمر الذي يعقده الحزب الشيوعي الإيطالي في ربيع سنة ١٩٧٩م. وقد لوحظ بأن الحزب الشيوعي الفرنسي من جهته وبمناسبة مؤتمره الوطني العام سنة ١٩٧٧م، جمد دستوره مصطلح «**الدكتاتورية العمالية**». والحزب الشيوعي الإسباني بقيادة **كاريلو** أيضاً من جانبه وبمناسبة مؤتمر مدريد صفى (اللينينية)، ومن المتوقع أن تسير أحزاب شيوعية أوروبية أخرى أقل أهمية على نفس الخطى متحالفة بذلك مع موقف الأحزاب الشيوعية الإيطالية والإسبانية والفرنسية، تلك الأحزاب الثلاثة التي تكون المحور بالنسبة (للشيوعية الأوروبية)».

ثم هناك تصريح جد هام، نجده في مقالة إيموايكولي، إذ يقول: «[3] ولا ننسى بأن الاشتراكيين الإنجليز والاشتراكية الديمقراطية الأوروبية الغربية والشيوعية هي بدورها دعمت وجود (إسرائيل)، وقد كان من جراء هذا أربعة حروب وآلاف القتلى، وظهور مشكلة الشعب الفلسطيني». من هنا نستخلص أن المذاهب التي تقبل التبديل والتحوير يفوقها الإسلام العظيم الذي لا تجد لمبادئه تبديلاً ولا تحويراً.. والفرق أن منظومات الفكر البشري قاصرة قزمية ضيقة الأفق مهما كانت مكانتها. أما الإسلام العظيم، فنظام موحد متكامل متزن واقعي.. وشتان بين ما عند الخالق وما عند المخلوق! ومن ثم فالنقد الأيديولوجي نقد لا إسلامي وبالتالي فهو نقد قاصرة أحكامه التفسيرية أو التقييمية ظرفية ذاتية قابلة للتبديل والتغيير بين لحظة وأخرى. ومع ذلك ترى متأدبين متمسكين به.. وتراه متواجداً ـ في غياب النقد الإسلامي ـ وكأنه النقد الذي لا بد منه!

الاغتراب الفكرولوجي والثقافي

إن قضية الاغتراب من القضايا التي تلعب دوراً هاماً في تثبيت النقد الأيديولوجي وتجارب الثقافة والفن الإسلاميين[4]. ومن المؤسف أن الثقافة السائدة الآن في مجملها ثقافة انعكاس لما يجري هناك في كلتا الحضارتين الرأسمالية والاشتراكية وإسقاطه على الواقع الراهن.. ثقافة لا تقوم على الاحتياج الموضوعي للواقع الاجتماعي والاقتصادي العربي.

ولقد حاولت سنوات التحديث أن تسقط ما يجري هناك إسقاطاً مباشراً ظنّاً منها أن الدخول إلى الحضارة لا يتم إلا بتقليد الآخرين ومحاكاتهم. فلقد قال مثلاً **الدكتور لويس عوض**[5]: «مكاني مع الثقافة الغربية لأني نتاج لها، فلا أريد أن أكذبكم» وكذلك فعل من قبل **طه حسين** عندما دعا للحاق بأوروبا بخيرها وشرها في أكثر من موضوع من مؤلفاته.

ويمكننا ـ في إطار هذه النقطة ـ أن ندرج أكثر من استشهاد يثبت درجة الانبهار الذي يتمثل في كل ذرة من تفكيرنا، فلا يتيح لنا فرصة مراجعة أنفسنا. لكوننا ـ فقط ـ كمجتمعات تسعى للتطور والبناء نعيش وطأة التبعية. فإذا أخذنا التصنيع مثلاً كقوة اقتصادية هائلة تهيكل مستقبل كل قطر في المعمورة فسنجد أن «**التصنيع**[6] **في اليابان** نشأ في سياق سياسي اتسم بالفاشية والانغلاق أمام محاولات التدخل الإمبريالي، وفي سياق ثقافي اتسم بالمحافظة على الأصالة الثقافية التي لم تقفل عليها العقلانية التكنولوجية، أما **التصنيع في روسيا** فقد اعتمد على أيديولوجية البروليتاريا، وعلى التسيير البيروقراطي في جهاز الدولة، وقد تحقق في سياق سياسي اتسم بالنزاع مع الغرب، ورفض هيمنته. أما **التصنيع في المجتمع العربي** فقد اندرج في سياق التبعية والهيمنة السياسية والاقتصادية واصطحبته أزمة في القيم الثقافية وتخلخل في أسس الذاتية الجماعية». من هذا يتضح جليّاً أن الانبهار والإعجاب له جذور تضرب في العمق.. عمق الماضي الاستعماري.. إذ لم يحدث كل هذا الاغتراب صدفة بدون سبب. فحتى فيما يخص الأطر الإسلامية الهامة فبعضها سرعان ما يغريه البريق فيهجر الخل والصديق فيندمج في سلك من يزكون نهضة الغرب، فإذا أخذنا نموذجاً واحداً من الوطن العربي وليكن متعلقاً بالكفاءات الجزائرية، فإننا نجد[7] **الدكتورة فاطمة أفريحا** تقول: «اجتذاب[8] الكفاءات من البلدان النامية إلى البلدان المتقدمة.. يأخذ شكل استقطاب ويتجه بصورة عامة وجهة البلد المستعمر سابقاً ولا تشكل الجزائر استثناء عن ذلك بل على العكس فإن طول مدة وقوة الاحتلال الاستعماري قد رسخ فيها قوة «النموذج» الفرنسي.. وتدخل في البعد الثقافي، رغم الابتعاد عن حيز البحث، قوة الجذب التي تمارسها النساء الأوروبيات (ولاسيما الفرنسيات)، على المثقفين الجزائريين. فهن غالباً ما تدفعن الشباب الجزائري إلى محاولة التلاؤم مع وسط اجتماعي غريب عنهم».

إذن عامل الاغتراب الفكرولوجي والثقافي متجذر في الأمة العربية الإسلامية وهو عائد بالضرورة للتبعية الاقتصادية والعلمية التكنولوجية المتعلقة بالشرق أو الغرب. وبطبيعة الحال لم تخل التبعية من إسقاطات وانعكاسات مختلفة أهمها

مناقشات و تعليقات

الانعكاس الفكري والثقافي ، إذ لا يمكن أن تساهم دولة متقدمة في ازدهار بلدنا دون أن تحدث فيه تأثيراً أيديولوجياً وثقافياً يخصها ، فلا غرو إذن من انتشار الأدب والنقد اللا إسلاميين .

إمكانات المنظمات في نشر مبادئها

إن التنظيمات السياسية أو الثقافية . . داخل القطر الواحد ، تشكل منظومة غير متجانسة ، قد تتفق في بعض الأفكار ، وقد تختلف تماماً ، ومن طبيعتها أنها تدين بالولاء لمصدرها ، تأخذ عنه كل معطياتها وأطروحاتها . ولسنا هنا بصدد تحليل هوية التنظيمات في الوطن العربي ، ولكن بصدد الإشارة ــ فقط ــ إلى كونها تملك قوة التوجيه ، بفضل إمكاناتها الخاصة ، إذ تساهم في تشكيل الهيكل الثقافي والفني بواسطة صحفها ومجلاتها التي تلعب دوراً خطيراً في كل قطر ، وعلى صعيد الوطن العربي الإسلامي ، وهي فضلاً عن ذلك منابر خاصة بالمنتمين والمتعاطفين . وعنصر خطورتها يكمن في الشرط الأساسي الذي يتلخص في المنظور العام والتصور الشامل ، اللذين ليسا إسلاميين بقدرما هما نزعة سياسية أو ثقافية ، اللهم إذا كان التنظيم إسلامياً . والجدير بالملاحظة هنا ، أن الإسلام ، إما أن يؤخذ كله أو يترك كله ، ولكن معظم التنظيمات تنتقي من الإسلام ما يحلو لها فتزاوجه بأفكار وضعية . وهذا مخالف للإسلام تماماً . ومن هنا كيف يمكن أن نتصور أدب وفن أعضاء هذه التنظيمات ؟!

يمكننا بعد كل هذا النقاش أن ننتهي إلى خلاصة مفادها أن غياب النقد الإسلامي ساعد على انتشار كل وجوه النقد اللا إسلامية ، التي وجدت تجاوباً لدى المتأدبين والفنانين . . نتيجة الترسبات الفكرولوجية الناجمة عن الاغتراب والتعلق بالنموذج الغربي أو الشرقي . وكان من التنظيمات المختلفة والمتعددة أن زكت كل هذا بصحافتها . فبقي الأدب والفن الإسلاميين يلازمان الظل والسكون في انتظار غيرة إسلامية قد تكون في يوم ما .

مسلك ميمون

وجدة ــ المغرب

الهوامش

(١) من مقال « بين النقد الأدبي . . والبلطجة الفكرية » ، مجلة الدوحة ، العدد ٣٥ ، ص ٧٦ .

(٢) من مقال « الاشتراكية الأوروبية والاشتراكية العربية » ، آفاق عربية ، العدد ٨ ، سنة ١٩٧٧ م ، ص ١١٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١١٧ .

(٤) من مقال « الفولكلور عائق في طريق الوحدة » ، المستقبل العربي ، العدد ١٢ ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ١٢٨ .

(٥) مقابلة في النهار العربي والدولي ، العدد ٨٥ ، ١٨ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٧٨ م .

(٦) من مقال (هجرة الأدمغة العربية والاغتراب الثقافي) ، المستقبل العربي ، العدد ١٥ ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٢٢ .

(٧) الدكتورة فاطمة زهرة أفريحا ، دكتوراه دولة في العلوم الاقتصادية وإجازة في علوم الاجتماع ، جامعة الجزائر .

(٨) من مقال « عوامل الهجرة من الجزائر » ، المستقبل العربي ، العدد ١٥ ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٣٤ .

خربة خزعة

في البدء لا بد لي من أن أشكر مجلتكم العزيزة التي تغني القارئ العربي بكافة الموضوعات الشيقة العلمية والأدبية ، وهي إلى جانب ذلك ، الرفيق الدائم لي ، حيث أطالعها باستمرار وتجتذبني دائماً موضوعاتها المفيدة .

ولقد قرأت في العدد السابق من مجلة « **الفيصل** » رقم (٧١) جمادى الأولى عام ١٤٠٣ هـ ــ السنة السادسة ــ شباط (فبراير) ، آذار ، (مارس) ١٩٨٣ م ، مقالا للأستاذ **شمس الدين العجلاني** بعنوان « **خربة خزعة وثيقة تدين الإرهاب الصهيوني** » فكان المقال بحد ذاته ممتعاً لكوننا نجهل الكثير عن هذا الأدب الرخيص ، وتكاد المكتبات العربية تخلو من هذه الكتب التي تدين العدو من خلال اعترافات أدبائه وكتابه ، فلم يحدث مرة في تاريخ العالم أن كان الشاعر أو الأديب سفاحاً أو قاتلاً . إن الأديب الصهيوني يختلف عن الطبيعة التي اتصف بها الأدباء منذ الجاهلية وحتى القرن العشرين ، فحين تكون الرقة والشاعرية والحس المرهف والحنان من طبع الأديب ، نجد أن **الأديب الصهيوني هو رجل العصابات والقاتل** .

إن مقال الأستاذ عجلاني كشف لنا كل هذه السمات خصوصاً وأن كاتب القصة هو أحد رجال العصابة التي شاركت بالمجزرة الوحشية **مجزرة خربة خزعة** ، وكان المقال هاماً لكونه أتى في مرحلة أعيدت فيها خربة خزعة أخرى ولكن بشكل أبشع وأعنف في **صبرا وشاتيلا** .

حبذا لو اهتمت مجلتكم الموقرة بمثل هذه الموضوعات ، وحبذا لو زودنا الأستاذ عجلاني بأكثر من ذلك عن الأدب الصهيوني لكوننا نجهل الكثير عن هذا الأدب اللاإنساني .

ليالي سنو

دمشق ــ كلية الآداب

مع الأصدقاء

عنوان أحمد الشامي

أبعث إليكم هذه الرسالة راجياً من الله أن تصل وأنتم في أحسن عطاء من أجل الفكر العربي والإسلامي راجياً منكم أن تعطوني عبر مجلتنا العزيزة عنوان الكاتب والأديب السياسي اليمني الأستاذ أحمد محمد الشامي في بريطانيا ولكم مني عظيم الشكر والامتنان ودمتم .

جلال علي الرويشان
الجمهورية العربية اليمنية
صنعاء ـ كلية الشرطة

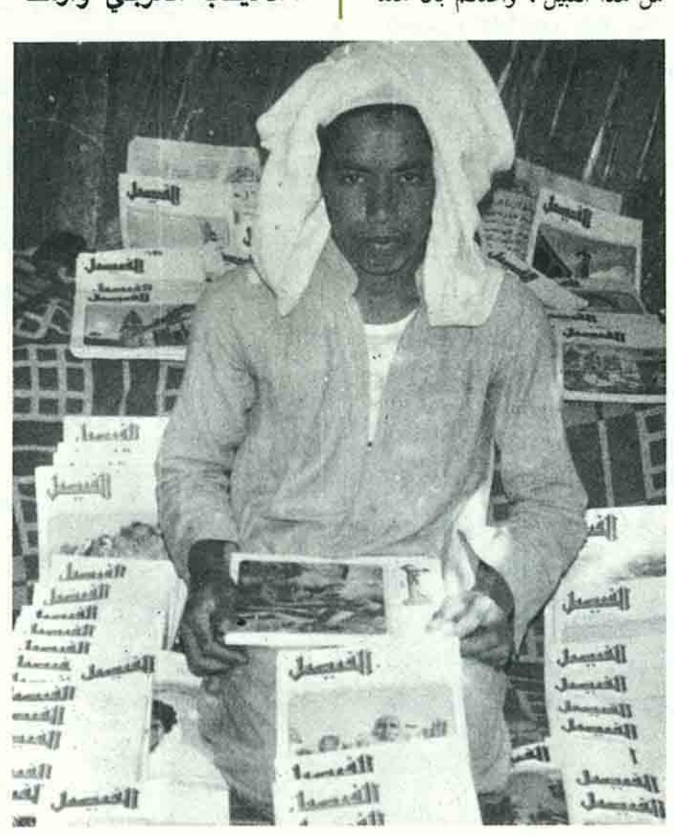
● **المجلة** : ها نحن ننشر رسالتك كاملة لعل الأستاذ الشامي يطلع عليها فيعلمك بعنوانه .. ولو سألت أحد أصدقائه من الأدباء والشعراء اليمنيين في صنعاء ، أو في وزارة الخارجية لربما توصلت إلى عنوانه .. ومعذرة .

قارئ .. وصورة

ونحن إذ نهنئكم بقرب **دخول مجلة « الفيصل » عامها السابع** وكل عدد في تقدم وازدهار حيث أثبتت وجودها ، نود أن نرسل هذه الصورة لكي يراها الإخوة في الأقطار العربية لمعرفة مدى حرصنا على مجلة **« الفيصل »** والاعتزاز بها .. والله نسأل لكم التوفيق .

محمود محمد السيد
مصر ـ سوهاج ـ الشوش

● **المجلة** : شكراً للصديق محمود على مشاعره الكريمة .. وتقديراً منا لاهتمامه بالمجلة ننشر رسالته مع صورته التي أرسلها وسط مجموعة من أعداد المجلة .. سائلين الله أن يوفقنا لما فيه الخير .. وما ذلك على الله بعزيز .



تحية شكر

يسعدني أن أتقدم إليكم بهذه الرسالة لأشكركم ، على المجهودات التي تبذلونها ، من أجل إثراء مجلة **« الفيصل »** ، وذلك لأنها مجلة فعلاً كنا في أمس الحاجة إليها ، وهذه هي أول مرة تقع بيدي ، وأول مرة كذلك أشارك في مسابقة من هذا القبيل ، وأعدكم بأن هذه الرسالة لن تكون الأخيرة ، ومن الجزائر تقبلوا مني فائق الاحترام من قارئ عربي مسلم من الجزائر العربية الإسلامية .

بريم عبد المجيد
باب الوادي
الجزائر العاصمة

● **المجلة** : مرحباً بك صديقاً وقارئاً لمجلتك **« الفيصل »** وشكراً لمشاعرك الطيبة .

الأديب العربي

اطلعت على مقال **الأستاذ علوي طه الصافي رئيس تحرير « الفيصل »** بعنوان **« الأديب العربي وأزمة الثقة »** المنشور في العدد (٦١) ، ولقد أثار في نفسي عدة مشاعر عاتية .. ولا غرو أن نلتقي معاً في « دنيا الإحساس » والفكر دون « ارتباط معين » يضفي على الأمور ظلال المصلحة الكئيبة .. لقد أعجبني المقال جداً للأسباب الآتية :

● **أولا** : نبرته الحكيمة في سوقه « للوقائع والدلائل » التي تسم الأديب العربي والتقرير في عدم وجود **« جيل العمالقة »** في هذا العصر .

● **ثانياً** : إشارته لتأثير **« وسائل الإعلام »** التي تعطي لأديب أكثر من حقه « فيعطينا أقل من حقنا » من « القوت الفكري » الهزيل .

ولكن ماذا نفعل ؟ الدروب مملوءة بنظرة « الانتهازية » ونحن جيل الأدباء الشبان يتكاثف حولنا الضباب وافتقاد القدوة ؟! وانغماس الكبار في النجومية ، والقضايا البعيدة عن الواقع ، وتغليب المصالح الفردية المقيتة على مصلحة الوطن المبتلى !

ولقد شعرت بالخجل صراحة .. وأن السعي للشهرة دون « أصالة » جرم يجب أن نحتسب أنفسنا عند الله وإلا لن يكف التاريخ عن « النبش » فينا بأظافره وأنيابه !

عبد النبي سيدكراويه
القاهرة ـ مصر

**



● الأخ بخاري عثمان بكير (أم درمان ـ السودان).

شكراً لمشاعرك. أما بخصوص نشر موضوعات عن الكواكب وأسرارها، والبروج وماهيتها، فقد عالجت المجلة مثل هذه الموضوعات من قبل.. فضلاً عن أن هناك موضوعاً واسعاً سينشر قريباً عن **المجرة والكواكب والأنواء**.

● الأخ عبد الله علي نويفع الحربي ـ المدينة المنورة

المجلة لا تنشر الكتابات العامية شعراً أو نثراً، لأنها تحرص على إشاعة اللغة العربية الفصحى وترسيخها بين أبنائها.. فهي اللغة الأصل، وهي لغة الدين والقرآن.

● الأخ بن عامر رابح، مفتاح بليدة ـ الجزائر

هناك الكثير من الإخوة العرب الذين يطلبون زيارة **المملكة العربية السعودية** ومثل هذه الأمور عادة ما تتولى التحضير لها ـ كالدعوة إلى الزيارة والإعداد لها ووضع برنامجها ـ جهات حكومية متخصصة كوزارة الإعلام مثلاً.

● الأخ محمد العربي محمد نعيم الزلباني (البحيرة ـ دمنهور ـ مصر).

قصيدتك لا تلائم طبيعة الموضوعات التي تنشرها المجلة. أما اقتراحك بنشر كتاب أصل الحياة لـ «**داروين**» وفلسفاته عبر باب «رحلة في كتاب» فإننا لن نتردد في ذلك إذا وجدنا أن الكتاب سوف يلتقي مع منهج المجلة ومسارها، ولا يتنافى مع تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

● الأخ الحبيب القردلي (المنستير ـ تونس).

سوف نقوم بدراسة فكرة الموضوع الذي أشرتم إليه.

● الأخ عبد الله عمر محمد (بورت سودان ـ السودان).

لا يجوز استعمال قسائم مسابقة لأية مسابقة أخرى، كما أننا نأسف لعدم تحقيق اقتراحك.. لأن المجلة ليست لنشر أو معرفة عناوين الفنانين والفنانات.

● الأخ عبد الرؤوف قاسم القريوتي (عمّان ـ الأردن).

يؤسفنا عدم استطاعتنا إعلان نتائج المسابقة في وقت أبكر مما نعلنها فيه، وذلك لإتاحة الفرصة لمشاركة أكبر عدد ممكن من القراء من مختلف أنحاء العالم، إلى جانب فرز كامل الرسائل على كثرتها.

● الأخ خالد محمد المطر ـ مصر

بإمكانك دراسة العلوم الشرعية في الأزهر ما دمت تميل إلى هذه الدراسة، والمعروف أن آلافاً مؤلفة من المسلمين يدرسون بالأزهر.. متمنين لك التوفيق.

● الأخ مصطفى سعيد محمد السيد زيد، قرية بنايوس ـ مصر

نشكر لك مشاعرك التي فاضت بها رسالتك.. ونأسف لعدم تمكننا من تلبية طلبك الذي تحكمه أنظمة ولوائح.. سائلين الله لك التوفيق لتحقيق أمنيتك.

● الأخ هاشم محمد طه، كسلا ـ السودان

نحي فيك مشاعرك الوطنية، إلا أن المشاعر وحدها غير كافية لتأليف قصيدة شعرية، لأن للشعر أوزانه وموسيقاه.. وهي أمور لا يجهلها الشعراء.

● الأخ المهندس علي محمد المسيدي، القاهرة ـ مصر

المعروف أن الأعمال التي ينال عليها أصحابها جائزة الملك فيصل العالمية على اختلاف فروعها عبارة عن كتب تعد مصدراً هاماً من المصادر في الحقل الذي منحت من أجله الجائزة.. ويصعب على المجلة نشر هذه الكتب على صفحاتها.. وتستطيع الحصول على بعضها المكتوب بالعربية من المكتبات.. أما الجائزة التي فاز بها صاحب الجلالة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز، وسماحة الشيخ ابن باز فهي جائزة الخدمة الإسلامية، وهذه الجائزة تمنح لمن قدم خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، أي إنها ليست دراسات كما تصورت.. وقد أشرنا إلى هذه الخدمات في حينها.. أي عند إعلان الجائزة، فبإمكانك مراجعة أعداد المجلة التي نشرت بها النتائج.. مع تحياتنا.

● الأخ محمد ثالث غميري مندي، جوغو ـ أناكورا

بإمكانك الكتابة مباشرة إلى أحد أندية المملكة لكرة القدم وهي كثيرة فمثلاً في الرياض (نادي النصر، نادي الهلال، نادي الشباب) وفي جدة (النادي الأهلي، نادي الاتحاد)، وهناك أندية أخرى في المنطقة الشرقية، والجنوبية، وفي غيرها من مدن المملكة ومناطقها.

● الأخ مكي عبد الرحمن كرار، الحصاحيصا ـ السودان

شكراً لرسالتك، ولملاحظتك.. ولأن الموضوع نشر في مجلة أخرى فإن العرف الصحفي يقضي بنشر ما جاء في رسالتك بتلك المجلة.. مع تحياتنا.

● الأخ صبري مصطفى السيد أحمد سالم، السنبلاوين دقهلية ـ مصر

إننا نشاركك مأساتك.. لكن نشرها في المجلة غير مناسب.. ونرى عرض موضوعك على الجهات المسؤولة، وقد بعثنا لك رداً بالبريد.





شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

ج ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة

أجوبة مسابقة العدد (٦٩)

ج ١ مسجد الغمامة : المدينة المنورة ـ السعودية .
الجامع الأزهر : القاهرة ـ مصر .
جامع عقبة بن نافع : القيروان ـ تونس .
جامع القرويين : فاس ـ المغرب .

ج ٢ تعرف الصين بأنها بلد الخمسة آلاف نهر .

ج ٣ السوربون أول جامعة أنشئت في أوروبا ، وتوجد في باريس بفرنسا .

ج ٤ أسماء مؤلفي الكتب التالية :
العقد الفريد : ابن عبد ربه .
بدائع البدائه : ابن ظافر .
صبح الأعشى : القلقشندي .
عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ابن أبي أُصيبعة .

ج ٥ «أما أنا فارى واجباً أن يُدعى النبي محمد منقذ الإنسانية . وأعتقد أن رجلاً مثله لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلات هذا العالم ، وأحل فيه السلام والسعادة» . قال العبارة : برنارد شو الكاتب الأيرلندي .

**

....

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٧٦)

الاسم : ------------------------------
المهنة : ------------------------------
العنوان : ------------------------------

على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

السؤال الأول :

أي نوع من الأحماض تنتمي إليها الأحماض التالية : (الخليك ـ الأكساليك ـ السيتريك ـ البروسيك) .

السؤال الثاني :

متى أنشئ أول ناد لرياضة التجذيف .. وأين ؟

السؤال الثالث :

معركة باب الشزري (رونسفال) إحدى معارك العرب في الأندلس . اذكر اسم قائد الفرنجة في هذه المعركة ؟

السؤال الرابع :

« حي بن يقظان » عنوان ثلاث قصص لثلاثة من كتّاب العرب والمسلمين في التاريخ القديم . اذكر أسماء هؤلاء الثلاثة .

السؤال الخامس :

عبد القدوس الأنصاري أحد رواد الأدب في المملكة العربية السعودية ، انتقل إلى رحمة الله قبل أشهر . اذكر أسماء خمسة من مؤلفاته .



نتائج مسابقة العدد (٦٩)

● فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي ، الأخ **محمد المنصف** ، عنوانه 14 نهج الجمهورية ، مدنين (4100) ـ تونس .

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي ، الأخ **سالم محمد عبد الله مسعود** ، عنوانه ص . ب (١٠٠٣٢) صنعاء ـ اليمن .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي ، الأخ **نبيل جمال الصناع** ، عنوانه مأدبا ص . ب (٤٥٤) ـ الأردن .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من المغرب ، ثانوية محمد الخامس ـ داخلي رقم الفرقة 7 ـ المعهد الإسلامي ، تارودانت ، الأخ اللحياني مولاي الحسين .

● من الجزائر ، مكتبة النهضة ، شارع الأمير عبد القادر ، المهدية ، تيهرت (14) ، الأخ غزالي مولاي سليمان .

● من مصر ، ١٤ شارع علي محمود طه ، روض الفرج القاهرة ، الأخ محمد الطاهر سعد خضر .

● من سلطنة عمان ، ص . ب (٧٧٥٢) مطرح ، الأخ حسن علي حسن جعفر .

● من البحرين ـ المنامة ، الأخت مريم صلاح الدين .

● من الرياض ، كلية الطب ، الأخ عبد العزيز محمد الباحسين .

● من المدينة المنورة ، ص . ب (١٠١٥٦) ، الأخ محمد بن بوبكر بن علي .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من اليونان ، الأخ عبد السلام محمد ، 57 PANEPISTIMIOU 131 ATHENS - GREECE.

● من العراق ـ بابل ، قضاء المحاويل ، الحي الجمهوري ، الأخ زاهد طاهر سعيد .

● من المغرب ـ فاس ، الأخت مارية أحمد بناني .

● من السودان ـ عطبرة ، هيئة السكة الحديد ، ص . ب (١١٥) إدارة التدريب ، الأخ ميرغني محمد أحمد .

● من السودان ـ الخرطوم ، الأخت أفراح عبد المعطي عباس .

● من سورية ـ دمشق ، الأخت عفاف علي العاقل .

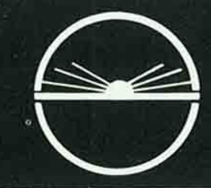
● من مصر ـ قنا ، قوص ، ش دقيق العيد ، الأخ سليمان جادو سليمان سالم .

● من أندونيسيا ـ جاتنج ، الأخت زهيرة شعراني ZUHAIROH SYA RONI .

● من سورية ـ حمص ، الأخت شفيقة صالح موسى .

● من إسبانيا ـ قراندا ، الأخ سعد خضر . SAAD KHUDR C / TURINA - 3 - 6 - K GRANADA - ESPANA.

كتب وردت إلى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي

كتاب للأستاذ **عارف مفضي البرجيس** تناول فيه بالدراسة فلسفة **الإمام أبو حامد الغزالي** في التوجيه الإسلامي للنشء التي تستند أصولها على الشريعة الإسلامية كأساس، وعلى ما استفاده الغزالي من دراسته لثقافات عصره. كما اشتملت الدراسة على تحليل ومناقشة لبعض جوانب تلك الفلسفة. الكتاب من إصدار **دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع**، ويقع في (١٩٢) صفحة من الحجم المتوسط.

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد

من تأليف **أبي زكريا يحيى بن خلدون**. ويتناول **تأريخ الدولة الزيانية بتلمسان** وأصل قبيلة بني عبد الواد، ودورهم قبل وبعد تأسيس دولتهم. الكتاب من تحقيق **الدكتور عبد الحميد حاجيات**، أصدرته **المكتبة الوطنية بالجزائر** ضمن **سلسلة «النصوص والدراسات التاريخية»**. يقع الكتاب في (٣٣٦) صفحة من القطع المتوسط، ويتضمن لوحات تحوي صوراً لصفحات من مخطوطة الكتاب.

الكشكول الصغير

الكتاب يشمل مجموعة مقالات كتبها **الأستاذ محمود الأرناؤوط** في عدد من المجلات الثقافية السورية والعربية. وعنوان الكتاب يرمز إلى محتواه حيث تناولت المقالات مجالات أدبية شتى. أصدرته **مؤسسة الرسالة ببيروت**، ويقع في (١٦٢) صفحة من الحجم الصغير.

الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف

هذا هو الكتاب الثاني من **سلسلة «كتاب الأمة»** التي تصدر عن **رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر**. ويتضمن دراسة أعدها **الدكتور يوسف القرضاوي** عن ظاهرة التطرف والغلو لدى الشباب المسلم مبيناً أسبابها، وسبل ترشيدها حتى تعود ثمرة هذه الصحوة لصالح الإسلام. يقع الكتاب في (٢٣٦) صفحة من الحجم الصغير.

تأملات في دروب الحق والباطل

الكتاب لفضيلة **الشيخ عبد الله عبد الغني خياط إمام وخطيب المسجد الحرام** وقد اشتملت فصوله على مواعظ وعبر مستمدة من القرآن والسنَّة النبوية، ومواقف ووصايا السلف الكرام، وتمثل في مجموعها دعوة هادفة لترشيد النفس الإنسانية في ظل النظام الإسلامي المتكامل. والكتاب يأتي رقم (٥٢) ضمن **«سلسلة الكتاب العربي السعودي»** التي تصدرها **تهامة ـ جدة**، ويقع في (٣٧٦) صفحة من الحجم المتوسط.

المذهب الاقتصادي في الإسلام

من تأليف **الدكتور محمد شوقي الفنجري**، يتناول بالدراسة أصول ومعالم المذهب الاقتصادي الإسلامي واجتهادات تطبيقه مع مقارنته بالاقتصاديات الوضعية السائدة. والكتاب يأتي ترتيبه الخامس ضمن **سلسلة الاقتصاد الإسلامي** التي تصدر عن **شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ـ جدة**، ويقع في (٢٦٤) صفحة من الحجم المتوسط.

إستنبول وحضارة الخلافة الإسلامية

من تأليف **الأستاذ برنارد لويس**، ترجمه إلى اللغة العربية **الدكتور سيد رضوان** مضيفاً إلى الترجمة شرحاً لبعض الأحداث التاريخية والمصطلحات التركية التي تركها المؤلف دون شرح، كما تضمنت الترجمة نقداً لآراء المؤلف المخالفة للمبادئ الإسلامية. الكتاب أصدرته **الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة، المملكة العربية السعودية**، وهذه هي الطبعة الثانية منه، ويقع في (٢٣٦) صفحة من الحجم المتوسط.

نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية

دراسة في مجال علم النفس التربوي، أعدها **الدكتور محمد مصطفى زيدان**. وقد جاءت الدراسة زاخرة بمعلومات مفيدة حيث عرض المؤلف مختلف النظريات عن سيكولوجية التعلم مستخلصة من تجارب العلماء المبذولة في هذا المجال. الكتاب من إصدار **دار الشروق للنشر والتوزيع ـ جدة، المملكة العربية السعودية**، ويقع في (٣٢٠) صفحة من الحجم المتوسط.



عربون محبة.. ورباط صداقة
عطر يذوب رقة في زجاجة صنعت بجمال ودقة

PRINCESS CHAMSY

الأميرة شمسي

باقة من أثمن الورود النادره جمعت بيد ماهره
نضعها بين يديك لتقدمها لأحب الناس إليك.



تباع في جميع محلات العطور الكبرى